New York Times Bestselling Author





راجنر جوناسن

الظلام

ترجمة: إيمان محمد نجيب



SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

راجنر جوناسن

ثلاثية أيسلندا الخفية

الجزء الأول

الظلام

إيمان محمد نجيب/ كاتبة أطفال ومترجمة، عملت مع العديد من دور النشر، صدر لها قصتان مؤلفتان: "ماذا ترى؟ و "فوو.. تتك." مع نهضة مصر، وقصة "اللعبة" مع دار صفصافة، إضافة إلى عدد آخر من العناوين المترجمة مع كبرى دور النشر.

....

ثلاثية أيسلندا الخفية (الظلام)

طبعة 2022

رقم الإيـــــداع: 2022/3315

الترقيم الدولي: 978-977-821-246-4

الناشر

محمد البعلي

إخراج فني

علاء التويهي

DIMMA

Published by agreement with Copenhagen Literary Agency ApS. Copenhagen.

This book has been translated with a financial support from:

 ICELANDIC LITERATURE CENTER

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET
sefsafapr@gmail.com

دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات
49 شارع المخزن- العمرانية- الجيزة- مصر

راجنر جوناسن

ثلاثية أيسلندا الخفية

الجزء الأول

الظلام

ترجمة: إيمان محمد نجيب

رواية

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

بطاقة فهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية،
إدارة الشئون الفنية

جوناسن، راجنر

الظلام: رواية / راجنر جوناسن، ترجمة: إيمان محمد نجيب

الجيزة، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، ٢٠٢٢

٣٢٤ ص، ٢٠ سم

تدمك ٤-٦-٢٤٦-٨٢١-٩٧٧-٩٧٨

١- القصص الايسلندية

أ- نجيب، إيمان محمد (مترجم)

ب- العنوان

٨٣٩,٦٩٣

رقم الإيداع: ٢٠٢٢/٣٣١٥

اليوم الأول

(1)

"كيف عثرت عليّ؟" هكذا سألت المرأة. سرت رعشة في صوتها، واكتسى وجهها بالفزع.

شعرت مفتشة المباحث هلدا هرمانزدوتير بما أثار اهتمامها، على الرغم من أنها تعلمت، بسبب خبرتها القديمة في تلك اللعبة، أن تتوقع رد فعل عصبيًّا من أولئك الذين يخضعون لتحقيقاتها، حتى لو لم يكن لديهم ما يخفونه. أن تخضع لتحقيق الشرطة هو أمر يبعث على الخوف في أي وقت، سواء كان تحقيقًا رسميًّا في قسم الشرطة، أو مجرد محادثة غير رسمية كتلك التي تجري الآن. جلستا تواجهان بعضهما بعضًا في حجرة رثة مخصصة لتناول القهوة، مجاورة لمقصف العاملين في دار رعاية ريكيافيك، حيث تعمل المرأة. كانت في نحو الأربعين، بشعر مقصوص قصير، ونظرة متعبة، بادية الاضطراب بسبب زيارة هلدا غير المتوقعة. بالطبع قد يكون هناك تفسير بريء تمامًا لهذا، لكن هلدا كادت أن تكون متأكدة من أن المرأة تخفي شيئًا. فعلى مدار سنوات، تحدثت إلى كثير من المتهمين، حتى نمت لديها موهبة إدراك محاولة الناس تضليلها وإخفاء الحقيقة عنها. ربما يطلق عليها البعض: الحدس، لكن هلدا ازدرت تلك الكلمة، واعتبرتها علامة على بلادة وضعف عمل الشرطي.

رددت بهدوء: "كيف عثرت عليك...؟ ألا تريدين أن يُعثر عليك؟"

كان هذا تحويرًا لكلام المرأة، لكن كان عليها أن تجعل المحادثة تستمر بشكل ما.

"ماذا؟ نعم...".

سرى في الهواء عبق القهوة -شيء لا يمكنك أن تطلق عليه رائحة- وخيم الظلام على الحجرة المكدسة، التي حال لون أثاثها، الباهت أصلًا كحال أثاث دور الرعاية.

أراحت المرأة يدها على المنضدة. وعندما رفعتها ثانية إلى وجنتها، خلفت وراءها أثرًا من بلل.

في الطبيعي، كانت هلدا لتغتبط بتلك العلامة التي تشي بأنها قد عثرت على المجرم، لكنها لم تشعر بأي من السرور المعتاد.

"أحتاج إلى سؤالك عن حادثة وقعت الأسبوع الماضي". هكذا استأنفت هلدا حديثها بعد فترة توقف قصيرة. كانت كعادتها تتحدث بوتيرة سريعة قليلًا، بصوت ودود منفرج الأسارير، وهو جانب شخصيتها الإيجابي الذي يظهر في حياتها المهنية، حتى وهي تؤدي مهام شاقة مثل تلك التي تؤديها الآن. أما في المساءات، عندما تختلي بنفسها في بيتها، فيمكنها أن تكون على العكس تمامًا من تلك الشخصية، إذ ينفد كل مخزونها من الطاقة، تاركًا إياها فريسة للإرهاق والاكتئاب.

وأومأت المرأة برأسها، من الجلي أنها قد عرفت ما سيأتي بعد ذلك.

"أين كنتِ صباح يوم الجمعة؟".

وجاءت الإجابة على الفور: "في العمل، بحسب ما أذكر".

تقريبًا شعرت هلدا بالارتياح لأن المرأة لن تتنازل عن حريتها دون أن تخوض عراكًا في سبيلها.

سألتها: "هل أنت متأكدة من ذلك؟". وإذ ترقب عمدًا رد فعل المرأة، تراجعت لتتكئ إلى ظهر مقعدها، وذراعاها مفرودتان، في وضعها المعتاد أثناء الاستجواب. ربما يعتبر البعض ذلك علامة على أنها تتخذ وضعًا متحفظًا أو مفتقدًا إلى التعاطف. تتخذ وضعًا متحفظًا؟ كل ما في الأمر أنها تمنع يديها من التواجد في طريقها وإلهائها، بينما هي تحتاج إلى التركيز. وبالنسبة لافتقاد التعاطف، فقد شعرت أنه لا حاجة لإقحام عواطفها في الأمر بأكثر مما تفعل بصورة طبيعية، لقد استنزفت مهنتها مشاعرها بما يكفي. لقد تابعت تحقيقاتها باستقامة، وبمستوى من الإخلاص -هي تعلم- يفوق درجة الوسوسة.

أعادت سؤالها: "هل أنت متأكدة؟ يمكننا ببساطة أن نتحقق من ذلك. أنت لا تريديننا أن نمسك عليكِ كذبة".

لم تنبس المرأة ببنت شفة، لكن بدا عليها جليًّا عدم الارتياح.

قالت هلدا، وكأنها تقرر حقيقة: "لقد صدمت سيارة رجلًا".

"هه؟".

”أجل، لا بد أنك رأيت الخبر في الجريدة أو على التلفاز“.

”ماذا؟ آه، ربما“. وبعد صمت قصير، أضافت المرأة: ”وكيف هو؟“.

”سينجو، لو كان هذا ما تستقصين عنه“.

”لا، ليس حقًّا... أنا...“.

”لكنه أبدًا لن يتعافى تمامًا. إنه ما زال في غيبوبة. أنت إذًا تدرين عن الحادثة؟“.

”أنا... لا بد أني قرأت عنها..“.

”لم تكتب عنها الجرائد، لكن الرجل كان متهمًا بالبيدوفيليا“.

عندما لم يصدر عن المرأة أي رد فعل، استمرت هلدا في حديثها: ”لكن لا بد أنك كنتِ تعرفين ذلك عندما صدمتِه“.

ما زال لا يوجد أي رد فعل.

”لقد حكم عليه بالسجن منذ أعوام، وقد قضى مدة عقوبته“.

قاطعتها المرأة: ”ما الذي يجعلك تعتقدين أن لي أي علاقة بهذا الأمر؟“.

”مثلما كنت أقول، لقد قضى مدة عقوبته. لكن، كما اكتشفنا من خلال التحريات، لم يعنِ هذا توقفه. وكما ترين، كان لدينا سبب

لنعتقد أن الحادث لم يكن عرضيًّا، لذا فقد فتشنا شقته لنحاول أن نصل إلى دافع ممكن لما حدث. كان هذا عندما وجدنا كل تلك الصور".

"صور؟" كانت المرأة الآن ترتعد بشدة.

سألت: "لأي شيء؟" واحتبست أنفاسها.

"لأطفال".

كان من الجلي أن المرأة ستندفع لإلقاء المزيد من الأسئلة، لكنها كبحت نفسها.

أضافت هلدا: "ضمنهم ابنك". لتجيب عن السؤال الذي لم يُطرح.

بدأت الدموع تنهمر على وجه المرأة. قالت متلعثمة: "صور... لابني" واختلجت أنفاسها في البكاء المكتوم.

سألتها هلدا: "لم لم تبلغي عنه؟" محاولة ألا تنطق السؤال بنبرة اتهام.

"ماذا؟ لا أعرف. بالطبع كان يجب أن أفعل... لكنني كنت أفكر فيه، كما ترين. كنت أفكر في ابني. لم أكن لأتحمل أن أفعل هذا به. كان سيضطر إلى أن... يُخبر الناس... ويشهد في المحكمة. ربما كانت غلطة..".

"صدم الرجل بالسيارة؟ نعم كانت غلطة".

بعد ممانعة خفيفة، أكملت المرأة: "حسنًا... أجل... لكن..".

انتظرت هلدا، تاركة مساحة للاستزادة من اعتراف المرأة. ومع هذا، لم تكن تشعر بأي قدر من شعورها المعتاد بالإنجاز عند الوصول إلى حل لإحدى الجرائم. في المعتاد، كانت تصب تركيزها على تحقيق أقصى قدر من الإجادة في عملها، وكانت تفخر في نفسها بعدد القضايا الصعبة التي توصلت إلى حلها على مدار السنوات. لكن المشكلة الآن هي أنها لم تكن مقتنعة على الإطلاق بأن المرأة الجالسة قبالتها هي المجرم الحقيقي في هذه القضية، على الرغم من الذنب الذي ارتكبته. إنها -بكل المقاييس- هي المجني عليها.

وإذ انخرطت الآن في نشيج خافت، بلا أي تحكم من جانبها، قالت المرأة: "أنا... أنا... رأيت..". ثم انقطع حديثها، فقد اختنق صوتها تمامًا وعجزت عن إخراج الكلمات.

"هل رأيتِه؟ أنت تعيشين في نفس المنطقة، أليس كذلك؟".

همست المرأة، وقد بدأت تتمالك نفسها وتتحكم في صوتها، كما لو كان الغضب قد منحها قوة مفاجئة: "أجل. ظللت أراقب السافل. لم أكن أتحمل فكرة أن يستمر في فعل تلك الأمور. وظللت أستيقظ مفزوعة على كوابيس، أحلم أنه قد اختار ضحية أخرى و... و... كل هذا بسببي لأنني لم أبلغ عنه. هل فهمتِ؟".

أومأت هلدا برأسها. لقد فهمت تمامًا.

"وبعدها، لمحته، بالقرب من المدرسة. كنت للتو قد أوصلت ابني هناك. أوقفت السيارة وراقبته.. كان يثرثر مع بعض الفتية، وقد ارتسمت على وجهه تلك... تلك الابتسامة اللزجة. ظل يتسكع حول المدرسة لبرهة، أما أنا فقد انتابني غضب شديد. إنه لم يتوقف عن أفعاله.. الرجال على شاكلته لا يتوقفون أبدًا". ومسحت وجنتيها، لكن الدموع استمرت في الانهمار على وجهها.

"اهدئي".

"ثم فجأة، ودون سابق إنذار، واتتني فرصتي. عندما غادر المدرسة، تتبعته عبر الطريق. لم يكن هناك بالقرب منا أحد أبدًا، ليس هناك من يراني، لذا، كل ما فعلته هو أن ضغطت بقدمي على دواسة الوقود. لا أعرف فيم كنت أفكر.. لم أكن أفكر على الإطلاق". وانخرطت المرأة مرة ثانية في نشيج عال، ودفنت وجهها في يديها، قبل أن تكمل كلامها بصوت مرتعد: "لم أقصد أن أقتله، أو لا أعتقد أني قصدت ذلك. كل ما في الأمر أني كنت فزعة وغاضبة. ماذا سيحدث لي الآن؟ لا يمكنني... لا يمكنني الذهاب إلى السجن. ليس هناك إلا نحن الاثنين، ابني وأنا. أبوه عديم الفائدة. لا يمكن أبدًا أن يتولاه".

ودون أن تنطق بكلمة، وقفت هلدا، ووضعت يدها على كتف المرأة.

(2)

وقفت الأم الصغيرة بجوار الزجاج وانتظرت. كالمعتاد، اعتنت بملابسها بمناسبة الزيارة. بدا أفضل معطف لديها رثًّا قليلًا، لكن النقود كانت محدودة، وعليه أن يفي بالغرض. كانوا دائمًا يجعلونها تنتظر، وكأنما يعاقبونها، ليذكروها بخطئها، وليمنحوها فرصة لتأمل ضلال سُبُلها. ولكي تزداد الأمور سوءًا، راحت الأمطار تهطل بالخارج فابتل معطفها.

مرت عدة دقائق فيما بدا وكأنه صمت أبدي، قبل أن تدلف إحدى الممرضات أخيرًا إلى الحجرة حاملة البنت الصغيرة. خفق قلب الأم، كما يفعل دائمًا عندما ترى ابنتها من خلال الزجاج. شعرت وكأنما غمرتها موجة من الاكتئاب واليأس، لكنها بذلت جهدًا مضنيًا لإخفائهما. ورغم أن الطفلة كانت فقط في شهرها السادس، في الواقع بلغته اليوم فحسب، وعلى الأرجح لن تتذكر أي شيء عن الزيارة، شعرت أمها بغريزتها أنه من الضروري لأي ذكريات تمر بها أن تكون إيجابية، وبالتالي لا بد لهذه الزيارات أن تكون مناسبات سعيدة.

لكن الطفلة بدت كأبعد ما يكون عن السعادة، والأسوأ أنها لم تبد أي رد فعل تجاه المرأة على الناحية الأخرى من الزجاج. لربما هي تنظر إلى شخص غريب؛ امرأة غريبة الأطوار ترتدي معطفًا مبللًا لم يقع عليها نظرها من قبل. ومع هذا، لم يمض وقت طويل

للغاية عليها حين كانت ترقد بين ذراعي أمها في غرفة الولادة.

سُمح للمرأة بزيارتين أسبوعيًّا. لم يكن هذا كافيًا. في كل مرة أتت، شعرت بالمسافة بينهما تتسع؛ زيارتان فقط أسبوعيًّا، ولوح زجاجي بينهما.

حاولت الأم أن تقول شيئًا لابنتها؛ حاولت أن تتحدث من خلال الزجاج. كانت تعلم أن الصوت سينتقل، لكن ما هو التأثير الإيجابي الذي قد تُحدثه الكلمات؟ الطفلة أصغر من أن تفهم؛ إن ما تحتاجه هو أن تُهدهد بين ذراعي أمها.

وإذ تقاوم دموعها، ابتسمت المرأة لطفلتها، وأخبرتها كم تحبها بصوت خفيض. وقالت: "احرصي على أن تأكلي جيدًا، كوني مؤدبة مع المربيات". بينما كان كل ما تريده حقًّا هو أن تهشم الزجاج وتختطف ابنتها من بين ذراعي المربية، لتضمها بقوة ولا تفلتها ثانية أبدًا.

ودون أن تدرك، تحركت مباشرة إلى الزجاج. طرقت عليه برفق فاختلج فم الطفلة الصغيرة في ابتسامة ضئيلة أذابت قلب أمها. انهمرت أولى دمعاتها، وتقطرت على وجنتها. طرقت بصوت أعلى قليلًا، لكن الطفلة جفلت، وبدأت تبكي أيضًا.

عاجزة عن تمالك نفسها، بدأت المرأة تطرق على الزجاج بصوت أعلى فأعلى، وهي تصيح: "أعطيها لي، أريد ابنتي!".

نهضت المربية وغادرت الحجرة مهرولة ومعها الرضيعة، لكن

حتى حينها، عجزت الأم عن إيقاف طرقها وصياحها.

فجأة، أحست بيد حازمة على كتفها. توقفت عن الطرق على الزجاج وتلفتت حولها لترى المرأة الأكبر منها عمرًا، والتي كانت تقف خلفها. لقد التقيتا من قبل.

قالت المرأة برفق: "أنت الآن تعلمين أن هذا لا طائل منه. لا نستطيع أن نسمح لكِ بالزيارة لو صنعت جلبة كهذه. ستفزعين طفلتك الصغيرة".

تردد صدى الكلمات في عقل المرأة. لقد سمعت كل هذا من قبل؛ إنه من مصلحة الطفلة تمامًا عدم تكوين رابطة قوية للغاية مع أمها، فهذا من شأنه فقط أن يُصعب من فترات الانتظار بين الزيارات. لا بد لها أن تفهم أن هذا الترتيب لصالح ابنتها.

لم يبد لكل هذا معنى بالنسبة لها على الإطلاق، لكنها تظاهرت بالفهم، وقد أفزعتها فكرة المنع من الزيارة.

وعندما خرجت تحت المطر ثانية، أجمعت أمرها على أنه، بمجرد التئام شملهما، لن تحكي أبدًا لابنتها عن هذه الفترة، عن الزجاج والفراق القسري. أملت فقط أن الصغيرة لن تتذكر.

(3)

ناهزت الساعة السادسة عندما انتهت هلدا من استجواب المرأة، لذا فقد توجهت مباشرة إلى البيت. احتاجت إلى وقت لتفكر قبل أن تخطو خطوتها التالية.

كان الصيف على الأبواب، وبدأت ساعات النهار تطول، لكن ليس ثمة علامة على شروق الشمس، فقط الأمطار والمزيد من الأمطار.

إنها تختزن في ذكريتها كيف كانت مواسم الصيف أدفأ وأكثر إشراقًا، تستحم في أشعة الشمس. ذكريات كثيرة جدًّا، بل أكثر من اللازم في حقيقة الأمر. إن مجرد التفكير في أنها على وشك أن تبلغ الخامسة والستين من عمرها لهو أمر عصي على التصديق. إنها لا تشعر بأن نصف مرحلة الستينيات من عمرها قد ولت، وكأن مرحلة السبعينيات تلوح في الأفق.

والأدهى.. أن تقبُّل عمرك شيء، أما تقبل التقاعد فهو شيء آخر تمامًا، لكنه أمر لا مفر منه، ففي القريب العاجل ستمضي لتسحب معاشها. ليس معنى هذا أنها تعرف ما المفترض أن يشعر به من هم في مثل عمرها. كانت أمها امرأة عجوزًا وهي بعد في الستين من عمرها، أو ربما قبل هذا، أما الآن وقد جاء الدور على هلدا، فإنها لا تشعر بأي اختلاف جوهري بين حالها حين كانت في

الرابعة والأربعين، وحالها الآن وهي في الرابعة والستين. ربما نقصت قليلًا قدرتها على التحمل هذه الأيام، لكنه أمر لا يصل إلى درجة الملاحظة. ما زال إبصارها جيدًا جدًّا، رغم أن سمعها لم يعد كما كان من قبل.

لقد حافظت على لياقتها كذلك، وقد تكفل بهذا حبها للتنزه في الهواء الطلق. بل إن لديها كذلك شهادة تثبت أنها ليست امرأة عجوزًا. "تبدين بهيئة ممتازة" هكذا قال الطبيب الشاب –والذي يبدو بالطبع صغيرًا جدًّا على أن يكون طبيبًا- في آخر فحص طبي قامت به. في الواقع، كان ما قاله هو: "تبدين بهيئة ممتازة بالنسبة لعمرك".

لقد حافظت على قوامها، كما أن شعرها القصير ما زال محتفظًا بلونه الطبيعي الداكن، فقط مع بضع شعيرات رمادية تتناثر هنا وهناك. لكنها عندما نظرت في المرآة لاحظت التلف الذي أحدثه الزمن. أحيانًا لا تصدق ما تراه عيناها، وتشعر كما لو أن تلك المنعكسة صورتها غريبة عنها، واحدة لم تتعرف عليها، رغم أن وجهها مألوف. التجاعيد المتناثرة هنا وهناك، والجيبان الواقعان تحت عينيها، والجلد المترهل. من تلك المرأة، وما الذي كانت تفعله في مرآة هلدا؟

كانت تجلس في مقعدها الوثير المريح، مقعد أمها، تحملق إلى الخارج من نافذة غرفة معيشتها. لم يكن المنظر بديعًا جدًّا، منظر يمكنك جدًّا أن تتوقعه من نافذة شقة في الطابق الرابع،

تقع في أحد أبراج المدينة.

لم تكن الحال هكذا دومًا. فمن حين لآخر، سمحت لنفسها بلحظة عابرة من الحنين للأيام الخالية، للحياة مع العائلة في بيتهم المطل على البحر في شبه جزيرة ألفتينس. سمحت لنفسها بأن تتذكر. كان تغريد الطيور هناك أعلى صوتًا وأطول وتيرة، كل ما عليك هو أن تخرج إلى الحديقة لتتصل بالطبيعة. بالطبع، القرب من البحر جعل الرياح قوية، لكن هواء المحيط المنعش، على الرغم من برودته، كان بمثابة شريان يمد هلدا بالحياة. اعتادت أن تقف على الشاطئ أدنى منزلهم، وتغمض عينيها، وتملأ عقلها بأصوات الطبيعة -ارتطام الأمواج، وصياح النوارس- وتتنفس، هكذا ببساطة.

جرت السنوات بسرعة شديدة. لم يكد ينقضي زمنا منذ صارت أما، منذ أن تزوجت. لكنها عندما بدأت تحسب السنوات، أدركت أن هذا كان منذ عمر مضى. كان الزمن كآلة أوكورديون صغيرة: دقيقة مضغوطة، والدقيقة التالية ممتدة على اتساعها.

عرفت أنها ستفتقد وظيفتها، على الرغم من كل الأوقات التي شعرت فيها بالظلم لعدم تقدير مواهبها. على الرغم من العوائق التي كانت تصطدم بها دومًا في طريق تقدمها المهني.

الحقيقة كانت أنها تفزع من الوحدة، على الرغم من أن ثمة بقعة ضوء محتملة تلوح في الأفق. إنها ما زالت لا تدري إلى أين تمضي

صداقتها بالرجل الذي تعرفت إليه في النادي حيث تمارس رياضة المشي، لكن الاحتمالات التي تنفتح عليها تلك العلاقة مثيرة وفي الوقت ذاته مقلقة. لقد ظلت عزباء، بشكل ما، منذ صارت أرملة، ولم تفعل شيئًا لتشجع الخطوات التي اتخذها الرجل نحوها في البداية. لقد ظلت واقعة في سلبيات العلاقة، مفعمة بالقلق بسبب عمرها، وهو ما لم يكن جديرًا بها. ولقد حاولت دومًا بقدر استطاعتها أن تتجاهله، وفكرت في نفسها كامرأة تتمتع بشباب القلب. ولكن في هذه المرة، الرقم أربعة وستين! وقف حقًّا كعقبة في طريقها. ظلت تسائل نفسها أهي حقًّا فكرة صائبة أن تبدأ علاقة جديدة في ذلك العمر، لكنها سرعان ما أدركت أن هذا لم يكن سوى سبب فارغ لتجنب المخاطرة. كانت خائفة، هذا هو كل ما في الأمر.

أيًّا ما سيحدث، لقد عزمت هلدا على أن تتروى. ليس ثمة داع للاندفاع إلى أي قرار. إنها معجبة به، ويمكنها بسهولة أن تتخيل إمضاءها لسنوات أفولها معه. لم يكن حبًّا –فلقد نسيت كيف يبدو ذلك الشعور- لكن الحب لم يكن مطلبًا لها. كانا يشتركان في الشغف بالنزهات الخلوية، والتي لا يجب اعتبارها أمرًا مسلمًا به، وكانت تستمتع بصحبته. لكنها كانت تعلم أن ثمة سببًا آخر دفعها للموافقة على رؤيته ثانية بعد ذلك الموعد الأول. لو تحلت بالأمانة، فقد كان تقاعدها الوشيك هو العامل الحاسم؛ لا يمكنها أن تجابه شيخوختها المرتقبة وحدها.

(4)

رسالة البريد الإلكتروني أقلقت هلدا، رغم أن الطلب بدا بسيطًا جدًّا. أراد رئيسها في العمل أن يلتقيها في التاسعة ذلك الصباح، للتحدث وإنهاء بعض الأمور. لقد أُرسلت تلك الرسالة في وقت متأخر من مساء اليوم السابق، وهو أمر لم يكن في حد ذاته معتادًا، كما لم يكن من عادته على الإطلاق أن يرغب في بدء يومه بالتحدث إليها وإنهاء بعض الأمور. كانت هلدا معتادة على أن تراه يعقد مقابلات صباحية غير رسمية، لكن لم يحدث على الإطلاق أن تمت دعوتها إلى أحدها. لم تكن تلك اجتماعات عمل، بل كنت أقرب إلى جلسات لتقوية الصلة بينه وبين الأولاد، وهي لم تكن قطعًا واحدة من تلك الشلة. وعلى الرغم من كل السنوات التي أمضتها في موقع المسؤولية، كان لا يزال يخالجها الشعور بأنها لا تتمتع بثقة رؤسائها التامة، وحتى مرؤوسيها، لهذا السبب. ولم تستطع الإدارة أن تغض الطرف عنها تمامًا فيما يخص الترقيات، لكنها في النهاية، جابهت دومًا عراقيل وقفت في طريق تقدمها المهني. ظلت المواقع التي طمحت لشغلها تذهب إلى من هم أصغر منها، من الزملاء الذكور، وفي النهاية، تقبلت تلك الأمور الحتمية. وبدلًا من التقدم لشغل مواقع قيادية أخرى، وطنت نفسها على أداء وظيفتها، كمفتش مباحث، بكل طاقتها.

لذا، فببعض التوجس، سارت في الممر المفضي إلى مكتب

ماجنس. استجاب لطرقاتها على الفور، بلطف كعادته، ومع هذا، خالج هلدا الشعور بأن هذا الود كان ظاهريًّا فقط.

قال: "اجلسي يا هلدا". وتسمرت لما بدا لها في صوته دلالة على التلطف، سواء عن قصد أو دون قصد.

ردت: "لدي أعمال كثيرة، هل الأمر مهم؟".

أعاد قوله: "اجلسي. نحتاج إلى أن نتحدث قليلًا عن موقفك". كان ماجنس في بداية الأربعينيات، ولقد صعد سريعًا درجات السلم الوظيفي كرجل شرطة. كان طويلًا بادي الصحة، رغم أن شعر مقدمة رأسه قد خف بما لا يتناسب مع عمره.

جلست وقد غاض قلبها. يقول: موقفها؟

بدأ ماجنس كلامه مبتسمًا: "لم يبق لك الكثير الآن".

وعندما لم تستجب هلدا بحرف، تنحنح وحاول ثانية، وقد زاد ارتباكه قليلًا: "أعني أن هذا آخر عام لك معنا، أليس كذلك؟".

قالت مترددة: "أجل، هذا صحيح. سأتقاعد في نهاية هذا العام".

قال: "بالضبط. والموضوع هو أن..". ثم بتر حديثه وكأنما ليتخير كلماته بعناية "حصلنا على شاب سينضم إلينا في الشهر القادم. شاب متميز حقًّا".

ما زالت هلدا غير متيقنة إلى أين تتجه هذه المحادثة.

أكمل ماجنس: "سيتسلم العمل منك. نحن محظوظون حقًّا بالفوز به. كان باستطاعته السفر إلى الخارج، أو العمل بالقطاع الخاص".

شعرت وكأنما تلقت لكمة في معدتها. "ماذا؟ يتسلم العمل مني؟ ماذا... ماذا تعني؟".

"سيتسلم وظيفتك ومكتبك".

لم تتفوه هلدا بحرف. وبدأت الأفكار تتزاحم في عقلها. "متى؟" هكذا سألت بصوت أجش، بعد أن استعادت صوتها ثانية.

"خلال أسبوعين".

سألت: "لكن... لكن ماذا سيحدث لي؟" وقد شعرت بالهزيمة لسماعها النبأ.

"يمكنك أن تغادري الآن، على الفور. لم يبق أمامك الكثير على أي حال. المسألة كلها تقديم موعد رحيلك بضعة أشهر".

"أغادر؟ على الفور؟".

"أجل، وستحصلين على كامل مستحقاتك بالطبع. نحن لا نطردك يا هلدا، كل ما في الأمر أنك ستحصلين على إجازة لبضعة أشهر، وبعدها، ستتلقين مباشرة راتبك التقاعدي. ولن يؤثر هذا

على مقدار ما ستحصلين عليه. لا داعي لكل هذه الدهشة البادية عليك. إنها صفقة رابحة. أنا لا أحاول أن أبخسك حقك".

"صفقة رابحة؟".

"بالطبع. ستمنحك وقتًا إضافيًّا لممارسة هواياتك. وقتًا إضافيًّا لـ..". وشى التعبير على وجهه بحقيقة أنه لا فكرة لديه عما تواجهه في وقت فراغها. "وقتًا إضافيًّا لتمضيه مع..". مرة ثانية، توقف في منتصف الجملة، لا بد أنه يعلم أن هلدا ليست لها أسرة.

"إنه عرض كريم منك، لكني لا أريد أن أتقاعد مبكرًا".

قالتها هلدا بصلابة، محاولة السيطرة على تعبيراتها. "شكرًا، لا داعي".

"في الواقع، ليس هذا عرضًا، لقد اتخذت قراري بالفعل". اكتسب صوت ماجنس شيئًا من الحدة.

"قرارك؟ أليس لي أي رأي؟".

"آسف يا هلدا. نحتاج إلى مكتبك".

وإلى أن تحيط نفسك بفريق شاب.. هكذا فكرت هلدا.

"أهذا كل ما أتلقاه من شكر؟" استطاعت أن تتبين الرعشة في صوتها.

"والآن، لا تأخذي الأمور على هذا النحو السيئ. لم يقصد بهذا

التقليل من قدراتك. هلمي يا هلدا، أنت تعرفين أنك أحد أفضل ضباطنا.. أنا وأنت نعلم هذا".

"لكن ماذا عن القضايا التي أتولى مسؤوليتها؟".

"لقد نقلت أغلبها بالفعل لأعضاء الفريق الآخرين. قبل أن تغادري، يمكنك أن تجلسي مع الفتى الجديد لتضعيه في الصورة. إن أكبر قضية تتولينها حاليًا هي حاثة الدهس لذلك البيدوفيلي. هل أحرزتِ أي تقدم فيها؟".

فكرت لهنيهة. سيرضي كبرياءها أن تنهي خدمتها بعبارة مكتوبة بالبنط العريض: أقفلت القضية، اعترف المتهم. امرأة، في لحظة جنون، قررت أن تطبق القانون بيدها، لتحول دون سقوط المزيد من الأطفال في قبضة متحرش. ربما هناك بعض من العدالة في هذا الهجوم، انتقام عادل...

"للأسف، لم أحرز أي تقدم في حل تلك القضية. لو طلبت رأيي، على الأرجح ليس الأمر سوى حادثة وقعت بالمصادفة. أنصح بحفظ ملفات القضية في الوقت الحالي، ونأمل أن يظهر السائق الجاني في الوقت المناسب".

"اممم، تمامًا. حسنًا. جميل. سننظم حفل استقبال بسيطًا لنودعك وداعًا رسميًّا في وقت لاحق من هذا العام، عندما تتقاعدين رسميًّا. لكن يمكنك أن تخلي مكتبك اليوم، لو أحببتِ".

"تريدني أن أغادر... اليوم؟".

"طبعًا، لو أحببت. أو يمكنك أن تبقي لأسبوعين آخرين، إذا كنت تفضلين ذلك".

"نعم، من فضلك". قالتها، وندمت فورًا على كلمتي "من فضلك". "سأغادر عندما يبدأ الفتى الجديد، لكن حتى ذلك الحين، سأستمر في العمل على قضاياي".

"مثلما أخبرتك، لقد تم تكليف آخرين بها. لكن، حسنًا، أعتقد يمكنك دائمًا أن تطلعي على ملفات القضايا القديمة غير المحلولة. أي شيء يروق لك. ما رأيك في هذا؟".

شعرت بحافز مفاجئ لأن تنهض وتندفع خارجة، وألا تعود أبدًا، لكنها لم تكن تنتوي أن تمنحه شيئًا يرضيه.

"حسنًا، سأقوم بهذا. أي قضية تعجبني؟".

"أحم، نعم، على الإطلاق. أي قضية تعجبك. أي شيء تشغلين نفسك به".

شعرت هلدا بغريزتها أن ماجنس يريدها أن تخرج من مكتبه، لديه أمور أهم تشغله.

"عظيم. سأحاول أن أشغل نفسي، طالما الأمر كذلك". قالتها متهكمة، ونهضت واقفة، ثم مضت لتخرج دون وداع ولا كلمة شكر.

(5)

عادت هلدا إلى مكتبها بخطوات متعثرة في حالة من الصدمة. شعرت وكأنما طُردت، ألقوا بها في الشارع، وكأنما كل سنين خدمتها لم تعن لهم شيئًا. كانت خبرة جديدة تمامًا عليها. إنها تعرف أنها مبالغة في ردة فعلها، وأن عليها ألا تأخذ الأمور على هذا المحمل، لكن يبدو أنها عاجزة عن التخلص وطأة ذلك الإحساس الذي يثقل معدتها.

جلست إلى مكتبها وحملقت بنظرة خاوية في جهاز الحاسب، مفتقدة حتى إلى الطاقة التي تعينها على فتحه. مكتبها، الذي كان حتى اليوم وكأنه بيتها الثاني، بدا فجأة غريبًا عنها، وكأنه أصبح بالفعل ملكًا لمالكه الجديد. المقعد القديم بدا غير مريح، والمكتب الخشبي بني اللون بدا متهالكًا حائلًا، والملفات لم تعد تعني لها شيئًا. إنها عاجزة عن تحمل فكرة أن تمضي هنا دقيقة واحدة أخرى.

أرادت شيئًا تلهي به نفسها، شيئًا يشغل عقلها عما حدث. وما قد يكون أفضل من أن تأخذ ماجنس بكلمته، وأن تفتش في ملفات القضايا القديمة غير المحلولة؟ لكن في واقع الأمر، لم تحتج هلدا إلى التفكير مرتين، ثمة حادثة واحدة لم تُحل تصرخ لإعادة فتح ملفاتها.

لقد تولى تحقيقاتها الأصلية أحد زملائها، وقد تابعت تقدمها فقط من بعيد، لكن ربما يمنحها هذا الأمر ميزة، فهو يكفل لها الاقتراب من الدليل بعينين غير مسوقتين بانطباع مسبق.

في القضية جريمة قتل دوافعها غير معروفة، قد تظل لغزًا على الأرجح، ما لم يظهر بها دليل جديد. ما من أحد يعلم أين يكمن الخير، قد تكون هذه فرصة متخفية. ليس للمرأة الميتة من يدافع عنها، لكن هلدا يمكنها أن تأخذ دور المحامي، ولو بالقليل الذي يمكنها أن تقدمه. يمكن إنجاز الكثير خلال الأسبوعين. ليس لديها أي أمل حقيقي في أن تحل لغز القضية، لكن الأمر يستحق المحاولة. وأكثر من هذا، ستمنحها هدفًا. كانت عاقدة العزم حقًّا على أن تحضر إلى المكتب يوميًّا، إلى أن يأتي ذلك الفتي ليقصيها. دار بخلدها أن تقدم شكوى رسمية في شؤون العاملين بخصوص الطريقة التي عوملت بها، وتطالب باستكمال العام، لكن أمامها ما يكفي من الوقت للتفكير في ذلك لاحقًا. أما الآن، هي تريد أن توجه طاقتها إلى شيء أكثر إيجابية.

كان أول إجراء اتخذته هو اخراج ملف القضية لتنعش ذاكرتها بالتفاصيل. لقد عُثر على جسد الشابة في صباح أحد أيام الشتاء المظلمة في كهف صخري على خليج فاسليسوسترند، وهي بقعة قليلة السكان تمتد على شاطئ شبه جزيرة ريكانيس، التي تقع على بعد نحو 30 كيلومترًا جنوب ريكيافيك. لم تذهب هلدا إلى ذلك الكهف بالذات من قبل، لم يحدث أن كان لديها سبب معين

يدفعها إلى الذهاب هناك، رغم معرفتها بالمنطقة، إذ كثيرًا ما مرت عليها أثناء قيادتها السيارة في طريقها إلى المطار. كانت بقعة منزوية من البلاد معرضة دومًا لهبوب الرياح، وبسبب حقول الحمم البركانية التي تنعدم بها الأشجار، فليس ثمة ملاذ بها للحماية من العواصف التي تهب عليها بانتظام من المحيط الأطلنطي متجهة إلى الجنوب الغربي.

وفي خلال العام الذي مر منذ ذلك الحين، أو أكثر قليلًا، تلاشت الحادثة من ذاكرة الناس. ولا يعني هذا أنها حظيت بتغطية إعلامية جيدة وقت حدوثها. فبعد التقارير المعتادة عن العثور على جثة، لم تحظ المتابعة إلا بقليل من الاهتمام. لقد ركزت الأخبار اهتمامها على موضوعات أخرى. كل هذا مع أن أيسلندا واحدة من أكثر بلاد العالم أمانًا، لا يقع بها إلا نحو حادثتي قتل فقط سنويًّا، وفي بعض السنوات لا تقع أي حوادث قتل على الإطلاق، حتى إن حوادث الموت العرضية كانت هي الأكثر شيوعًا، ويشعر الصحفيون بقليل من التعويض في تغطيتها.

لم تكن لامبالاة الإعلام هي ما أزعج هلدا، ما أهمها أكثر هو الشك في أن زميلها في قسم التحقيقات الجنائية الذي تعامل مع القضية متهم بالإهمال. أليكساندر.. لم تثق يومًا في قدراته. في رأيها، لم يكن مجتهدًا ولا ألمعيًّا، ولم يتثبت في مكانه بالمباحث الجنائية إلا من خلال مزيج من العناد والعلاقات الجيدة. في عالم أكثر عدلًا، كانت لترتقي فوقه، إذ كانت تعلم جيدًا أنها أكثر منه

ذكاء ووعيًا وخبرة، ورغم كل هذا، ظلت ملتصقة بالقاع. في أوقات مثل هذه، كانت تعجز عن مقاومة شعورها المؤلم بالمرارة. كانت مستعدة لتفعل أي شيء فقط لتكون لديها السلطة التي تخولها أن تتقدم لتعتصر القضية من بين يدي المحقق الذي كان جليًّا أنه غير كفء لأداء وظيفته.

كان افتقار ألكساندر للحماسة المطلوبة لإجراء التحقيقات واضحًا كالشمس خلال اجتماعات الفريق، حين -بصوت رتيب- حاول بشتى الطرق الوصول إلى أي دليل يشير إلى الموت نتيجة حادث عرضي. وتقريره، كما اكتشفت هلدا الآن، كان عملًا مهترئًا أشبه بالقمامة. ولقد تضمن ملخصًا موجزًا غير وافٍ عن نتائج تشريح الجثة، منتهيًا بالديباجة المعتادة التي تقال في حالة الجثث التي يجرفها البحر، وهو ما كان له أن يحدث إلا لو كان في الأمر لعبة قذرة. وبالطبع لم تقدم التحقيقات شيئًا مفيدًا، وتم تهميش القضية لصالح قضايا أخرى رأوها أكثر أهمية. لم تستطع هلدا منع نفسها من التساؤل عن درجة الاختلاف في رد الفعل تجاه القضية لو كانت الشابة أيسلندية. هل كان ثمة شك في أن يمنحوا القضية لمحقق أكثر كفاءة لو كان الرأي العام متعطشًا للنتائج؟

كانت المرأة الميتة في السابعة والعشرين من عمرها، وهو نفس السن الذي أنجبت فيه هلدا ابنتها. فقط في السابعة والعشرين، في ربيع عمرها، أصغر كثيرًا من أن تكون موضوعًا لتحقيقات

الشرطة، في قضية قديمة غير محلولة، ما من أحد مهتم، ولو من بعيد، بإعادة فتحها، فيما عدا هلدا.

طبقًا لتقرير الطبيب، المرأة غرقت في الماء المالح. إصابات رأسها مؤشر محتمل على تعرضها للعنف قبل موتها، لكنها، وهو احتمال وارد، قد تكون تعثرت وارتطم رأسها وسقطت في البحر.

كان اسم الضحية هو إيلينا، وكانت لاجئة من روسيا، لم يمض على وجودها في أيسلندا سوى أربعة أشهر. ربما كان أحد الأسباب التي صعبت على هلدا ترك القضية تموت هو السرعة التي نسي بها الجميع -عداها- إيلينا. لقد جاءت إلى بلد أجنبي بحثًا عن ملاذ، ولم تجد لنفسها سوى قبر في البحر، وما من أحد يهتم. علمت هلدا أنها لو لم تتشبث بتلك الفرصة الأخيرة لتسبر أغوار اللغز، فلن يكلف أحد غيرها عناء الاهتمام بالأمر. ستضيع قصة إيلينا في غياهب النسيان، وستصير ببساطة الفتاة التي جاءت إلى أيسلندا ثم ماتت.

(6)

قادت هلدا سيارتها متجهة جنوبًا مبتعدة عن ريكيافيك، متتبعة ما كان يومًا طريقها المعتاد عندما كانوا يعيشون في بيتهم الصغير المطل على البحر في شبه جزيرة ألفتينس. لم تذهب إلى هناك منذ سنوات، منذ بيع البيت واتخذت قرارًا بعدم الرجوع.

ظهرت شبه الجزيرة الآن، دانية وخضراء، على امتداد الخليج الواقع على يمينها. بدت ألفتينس دومًا شبه ريفية، لها عالمها الصغير الخاص، بعيدة عن الزحف الحضري لريكيافيك، لكن ثمة امتداد عمراني ظهر هناك منذ ذلك اليوم.

ومع تجاوزها ألفتينس، وتجاوز حياتها القديمة معها، ركزت على وجهتها المقصودة، مدينة نياردفيك الصغيرة، التي تقع بالقرب من مطار كيفلافيك، في شبه جزيرة ريكانيس. كانت ذاهبة لزيارة مأوى اللاجئين، حيث كانت تقيم إيلينا، طبقًا لملف القضية، وقت وفاتها.

كان بإمكان هلدا أن تحصل على إجازة لبقية اليوم وتعود إلى بيتها. على الرغم من سقوط الأمطار، كان في الجو لمحة من الربيع. فالآن، ومع مجيء مايو، يمكنك حقًّا أن تبدأ في ملاحظة تأخر حلول الظلام، إذ أخذت الأمسيات المضيئة نصيبها من شمس منتصف الليل. كان ذلك الوقت من العام بديعًا مفعمًا بالحياة، حيث ينحسر رويدًا رويدًا ظلام شتاء الشمال، وتزداد المساءات سطوعًا، حرفيًّا يومًا بعد يوم، حتى منتصف يونيو، حيث ينعدم الليل بالمرة. عاودتها ذكرى ساطعة لليالي الصيف المذهلة تلك، في مكانهم القديم في ألفتينس. ففي الخارج، في حديقتهم الخلفية، حيث ثمة متنفس حقيقي، يمكنك أن تشاهد الشمس وهي تنغمر في البحر، تاركة السماء وقد اصطبغت بالبرتقالي والأحمر، وطيور الشاطئ تصدح طيلة الليل في ضوء

الشفق الناعم. أما في شقة مكدسة واقعة في أحد مباني المدينة السكنية، فجميع فصول السنة تتشابه، تنغمس الصباحات في ضبابية رتيبة، وينفلت الوقت بسرعة محيرة.

وكأن الصيف ليس صغيرًا بما يكفي. ففي ذروته، في يوليو، يبدأ الظلام عودته الخبيثة، متسللًا إلى حياة الأيسلنديين، في البداية على هيئة عتمة قليلة لا أكثر، وبعدها، في أغسطس، وهو أحد الشهور التي لا تفضلها هلدا، تعود الليالي ثانية، كتذكرة بدنو الشتاء.

لا، إنها لا تفكر في العودة إلى البيت الآن. ليس بعد أن ألقى ماجنس بقنبلته. لو انحبست بين جدران شقتها الأربعة لربما أصيبت بالجنون، إذ ليس ثمة ما يلهيها عن فكرة التوقف عن العمل التي تغتال روحها. كان التقاعد أمرًا لم تهيىء هلدا نفسها له من الناحية العقلية. كان مجرد موعد، مجرد عام، مجرد عمر، وكلها افتراضات محضة. إلى أن جاء اليوم، حيث أصبح فجأة حقيقة قاسية باردة.

ارتدت أفكارها إلى الحاضر. كانت ممتنة للطريق المزدوج، حيث أمكنها أن تلزم حارة الجانب الأيمن وتسمح لغيرها من السائقين نافدي الصبر أن يتجاوزوها وينطلقوا مسرعين. كانت تقود سيارة سكودا موديل الثمانينيات، أثر قديم يعود إلى تلك الأوقات حين كان معظم الأيسلنديين يروحون ويجيئون في سيارات رخيصة مصنوعة في دول شرق أوروبا، موديلات دول

الاتحاد السوفيتي أو التشيك، غالبًا من الدول التي تعاونت أيسلندا معها في مجال تجارة الأسماك. كانت خضراء زاهية اللون، من طراز ذي بابين، لم توصف يومًا بأنها سريعة، وقد تزايدت حاجتها إلى الصيانة هذه الأيام. وعلى الرغم من طبيعتها العملية، لم تكن هلدا تفقه شيئًا في الميكانيكا، لكنها لحسن الحظ كانت تعرف رجلًا عاش على إصلاح تلك السيارات القديمة، وبفضلة ظلت السكودا الأصيلة تجري على الطريق.. حتى الآن.

مضى وقت طويل منذ آخر مرة قادت هلدا سيارتها متجهة جنوبًا، على امتداد هذا الساحل. نادرًا ما احتاجت للذهاب إلى شبه جزيرة ريكانيس. حتى المطار الدولي، الوجهة الأساسية في تلك النواحي، لم يكن ذا أهمية كبيرة بالنسبة لها. ليس الأمر لأنها عازفة عن السفر إلى البلاد الأجنبية، فلو واتتها الفرصة لأحبت ذلك، وإنما السبب يعود إلى أن ميزانيتها ستقف كعائق أمام أي خطط من هذا النوع. فراتبها من عملها الشرطي لن يغطي الرحلات إلى ما وراء البحار، إنه أصلًا لا يكفي لخروجاتها اليومية. في الأيام الخوالي، كانت مثل تلك الرفاهيات متاحة بكل يسر. لقد امتلك زوجها شركته الاستثمارية، التي درت عليهم ما ظنته يومًا بسذاجتها عائدًا محترمًا، لذا فقد كانت بالنسبة لها صدمة أن تعلم، بعد وفاته المفاجئة، أن أمانهم المادي لم يكن إلا وهمًا. فبمجرد أن تمكن المحامون من حل تعقيدات التركة، اتضح أن الديون الموروثة تفوق ممتلكاتهم. وكانت النتيجة هي اضطرارها لبيع بيتهم الجميل والبدء من جديد، تقريبًا من

الصفر، وهي في منتصف العمر. كانت تترك الجوانب المالية من الأمور تمامًا لزوجها، ولم تدخر أبدًا شيئًا لنفسها، لذا، فقد كان أبعد ما يكون عن السهولة أن تتعلم الحياة في حدود إمكاناتها، وبميزانيتها الجديدة المحدودة. اشترت في البداية شقة صغيرة، ثم باعتها فيما بعد، وصارت تعيش الآن في شقة أكبر قليلًا في أحد المجمعات السكنية. فبسوء حظ لا يصدق، حسنت حالتها بالانتقال إلى هذا المكان، برهن عقاري مرتبط بمؤشر التضخم، عشية الأزمة المالية وانهيار البنوك، فصارت الآن مكبلة بدين هائل، وفوائد شهرية كبيرة تستدر من عينيها الدمع السخين.

وجدت هلدا دومًا أن القيادة في طريق المطار أمر كئيب، بل ومحبط. امتدت حقول الحمم على كلا جانبيه، خاليًا، تعصف به الرياح، أجرد لا يعلو فيه إلا جبل كيلر المخروطي وغيره من الجبال المنخفضة جهة الجنوب، ويطل على البحر الرمادي الغادر من ناحية الشمال. كانت منطقة خطرة، تمتلئ بالفوهات البركانية المختبئة وسحب البخار، تدميها القوى العنيفة التي تعتمل أسفل القشرة الأرضية، هنا، حيث تمتد أيسلندا فوق المنطقة الفاصلة بين لوحين قاريين. اشتهرت تلك الجبال بممارسي رياضة التسلق، ولقد تسلقت هلدا نفسها بعضًا من تلك الجبال، لكن عدا هذا، كان هذا مشهدًا تستحب رؤيته من بعيد، بدلًا من التوغل فيه على القدمين، فكل من يغامر بالخوض في بحار الحمم قد يتعرض للإصابة، وببساطة يختفي.

لكن اليوم كانت الشمس تشرق على شبه الجزيرة، رغم هبوب ريح عاصفة، وباستطلاع الخليج، استطاعت هلدا أن ترى سحب الأمطار لا تزال دانية فوق ريكيافيك. وأخيرًا، ارتفعت سلسلة من المباني السكنية البيضاء ذات أسطح زرقاء، فوق المساحات الخالية من المعالم، تعلن عن ضواحي نياردفيك، فانعطفت إلى المدينة. لم تكن كبيرة، لكن، بما أنها لا تعرف الطرق فيها، فقد استغرقت بعض الوقت في القيادة بلا هدف في أنحاء الشوارع، قبل أن تعثر أخيرًا على النُّزُل.

لم تتصل بهم مسبقًا لتعلمهم بقدومها، لم يخطر حتى على بالها أن تفعل، إذ هي على عجلة من أمرها للخروج من مركز الشرطة، هربًا من الجو القمعي، الذي بدا وكأنما خيم على المكتب لحظة تلقيها الأنباء السيئة. ظلت تتخيل الممرات ملأى بأناس يثرثرون عنها، وأن جميع زملائها عرفوا بالركلة التي تلقتها وألقت بها خارجًا، وأنها إضافة إلى ذلك، صارت زائدة عن الحاجة، وأنه تم التخلص منها لصالح نموذج شاب جديد. اللعنة على كل ذلك.

لم تكن المرأة الشابة في مكتب الاستقبال تتعدى بأي حال الخامسة والعشرين. قدمت هلدا لها نفسها كمفتش مباحث، دون الدخول في تفاصيل عن سبب الزيارة. المرأة الشابة لم يطرف لها جفن.

"حسنًا؟ ما الذي يمكنني فعله لك؟ هل تحتاجين إلى التحدث إلى أحد نزلائنا؟".

مما استطاعت هلدا أن تستنبطه، كان النُّزل يستعمل حصريًّا كمكان لإقامة مرتادي الملجأ. لم يكن مكانًا مرحبًا. كادت أن تحس باليأس يسري في الأجواء، بالصمت والتوتر. طليت الجدران بالأبيض الشاهق، وليس ثمة هنا ما يذكر المرء ببيت أو حتى بفندق. هذا مكان يمكث فيه الناس على الأعراف في انتظار معرفة قدرهم.

"لا، أرغب فقط في تبادل كلمتين مع المسؤول هنا أيًّا كان".

"طبعًا، هذا هو أنا، دورا".

استغرقت هلدا دقيقة لتستوعب أن هذه الشابة هي مديرة النزل. قالت: "آه، حسنًا". محرجة وخجلة لعدم فطنتها.

لم يخطر أبدًا على بالها أن مثل هذه الشابة اليافعة صغيرة الحجم يمكن بأي حال أن تكون مسؤولة عن إدارة المكان. "أيوجد مكان يمكن أن نتبادل فيه كلمة على انفراد؟".

كان لدورا شعر بني قصير وسمت رسمي. وعلى الرغم من أن ابتسامتها كانت ودودة بما يكفي، إلا أن طريقتها في التحديق كانت حادة بشكل يبعث على القلق. قالت: "بالطبع، لا مشكلة. لدي مكتب في الخلف تقريبًا".

ونهضت بلا كلمة أخرى، وتقدمتها سائرة في الممر بخطى سريعة، بينما تبعتها هلدا خطوة بخطوة. كان المكتب صغيرًا، لا يخصها وحدها، غطت نوافذه ستائر داكنة، وتدلى من سقفه

مصباح واحد ألقى بضوء شحيح على محتوياتها الهزيلة. لم يكن ثمة كتب ولا أوراق، لا شيء إلا حاسبًا محمولًا على المكتب.

جلستا، وانتظرت دورا، ساكنة لم تتفوه بكلمة، لتقوم هلدا بعملها. بحثت هلدا عن الكلمات المناسبة، ثم بدأت حديثها: "السبب في مجيئي إلى هنا... أنني أحقق في وفاة، وقعت منذ ما يزيد قليلًا على عام، لامرأة كانت واحدة من نزيلاتك".

"وفاة؟".

"أجل. كان اسمها إيلينا. كانت طالبة لجوء".

"آه، هي. أنا معك. لكن..". وعبست دورا في حيرة. ثم أكملت: "ظننت أن القضية أُغلقت. لقد رن علي.. أنت تعرفينه، ذلك المخبر، لقد نسيت اسمه..".

أخبرتها هلدا: "أليكساندر". واستحضرت صورته إذ نطقت باسمه: متهدل، بدين، تسبح عيناه في خواء، لم تره يومًا إلا وجزت على أسنانها.

"نعم، أليكساندر، كان هذا هو اسمه. رن ليقول لي إنه أغلق القضية لأن التحريات لم تصل إلى شيء قاطع، وأنه -بشكل شخصي- يعتقد أنه مجرد حادث غير مقصود، أو ربما انتحار... فقد انتظرت إيلينا دهورًا ليأتيها أي رد على الطلب الذي قدمته".

"أتقولين أنها انتظرت لوقت أطول من المعتاد؟ ما فهمته أنها

بقيت هنا أربعة أشهر".

"أوه، لا، ليس بالضبط، هذه المدة ليست خارجة عن المألوف، لكنني أظن أن تأثير الانتظار يختلف من شخص لآخر. ربما كان ضاغطًا عليها".

"أتوافقينه الرأي؟".

"أنا؟".

"نعم، أنت. أتعتقدين أنها أغرقت نفسها؟".

"لست خبيرة. ليست لدي فكرة عما يجب أن أعتقد. لست أنا من قام بالتحريات. ربما هو.. ما اسمه..".

"أليكساندر".

"آه، أليكساندر. ربما يعرف ما لا أعرفه". وهزت دورا كتفيها.

أشك في هذا كثيرًا، هكذا فكرت هلدا، وقد قاومت إغراء التصريح بهذا بصوت مرتفع. "لكن لا بد أنك تساءلتي".

"حسنًا، بالتأكيد، لكننا هنا مشغولون جدًّا. والناس يجيئون ويذهبون طوال الوقت، وما حدث هو أنها قد ذهبت بالمثل. على أي حال، ليس لدي وقت لأضيعه في التساؤل عن مثل هذه الأمور".

"لكنك عرفتِها بالتأكيد".

"ليس تمامًا. لم أعرفها أكثر مما عرفت أيًّا من الآخرين. انظري، أنا هنا أدير عملًا. هذه هي الطريقة التي أكسب بها قوتي، لذا علي أن أركز على المهام الإدارية اليومية. ربما يكون الأمر مسألة حياة أو موت بالنسبة للنزلاء، لكن كل ما يهمني هو إدارة المكان".

"هل يوجد هنا شخص آخر ربما عرفها بشكل أفضل؟".

بدت دورا وكأنها تفكر في الأمر. "أشك. لن تجدي من عرفها بشكل أفضل. كما أخبرتك، النأس يجيئون ويذهبون طوال الوقت".

"إذًا، دعيني أستوعب هذا بشكل مباشر: هل تقولين إن أحدًا من نزلائك الحاليين لم يكن موجودًا هنا عندما كانت إيلينا على قيد الحياة؟".

"أوه، حسنًا، هناك دائمًا احتمال قائم..".

"وهل بإمكانك أن تتأكدي؟".

"أظن هذا".

استدارت دورا إلى اللابتوب وبدأت تنقر على الأزرار. وأخيرًا، رفعت إليها بصرها. "شابان عراقيان.. ما زالا هنا. يمكنك مقابلتهما خلال دقيقة. وامرأة سورية".

"أيمكنني مقابلتها أيضًا؟".

"أشك في هذا".

"ولماذا؟".

"ذهبت إلى مكان ما. جاء محاميها في وقت مبكر وأظن أنهما ذهبا إلى ريكيافيك. حدثت بعض التطورات في قضيتها، لا بد أن هذا هو ما حدث، بالنظر إلى أن كل ما كانت تفعله هو أن تجلس في غرفتها وتغلق عليها بابها وتنتظر. لم تكن حتى تهبط لتناول وجباتها. هذا هو كل ما أعرفه، فالمحامون لا يخبرونني بشيء بالطبع، لكنني خمنت من منظرهما أن شيئًا قد حدث. لنأمل أن تكون أخبارًا جيدة، لكن لا يمكننا بأي حال أن نتأكد من هذا".

"كلميني عن إيلينا. كيف كانت تتصرف؟ كيف كان موقفها؟".

"ليس عندي أدنى فكرة".

"هل كان لديها محام يعمل على قضيتها؟".

"نعم، أظن هذا، رغم أني لا أستطيع أن أتذكر من كان هو، هذا إن كنت قد عرفته أصلًا".

"حسنًا، هل لديك أي فكرة من قد يكون؟".

"إنهم في الغالب نفس الأشخاص". هكذا قالت دورا، وعدت ثلاثة أسماء، دونتهم هلدا على ورقة.

"هل يمكن رؤية غرفتها؟".

سألت دورا: "لماذا تبحث الشرطة في هذا الأمر ثانية؟".

"انظري، هل يمكنك فقط أن تدليني على غرفتها؟" هكذا انفجرت فيها هلدا وقد نفد صبرها.

ردت دورا متأففة: "حسنًا، حسنًا. لن يضيرك أن تظهري بعض اللطف معنا كما تعلمين. ليست مزحة أن نجد أنفسنا متورطين في مثل هذا الأمر".

"وهل أنت متورطة فيه؟".

"أوه، أنت تعرفين ما أعنيه. غرفتها في الأعلى، لكن هناك شخصًا آخر يسكنها الآن. لا يمكننا ببساطة أن نقتحم عليه المكان".

"هل يمكنك على الأقل أن تتأكدي إذا ما كان موجودًا بها الآن؟".

انتفضت دورا خارجة من المكتب، وانطلقت في الممر، ثم صعدت السلم، وهلدا تتبعها مسرعة. وبعد مرورها بعدة أبواب، توقفت دورا عند باب وطرقته. أجابها شاب وشرحت له دورا بالإنجليزية أن الشرطة تريد رؤية غرفته. بدا الانزعاج واضحًا على الشاب، فأسرع يسألها: "يريدون إعادتي إلى بلدي؟" وظل يكرر السؤال عدة مرات بلا توقف قبل أن تتمكن دورا من أن تطمئنه وتؤكد له أن زيارة الشرطة لا علاقة لها به. كادت الدموع أن تطفر من عينيه لشعوره بالنجاة، فأومأ بتردد، رغم علم هلدا بأن القانون لا يُلزمه بإدخالهما. ومع هذا، فالشاب المسكين على الأرجح لن يجرؤ على المطالبة بحقوقه لرجال شرطة الدولة

الأجنبية التي يلجأ إليها. شعرت بقليل من الخجل من نفسها لوضعه في هذا الموقف. ومع هذا، فالغاية تبرر الوسيلة، وليس أمامها الكثير من الوقت.

سألت هلدا دورا بمجرد دخولهما الغرفة: "أكانت تتحدث الإنجليزية؟" بينما ظل الساكن الحالي يقف مرتبكًا في الممر خارج الغرفة.

تلفتت دورا حولها وقالت: "معذرة؟".

"أقصد الفتاة الروسية. إيلينا".

"قليلًا جدًّا. ربما كانت تفهمها قليلًا، لكن لم يكن باستطاعتها إجراء محادثة بالإنجليزية، فقط بالروسية".

"أكان هذا هو السبب في أنك لم تتعرفي إليها".

هزت دورا رأسها نفيًا، وقد بدا عليها المرح: "أوه، لا، أنا لا أتعرف على أي منهم، بغض النظر عن اللغة التي يتحدثونها".

"لا يوجد الكثير من الحجرات هنا".

قالت دورا: "أنا لا أدير فندقًا فخمًا".

"هل كانت تتخذ الغرفة مسكنًا لنفسها فقط؟".

"أجل. ولم تكن من النوع المزعج، على حسب ما أذكر".

"من النوع المزعج؟".

"نعم. لم تكن تصدر جلبة.. تفهمين ما أقصد. ليسوا جميعًا يستطيعون تحمل الانتظار. أحيانًا يكون الأمر شاقًّا".

ضمت الغرفة الصغيرة الشبيهة بالزنزانة سريرًا، ومكتبًا صغير الحجم، وخزانة ملابس. كانت هناك بعض الأغراض الشخصية، عدا سروالًا رياضيًّا مفرودًا على السرير، وشطيرة خبز محمص موضوعة على المكتب أُكل نصفها.

لاحظت هلدا أمرا فسألت: "لا تلفاز هنا؟".

"كما أخبرتك، ليس هذا فندقًا فاخرًا. هناك تلفاز في الاستراحة بالأسفل".

"هل هناك أي احتمال أن تكون قد تركت وراءها بعضًا من أغراضها؟".

"للأسف لا أتذكر. إذا اختفى الناس بلا أثر ولم يظهروا ثانية، عادة ما أرمي أغراضهم بالخارج".

"وحتى لو ماتوا؟".

"أجل".

على أي حال، أمكن معرفة القليل جدًّا من الغرفة، من أول نظرة. ألقت هلدا نظرة أخرى سريعة حولها، فقط لتحاول أن تضع نفسها مكان الفتاة المتوفاة، لتأخذ انطباعًا عن شكل حياتها خلال تلك الأشهر القليلة الماضية، منبوذة ضائعة في بلد غريب

وفي نزل لا يرحب بها، حيث لا يتحدث أحد بلغتها. محبوسة بين الجدران الأربعة لغرفة صغيرة، تمامًا كما تشعر هلدا أحيانًا في شقتها كسجينة، وحيدة تمامًا، ليس ثمة من يُعنى بها. وكان هذا هو أسوأ جزء.. ألا يوجد من يُعنى بها.

ولثانية واحدة فقط، أغمضت هلدا عينيها وحاولت أن تستنشق أجواء الغرفة، لكن كل ما استطاعت استنشاقه هو رائحة حساء الفطر التي تهب في المبنى آتية من المطبخ.

(7)

قبل أن تغادر، تبادلت هلدا حديثًا قصيرًا مع الرجلين القادمين من العراق. ذلك الذي تكلم معها تحدث بإنجليزية جيدة جدًّا. لقد عاشا في أيسلندا لمدة تزيد على عام، وكان من الواضح أنهما ممتنان للفرصة التي أتيحت لهما بأن يتحدثا مع ضابطة شرطة، فمن الجلي أنهما اعتبراها ممثلة للسلطات. قبل أن تتمكن من طرح الأسئلة التي رغبت في طرحها، اضطرت هلدا إلى الاستماع إلى سيل من الشكاوى عن طريقة التعامل مع قضيتيهما، والمعاملة التي يضطران إلى احتمالها. وعندما تمكنت أخيرًا من أن تنبس بكلمة في ثنايا الحديث، تيقنت من أنهما يذكران إيلينا، رغم أن السبب في ذلك يعود أساسًا إلى موتها المفاجئ. لقد اتضح أنهما في الواقع لم يتحدثا إليها مطلقًا، إذ إنهما لا يعرفان من اللغة الروسية كلمة واحدة، لذا لم يكن الحوار مفيدًا إلا قليلًا.

وفي طريقها إلى الخروج مرورًا بمكتب الاستقبال، شكرت هلدا دورا وطلبت منها التواصل مع المرأة السورية، التي أصبح الأمل الأخير معقودًا عليها في أن تعلم شيئًا. قالت دورا تعدها: "سأفعل". لكن هلدا لم تنخدع بأنها ستضع هذا الأمر ضمن أولوياتها.

بعد ساعة إلا ربع، كانت هلدا قد عادت إلى ريكيافيك. أوقفت سيارتها خارج مركز الشرطة، لكن لم يكن لديها أي نية للدخول. وعوضًا عن ذلك، شرعت في محاولة اكتشاف أي محام تولى قضية إيلينا. لم يستغرق الأمر منها أكثر من مكالمتي هاتف لتعرف أن الرجل المنشود كان محاميًا في منتصف العمر، عمل لصالح الشرطة لعدة سنوات، قبل أن يتركها ليفتتح مكتبه الخاص. لقد تذكر هلدا على الفور.

وقال لها بنبرة ودودة: "لا أظن أن لدي الكثير لأخبرك به. لكن تسعدني زيارتك. أتعرفين مكاننا".

"سأجدكم. هل يمكنني المرور عليكم الآن؟".

رد: "من فضلك افعلي".

اتضح أن مكتب المحامي مكان متواضع في وسط المدينة، ليس به حتى موظفة استقبال. وبدا ألبرت ألبرتسن، الذي خرج بنفسه للترحيب بهلدا، وكأنه يقرأ ما يدور بعقلها، إذا قال مفسرًا: "العمل هنا متواضع كما ترين، لا أضيع أي نقود على الشكليات.

نتعاون جميعًا على القيام بكل ما يتطلبه العمل أيًّا كان. ما علينا، جميل أن أراك ثانية".

تمتع ألبرت دومًا بدماثة خلق، واعتاد على أن يتحدث بتلك النبرة الدافئة اللبقة التي تميز مذيعي برامج الراديو الليلية، ممن يثرثرون إلى المستمعين بود، مع خلفية من الموسيقى الهادئة. ويمكن القول بلا مبالغة إنه حسن المظهر، وله وجه يوحي بالثقة.

لم يختلف المكتب، الذي أراها إياه ألبرت، كثيرًا عن مكتب دورا الصغير الخالي في النزل، والذي لا يتمتع بأي طابع خاص. عُلقت لوحات على الجدران، ورُصت صور على الرف المجاور للمكتب، وعلت أكوام من الورق في كل مكان شاغر. رأت هلدا أن الأمر على نحو ما مبالغ فيه. بدا وكأنه زائد عن الحد المعقول، وكأنها محاولة لإخفاء حقيقة أن ألبرت ربما في الحقيقة لا يجد ما يفعله. جميع الصور واللوحات كانت لتتناسب أكثر مع بيت وليس مقرًّا للعمل، إلا إذا كان هذا هو بيتهم أيضًا؟

سألها بمجرد جلوسهما: "هل توليتِ القضية؟".

بدا على هلدا شيء من التردد وهي تقول: "نعم، حتى الآن".

"حدثت أي تطورات؟".

ردت: "لا شيء يمكنني التعقيب عليه إلى الآن. هل تحدث معك أليكساندر أثناء التحقيق الأصلي؟".

"نعم، فعل. عقدنا اجتماعًا، لكن لا أعتقد أنني استطعت مساعدته كثيرًا".

"هل توليت إعداد أوراق لجوء إيلينا منذ البداية؟".

"أجل، فعلت. إنني أتولى الكثير من تلك القضايا الخاصة بحقوق الإنسان، إضافة إلى أعمالي الأخرى بالطبع".

"أيمكنك أن تعطيني فكرة عن خلفيات قضيتها".

"حسنًا، لقد طلبت اللجوء إلى أيسلندا على أساس معاناتها من الاضطهاد في وطنها روسيا".

"لكن طلبها قوبل بالرفض؟".

"ماذا؟ لا، على العكس، أحرزنا تقدمًا جيدًا".

"إلى أي حد؟".

"كانوا على وشك منحها حق اللجوء".

فوجئت هلدا بهذا التصريح. قالت: "انتظر لحظة، هل تقول إنهم كانوا سيمنحونها حق اللجوء؟".

"نعم، كان القرار على وشك الصدور".

"هل كانت على دراية بهذا؟".

"أجل بالطبع. علمت بالأمر قبل موتها بيوم".

”وهل أخبرت أليكساندر؟“.

”بالطبع، رغم أني لا أفهم حقًّا علاقة هذا بذاك“.

لقد (نسي) أليكساندر أن يذكر هذه المعلومة في تقريره.

فسرت له هلدا الأمر: ”حسنًا، هذا يقلل احتمالية أن تكون قد أنهت حياتها بنفسها“.

رد ألبرت يجادلها: ”ليس بالضرورة. الإجراءات كلها تضع طالبي اللجوء تحت قدر هائل من الضغوط“.

”ما انطباعك عنها.. أقصد بصفة عامة؟ هل كانت من النوع المرح؟ أم كانت تميل إلى الاكتئاب؟“.

مال ألبرت على مكتبه إلى الأمام، وقال: ”من الصعب أن أجزم“. ثم كررها ثانية: ”من الصعب أن أجزم، لأنها لا تعرف إلا القليل جدًّا من الإنجليزية، وأنا لا أعرف حرفًا من اللغة الروسية“.

”استعنت بمترجم إذًا“.

”أجل، كلما احتجت لذلك. الإجراءات تتطلبت تجهيز الكثير من الأوراق“.

”ربما علي التحدث إلى المترجم“. هكذا غمغمت هلدا لنفسها أكثر من ألبرت.

”لو رأيت أن هذا سيساعدك. اسمه بيارتور، يعيش غرب

المدينة، يعمل من المنزل. لكن كل شيء موجود في الملفات. يمكنك استعارتها، إذا شئتِ".

وفجأة أضاف ألبرت، وكأن الفكرة خطرت له لتوها: "كانت موسيقية".

"موسيقية؟".

"نعم، أعني كانت تحب الموسيقى. إن شريكي يحتفظ في المكتب بجيتار، وإيلينا التقطته ذات مرة وعزفت لنا لحنين".

سألته هلدا: "ماذا تعرف عنها أيضًا؟".

رد ألبرت: "ماذا أيضًا...؟ ليس كثيرًا. نحن لا نعرف أبدًا الكثير عن طالبي اللجوء الذين نمثلهم، وأنا أحاول ألا أتطرق كثيرًا للأمور الشخصية. إنهم غالبًا ما يتم إعادتهم إلى أوطانهم كما تعلمين". وصمت لدقيقة، ثم أضاف: "الأمر كله كان محزنًا جدًّا. البنت المسكينة. لكن الانتحار هكذا دومًا".

"انتحار؟".

"نعم. أليس هذا ما انتهت إليه تحريات أليكساندر؟".

"نعم، بالضبط. تحريات أليكساندر".

(8)

"ظننت أن ملفات القضية أغلقت". هكذا قال المترجم بيارتور، وقد جلس إلى كرسي مكتب قديم جدًّا ومتهالك، لا بد أن تاريخ صنعه يعود إلى ثمانينيات القرن الماضي. "لكن لو لم يكن الأمر كذلك، يسعدني أن أقدم أي مساعدة أستطيع تقديمها".

"شكرًا. هل تحدث إليك أليكساندر في ذلك الوقت؟ هل أمكنك أن تمده بأي معلومات؟".

ردد بيارتور: "أليكساندر؟" وقد حمل وجهه تعبيرًا خاويًا، ارتسم تحت شعره الأشقر الجميل. كان اسمه على مسمى. "بيارتور" يعني "بهاء". كانا جالسين في مرأب سيارات تم تحويله إلى مكتب، يخص بيتًا صغيرًا منفصلًا بذاته، يقع في ضاحية راقية غرب المدينة. وإذ يحيطه البحر من ثلاثة جوانب، كان الموقع بهيجًا حقًّا، رغم هبوب الريح عليه. عندما وصلت هلدا، رنت جرس الباب، فوجهتها سيدة أكبر سنًّا للذهاب إلى المرأب "حيث يوجد مكتب بيارتور". لم يكن ثمة مقعد مخصص للزوار، لذا فقد تصرفت هلدا واتكأت على حافة سرير قديم دُفن تحت أكوام من الكتب، كثير منها كان باللغة الروسية، أو هكذا استنتجت من الأحرف المدونة على الكعوب. ورغم اتصالها مسبقًا لإعلامه بحضورها، بدا أن بيارتور لم يبذل أي جهد في ترتيب المكان. انتشرت على الأرضية أكوام من الأوراق، والأحذية ذات الرقبة، وعلب البيتزا، كما وجدت كومة من الملابس المتسخة

في أحد الأركان.

قالت موضحة، وكأنها تلوك شيئًا كريه الطعم في فمها: "أليكساندر هو أحد زملائي في إدارة المباحث الجنائية. وقد كان هو المسؤول عن التحقيقات في تلك القضية".

"أها، حسنًا، لم أقابله أبدًا. أنت أول من يتحدث معي عن هذا الأمر".

شعرت هلدا بالامتعاض المرير يشتعل بداخلها من جديد. لو تمت ترقيتها يومًا لتصبح مديرة أليكساندر، كما كانت تستحق، لطردته من العمل منذ زمن طويل.

"ما الأمر؟" هكذا سأل بيارتور، مقاطعًا استرسال أفكارها. "هل ظهرت في الأفق معلومات جديدة؟".

لجأت هلدا إلى نفس الإجابة التي منحتها إلى المحامي في وقت سابق: "لا شيء يمكنني الاعتماد عليه في الوقت الحالي". الحقيقة أنه لا شيء يمكنها الاعتماد عليه سوى شعورها الباطني، لكن لا داعي لذكر هذه الحقيقة. بالإضافة لهذا، راحت القناعة تتزايد داخلها باطراد طوال اليوم، بأن قرارها بإعادة فتح التحقيقات كان صائبًا؛ فأيًّا كان السبب في موت إيلينا، من الواضح أن التحقيق الأساسي كان مهلهلًا على نحو مخزٍ.

"هل التقيتها كثيرًا؟".

”لا، ليس كثيرًا. إنني أتولى مثل هذه الأعمال عندما تُعرض علي. إنها لا تتطلب بذل جهد كبير، والمقابل مجزٍ. من الصعب أن أعيش على عائد ترجمة الكتب وحدها“.

”لكنك تنجح في تدبر الأمر؟“.

”إلى حد ما. أعمل كثيرًا كمترجم للروس، بعض أعمال الترجمة هذه تكون لأشخاص في نفس موقف آآ... امم..“.

قالت هلدا تحثه على الإكمال: ”إيلينا“. حتى بيارتور لا يمكنه تذكر اسمها. كان أمرًا غريبًا أن يُمحى وجود الفتاة في أيسلندا من ذاكرة الناس بمثل هذه السرعة، فما من أحد منحها ربع معلومة عنها، على ما يبدو.

”أجل.. إيلينا. نعم، من حين لآخر أعمل كمترجم للناس ممن هم في نفس حالتها، لكنني أعمل أساسًا كمرشد سياحي للروس، أريهم الأماكن السياحية، وبعضهم أثرياء جدًّا، لذا فالعائد ليس سيئًا. عدا هذا، فأنا أترجم الكتب والقصص القصيرة الطريفة، بل وأحيانًا أكتب أنا نفسي..“.

قاطعته هلدا: ”ماذا كان انطباعك عنها؟ هل بدت لك ذات ميول انتحارية؟“

.

قال بيارتور، وقد أحبطت رغبته في الحديث عن نفسه: ”بما أنك سألتِ، سأقول إنه من الصعب الإجابة على هذا السؤال. ربما تكون. فكما تتوقعين، لم تكن سعيدة هنا بالطبع. لكن أيمكن...

أعني، بالتأكيد يمكن أن يكون انتحارًا؟".

قالت هلدا بثقة لا مبرر لها: "في الحقيقة، يحتمل ألا يكون الأمر كذلك". شعرت أن المترجم يعرف أكثر مما يقول. كانت خدعتها تعتمد على أن تتحاشى وضعه تحت ضغط كبير، كل ما عليها فعله هو أن تتحلى بالصبر وتدع الكلام ينساب منه في الوقت المناسب.

سألته: "هل درست في روسيا؟".

بدا عليه القليل من الارتباك بسبب هذا التغير المفاجئ في الموضوع.

"ماذا؟ آه، نعم. درست في جامعة موسكو. وقعت في حب المدينة واللغة. هل زرتها يومًا؟".

هزت هلدا رأسها نافية.

"إنها مدينة مدهشة، لا بد أن تزوريها يومًا ما".

قالت هلدا: "أجل". وهي تعلم أنها لن تفعل أبدًا.

أكمل بيارتور كلامه: "مدهشة، لكنها خطرة. مكان خطر بالنسبة للسياح. كل شيء فيها غريب تمامًا: اللغة، الكتابة الكريلية".

"لكنك تتحدث اللغة الروسية بطلاقة، أليس كذلك؟".

رد متحمسًا: "بلى، طبعًا. تمكنت منها منذ أعوام مضت".

"إذًا، لم تجد مشكلة في التكلم مع إيلينا؟".

"مشكلة؟ لا بالطبع".

"إذًا، فيم كنتما تتحدثان أنتما الاثنان؟".

رد وكأنه يعترف: "ليس كثيرًا في الواقع. غالبًا كنت أترجم لها أثناء الاجتماعات مع محاميها".

قالت هلدا، في محاولة منها لجعل الحوار يتقدم: "لقد ذكر أنها كانت مهتمة بالموسيقى".

"آه، فعلًا، هذا صحيح. في الحقيقة لقد تحدثت معي عن هذا الأمر. إنها تؤلف... أقصد كانت تؤلف مقطوعات موسيقية. لم تجد الفرصة لتفعل هذا بشكل احترافي في روسيا، لكن كان هذا حلمها: أن تعمل هنا كمؤلفة موسيقية. لقد عزفت لنا ذات مرة لحنًا في مكتب المحامي. كانت ماهرة جدًّا.. حسنًا، أقصد لم تكن سيئة. لكن الأمر كله لم يكن واقعيًّا. ما من أحد يستطيع أن يكتسب عيشه من تأليف الموسيقى في أيسلندا".

"أكثر من العمل كمترجم؟".

ابتسم بيارتور، لكنه لم يُعن بالرد. وبدلًا من ذلك، بعد فترة صمت قصيرة، قال: "في الحقيقة، كان هناك أمر آخر..".

سألته هلدا بنبرة مشجعة: "أمر آخر؟" وأدركت من تعبيرات وجهه أنه متردد في الاستمرار.

"ولكن الأفضل أن يحتفظ المرء بهذا لنفسه".

"يحتفظ لنفسه بماذا؟".

"اسمعي، لا أريد أن أتورط في أي شيء... لا أستطيع..".

سألته هلدا، مستعملة ألطف نبرة صوت لديها: "ماذا حدث؟".

"كان مجرد شيء قالته... بالمناسبة، هذا الكلام غير قابل للنشر بتاتًا".

أجبرت هلدا نفسها على الابتسام بأدب، مقاومة الدافع لأن توضح له الفرق بين ضابط الشرطة والصحفي. ورغم عدم وجود نية لديها لأن تقطع أي وعود على نفسها، استمرت في صمتها الدبلوماسي، إذ لم ترغب في إفزاعه.

وأثمرت خطتها. فبعد دقيقة من التردد، أكمل بيارتور: "أعتقد أنها كانت تمارس ذلك الأمر".

سألته هلدا: "تمارس ذلك الأمر؟ تقصد أنها عملت كعاهرة؟ ما السبب الذي دفعك لتعتقد هذا؟".

"هي أخبرتني".

قالت هلدا غاضبة: "لكن هذا لم يُذكر في أي تقرير". رغم أن

غضبها كان موجهًا لشخص أليكساندر غير الموجود، بأكثر مما هو موجه لبيارتور.

"لا، بالتأكيد لم يُذكر. لقد أخبرتني بهذا في أول مقابلة بيننا، لكنها أصرت على أنها لا تريد لأي شخص آخر أن يعرف. روادني شعور بأنها كانت فزعة".

"من ماذا؟".

"تقصدين ممن".

"شخص أيسلندي؟".

اضطرب جسده، وبدا وكأنه يفكر في الأمر. قال: "لست متأكدًا. وللأمانة، أخذت انطباعًا مما قالته أنها قد جيء بها إلى أيسلندا لهذا الغرض وحده".

"أأنت جاد؟ تقصد أن تقديمها لطلب اللجوء السياسي كان مجرد غطاء؟".

"هذا محتمل. لقد كانت غامضة على نحو ما فيما يخص هذا الأمر كله، لكن كان من الواضح جدًّا أنها لا تريد لهذه المعلومات أن تنتشر".

"إذًا، ألا يعلم محاميها؟".

"لا أعتقد. أنا لم أخبره بالتأكيد بأي شيء. لقد حفظت سرها".

وبعد تردد أضاف، وقد اعتراه شيء من الخجل: "حتى هذه اللحظة بالطبع".

"وما السبب الذي جعلك لا تخبر أي أحد؟" هكذا سألته هلدا، وقد جاءت نبرة صوتها أعنف مما قصدت.

سادت فترة صمت وجيزة، أجاب بعدها بيارتور بصوت ضعيف: "لم يسألني أحد".

(9)

سارت الأم الشابة عائدة إلى بيتها كالمعتاد، لكنها كانت في ذلك المساء متعبة على غير عادتها. كان يومًا طويلًا في فندق بورج، وكان الطقس غائمًا كئيبًا، والرياح والأمطار أثقلتها. كان توصيف وظيفتها في الفندق، الذي يعد أحد معالم وسط المدينة، غامضًا إلى حد ما، فأحيانًا يُطلب منها تنظيف غرف النزلاء، وأحيانًا كانت تساعد في المطعم والبار، من الصباح حتى الليل. كانت تقبل أي نوبة عمل تعرض عليها، طالما أنها لا تتعارض مع موعد زيارة ابنتها.

كان يومًا احتفاليًّا، الأول من ديسمبر، يوم الاستقلال، ذكرى تحقيق أيسلندا للاستقلال الجزئي عن الدنمارك قبل ثلاثين عامًا، عام 1918. تجمع الطلاب عند الفندق في المساء ليحضروا حفلًا، وكان ثمة الكثير من الغناء والحديث، وقدم الشاعر المشهور

توماس جودمندسون بعضًا من أعماله.

كان رأس السنة يقترب سريعًا، وأرادت أن تشتري هدية لابنتها، رغم أنها لم تتخذ قرارًا بشأن نوع الهدية. لا بد أن تكون شيئًا مميزًا، هذا هو كل ما تعرفه. ولا بد أن تحصل على بعض المال لتشتري به الهدية. وهناك الفيلم الذي رغبت بشدة في أن تشاهده في مجمع جاملا بيو الترفيهي، بوم تاون، بطولة كلارك جيبل، لكنها على الأرجح لن تشاهده؛ لأنها كانت تدخر كل مليم لابنتها.

كم حسدت أولئك الطلاب الصغار الليلة. كم تمنت لو كانت واحدة منهم. كانت تعلم أن لديها القدرة على أن ترتقي بنفسها، وهو ما لم تحققه أبدًا. كان من المفترض أن تكون أيسلندا مجتمعًا بلا طبقات، كان من المفترض أن يكون الجميع على قدم المساواة، بلا طبقات عليا ووسطى ودنيا. كان من المفترض أن يحصل الجميع على نفس فرص النجاح. لكنها كانت تعلم أن ما سبق ما هو إلا مجرد أسطورة، فهي لن تصعد أبدًا تاركة طبقتها الحالية، التي تضطرها للعمل في أعمال زهيدة الأجر، محرومة من الشعور بالأمان. أم عزباء قادمة من خلفية اجتماعية فقيرة. ليس ثمة فرصة أمامها.

لكنها عزمت على أن تختلف الأمور بالنسبة لابنتها.

(10)

ألقى تصريح بيارتور على تحقيق هلدا -لو أمكنك أن تسميه تحقيقًا- ضوءًا جديدًا تمامًا. كان بمثابة انفجار. لم يكشف فقط أن تحقيقات أليكساندر كانت روتينية إلى أقصى درجة، ولكن أيضًا منح موت الفتاة الروسية بعدًا جديدًا تمامًا. كان السؤال هنا: متى تخبر هلدا رئيسها بهذا التطور الجديد؟ فحتى هذه اللحظة لا يعلم ماجنس أي قضية باردة اختارتها لكي تعيد فتحها. لا ريب أنه كان مشغولًا بتهنئة نفسه على الطريقة اللبقة التي نحاها بها، ولو فكر فيها أصلًا، فسيفترض أنها تجلس إلى مكتبها، منكبة على ملفات الشرطة القديمة، لإمضاء الوقت، بينما تجري عقارب الساعة مسرعة نحو موعد تقاعدها.

في الحقيقة، هي لم تقترب من إدارة التحقيقات الجنائية منذ الاجتماع المشؤوم هذا الصباح. ولدهشتها، مر اليوم بأسرع مما تخوفت، والفضل لكل تلك الجولات السريعة التي قامت بها هنا وهناك، والتي لم تدع لها وقتًا بالمرة لتنغمس في الرثاء على حالها. لديها بقية المساء لهذا الأمر، لكن.. لا، كانت تخطط لعدم السهر، وللحصول على قدر جيد من النوم الطويل، لتصفي ذهنها، ولتأجيل أي قرار بخصوص ما عليها أن تفعله بعد ذلك إلى الصباح. حينها، يمكنها أن تفكر في الأمر وتقرر ما إذا كان لديها الطاقة –والشجاعة- لتقحم نفسها كلية في قضية الفتاة الروسية، أو إذا ما كان عليها ببساطة أن تنفض يدها من الأمر

وتبدأ في الاعتياد على حياة التقاعد. تعترف لنفسها بأن عملها في الشرطة قد انتهى. تتوقف عن محاولة مقاومة ما لا يقاوم. تتوقف عن مطاردة أوهام ربما لم توجد قط.

وأيًّا كان قرارها النهائي، ثمة طرف خيط سائب ما زالت تحتاج إلى أن تربطه. استوت على مقعد والدتها القديم المريح، والهاتف في يدها، وتمهلت لبرهة، ممتنعة عن الاتصال برقم الممرضة التعسة التي استجوبتها اليوم السابق، تلك المرأة التي صدمت ذلك الشرير السافل البيدوفيلي، والتي ارتجفت كورقة شجر بسبب الضغط العصبي والشعور بالذنب طوال الاستجواب. لا بد أنها الآن تخوض غمار جحيم من نوع خاص، لا بد أنها قلقة حد المرض أن تبتعد عن ولدها، وأن تضطر إلى قضاء سنوات خلف القضبان.

على أي حال لقد اعترفت. لكن، حتى الآن، لم تفشل هلدا فقط في كتابة تقرير رسمي عن الحوار الذي تم بينهما، بل في أنها في واقع الأمر قد كذبت على رئيسها وقالت له إن القضية بعيدة كل البعد عن الحل. وكان السؤال الذي عليها أن تجادل ضميرها بشأنه، قبل أن تتصل بالمرأة المسكينة، هو: هل تصر على الكذب وتتمادى إلى أقصى درجة لتجنب الأم وابنها المزيد من الظلم، أم تكتب الحقيقة في تقريرها، مع معرفتها بأن المرأة حتمًا سيزج بها إلى السجن عقابًا على جريمتها؟

ولم تَرْتَبْ كثيرًا بشأن الإجابة، لم يكن أمام هلدا إلا سبيل واحد.

كان لدى المرأة هاتف محمول ورقم هاتف منزلي مسجل باسمها. لم تجب على الهاتف المحمول، وظل رقمها الأرضي يرن طويلًا قبل أن ترفع السماعة أخيرًا. قدمت هلدا نفسها: "معك هلدا هرمانزدوتير، من إدارة التحقيقات الجنائية. تحدثنا بالأمس".

قالت المرأة بصوت مختنق: "آه... نعم... طبعًا". وأخذت نفسًا عميقًا مرتجفًا.

قالت هلدا كذبًا، مستخدمة عمدًا الأسلوب الشرطي الرسمي في الحديث: "كنت أتحدث معك بخصوص الحادث، وقد توصلت إلى نتيجة هي أنه ليس لدينا دليل كافٍ على الإدانة".

همهمت المرأة: "ماذا... ماذا تعنين؟" وبدا صوتها وكأنها تنتحب.

"لن أقوم بأي إجراءات أخرى، فيما يخص علاقتك بالقضية".

خيم الصمت على الناحية الأخرى من الخط، ثم قالت المرأة بصوت منتحب: "لكن ماذا عن... ماذا عما أخبرتك به؟".

"لن يفيد بشيء إجراء المزيد من التحقيقات، أو جرك إلى ساحات المحاكم".

مرة أخرى، خيم الصمت. وبعدها قالت: "أنت... أنت تعنين أنك لن... تقبضي علي؟ أنا... لم أتوقف عن الارتجاف منذ... منذ تحدثنا. ظننت أنني سوف...".

"اهدئي. لا، لن أقبض عليك. وبما أنني على وشك التقاعد، لحظك، فلا بد أن تكون هذه آخر مرة يتحدث إليك أحد عن هذا الأمر". التقاعد. كانت هذه هي المرة الأولى التي تنطق فيها الكلمة بصوت مرتفع، وكان للكلمة وقع غريب على أذنيها. وصدمت مرة أخرة إذ كيف كانت -بشكل يدعو إلى السخرية- غير مستعدة بالمرة لهذه الخطوة، رغم أنها متوقعة.

"وماذا عن الآخرين؟ ماذا عن زملائك في الشرطة؟".

"لا تقلقي. لن أذكر اعترافك في تقريري. طبعًا أنا لا يمكنني أن أتنبأ بما قد يحدث للقضية بعدما أغادر، لكن طالما لي دخل بالقضية، فأنت لم تعترفي بأي شيء عندما استجوبتك. هل كلامي واضح؟".

"ماذا؟ آه، نعم، طبعًا. أشكرك..".

ثمة ما دفع هلدا لأن تكمل: "لكن لا تسيئي فهمي، إن هذا لا يعفيك من الذنب. ربما أتفهم الدوافع التي جعلتك تفعلين ما فعلتِه، لكن الحقيقة هي أن عليك أن تعيشي بهذا الذنب. ومع هذا، في رأيي أن حبسك وحرمان ابنك من أمه لن يؤدي إلا إلى أن يجعل الأمور أسوأ".

أخذت المرأة تردد من كل قلبها: "أشكرك، أشكرك". وقد سمعت نهنهاتها بوضوح من بين كلماتها، ثم نجحت في أن تشهق قائلة: "أشكرك" ثانية، قبل أن تغلق هلدا الخط.

عندما تكون هلدا مشغولة أو واقعة تحت ضغط، تنسى دومًا أن تتناول طعامها، لكنها حرصت الآن على أن تتناول شيئًا. كان عشاؤها هو نفسه من الليلة الماضية: جبن وخبز. منذ موت جون، توقفت عن الطهي نهائيًّا. في البداية، حاولت أن تبذل جهدًا، ولكن مع مرور السنوات، واعتيادها على الحياة وحدها، كانت تكتفي بوجبة ساخنة في مقصف العمل، في منتصف النهار، وعاشت بصورة أساسية في المساء على الطعام السريع أو الشطائر.

كانت في منتصف وجبتها البسيطة، تستمع إلى أخبار المذياع، عندما رن الهاتف. وعندما رأت من المتحدث، شعرت بدافع لتجاهله، لكن العادة، مع الإحساس بالواجب، جعلاها تلتقط السماعة. كعادتها التي تتميز بها، بدأت الحديث مباشرة دون أن تعني حتى بنطق اسمه، لكن أيضًا أليكساندر لم يعرف عنه يومًا دماثة الخلق، إذ اندفع كالعاصفة قائلًا: "ما الذي تسعين إليه بحق الجحيم؟" تخيلته على الناحية الأخرى من الخط: ملامحه ملتوية عابسة، ولغده، وجفناه متهدلان تحت حاجبين ثقيلين.

لم تكن لتسمح أن يربكها، فسألته بصوت طبيعي قدر استطاعتها: "عم تتحدث؟".

"دعك من هذا يا هلدا. أنت تعرفين عما أتحدث بالضبط. بحق الجحيم. الفتاة الروسية التي أغرقت نفسها".

"ألا تتذكر حتى اسمها؟".

بوضوح، فاجأه السؤال. لزم الصمت لدقيقة، على غير عادته. لكنه سرعان ما استعاد رباطة جأشه: "وما أهمية ذلك أصلًا؟ ما أريده هو...".

قاطعته هلدا: "كان اسمها إيلينا".

علا صوته قائلًا: "فليذهب اسمها إلى الجحيم!" لا ريب أن وجهه قد احتقن بلون أحمر داكن. "لماذا تدسين أنفك في هذا الأمر يا هلدا؟ ظننت أنك مغادرة".

لقد انتشرت الأنباء.

قالت بلهجة محايدة: "لا بد أن تكون وصلتك أنباء كاذبة".

"حقًّا؟ مما سمعته..". لكنه تراجع عن استكمال جملته.

ثم قال: "أيًّا كان. لماذا تقحمين نفسك في قضيتي؟".

قالت هلدا: "لأن ماجنس طلب مني أن أفعل". كان هذا ليًّا لعنق الحقيقة، لكن لا يهم.

"إنك تحاولين عمدًا إفشالي، هذا هو ما تفعليه. لقد تعاملت بالفعل مع تلك القضية".

قالت هلدا ببرود: "ليس بطريقة تمنحك أي مصداقية".

انفجر فيها أليكساندر، وقد بات يصرخ الآن: "لم يكن بها أي غموض. البنت المسكينة كانت على وشك أن يتم ترحيلها، فرمت

نفسها في البحر. خلصت الحكاية".

"على العكس، طلبها للجوء كان على وشك أن يُقبل، وهي كانت تعرف هذا".

ساد الصمت فجأة على الناحية الأخرى من الخط. وبعد دقيقة، قال أليكساندر متلعثمًا: "ماذا؟ ما الذي تتحدثين عنه؟".

"القضية أبعد ما تكون عن الإغلاق، هذا هو كل ما يمكن أن يقال عنها. وأنت تقاطعني أثناء تناول عشائي، فإذا لم يكن هناك شيء آخر..".

قال بطريقة كريهة: "أقاطعك أثناء تناول عشائك؟ آه، حسنًا.. امرأة وحيدة، تجلس أمام التلفاز". وإذ أطلق رصاصته الأخيرة، أغلق الخط.

كانت هذه ضربة تحت الحزام. الحقيقة أنها كانت دائمًا وحيدة، المرأة الوحيدة والعزباء وسط مجموعة من الرجال، أغلبهم متزوجون، إن لم يكن بالزوجة الأولى فبالثانية، تحيط بهم عائلات كبيرة متشعبة. لم تكن المرة الأولى التي تتعرض فيها للَّمز بمثل هذه الملاحظة. أشياء من هذا النوع، كالمزاح الثقيل، والتنمر الصريح. قد تكون حازمة في تعاملاتها مع الآخرين، هي تعرف هذا، لكن مع هذا كان عليها أن تعتاد على تلقي مثل تلك الطعنات لتستمر في حياتها، وفي المقابل، بدا أن هذا قد منح الصبية الحق في التباري بطعنها.

بالطبع، كان بإمكانها أن تتغاضى عن ملاحظة أليكساندر المهينة، لكنها، بدلًا من هذا، لتثبت أنه على خطأ، قررت أن تتصل ببيتر الذي تعرفت عليه في المضمار. كانت لا تزال تفكر به كصديق أكثر من كونه صديقًا حميمًا، فعلاقتهما أفلاطونية جدًّا بالنسبة لوصف كهذا. كلما كانا معًا وجدت نفسها تتمنى لو كانت أصغر من عمرها الحالي بعشرين أو ثلاثين سنة، ومع هذا، لم يكن بهذه الصعوبة التقدم خطوة، الانتقال من القبلات المهذبة السريعة على الخد إلى شيء أكثر حميمية. ومع هذا، كانت هناك أوقات على الهاتف أثناء مكالماتهما شعرت خلالها بالخجل وكأنها عادت ثانية فتاة صغيرة، وهي علامة –هكذا فكرت- على أن علاقتهما تسير على الطريق الصحيح، وأنها ربما أرادت المزيد من تلك العلاقة.

وكالمعتاد، رد بسرعة. سريع ومباشر كدأبه دائمًا.

قالت بخجل: "كنت أتساءل، آه، كنت أتساءل إذا كان بإمكانك تأتي لنشرب قهوة هذا المساء". بمجرد خروج الكلمات من فمها، أدركت أنه قد يساء فهمها. تدعو رجلًا إلى تناول القهوة هكذا فجأة بلا سبب... أرادت أن تضيف أنها لا تقصد أن تطلب منه قضاء الليلة معها، لكنها عضت على شفتها وتمنت فقط ألا يفهم من دعوتها أكثر مما قصدت.

أجاب دون لحظة تردد: "بكل سرور". كان دومًا حاسمًا، ليس من النوع الذي يدقق بشكل زائد في التفاصيل أو يصنع من

الحبة قبة، وهي الخصال التي أحبتها فيه هلدا. ومع هذا، كانت هذه خطوة كبيرة بالنسبة له، إذ إنها لم تدعُه إلى بيتها من قبل. ولطالما تساءلت أكان السبب أنها خجلة من شقتها؟ بالمقارنة ببيتهم القديم في ألفتينس بنوافذه الكبيرة وحديقته المترامية.. أجل، ربما. لكن السبب الأساسي يعود إلى الدفاعات الخفية التي أحاطت بها نفسها، دفاعات ترددت في الاستغناء عنها حياله حتى الآن، عندما قررت، في أوج حاجتها اليائسة إلى الصحبة، أن تخوض المغامرة.

سأل: "هل آتي الآن فورًا؟".

"نعم، طبعًا، سيكون شيئًا رائعًا، إن استطعت". كانت تبدو غير واثقة وهي تتحدث معه، بشكل يبعث على الضحك، إذ إن هذا ليس من عادتها أبدًا. عادة، كانت تحرص على أن تكون جوانب حياتها كافة تحت السيطرة.

"طبعًا. أين تسكنين؟".

شرحت له العنوان، خاتمة بقولها: "الطابق الرابع، اسمي مدون على الجرس".

قال: "سأتي حالًا". وأغلق الخط دون أن يودعها.

"أخيرًا دعوتني إلى بيتك". كانت هذه هي أول جملة ينطقها بيتر عندما فتحت الباب. إنه يقترب من السبعين، وهو بهذا أكبر من هلدا ببضع سنوات، لكن كانت هيئته جيدة بالنسبة لسنه،

إذ لم يبد أصغر كثيرًا ولا أكبر كثيرًا من عمره الحقيقي، رغم أن لحيته الرمادية قد أضفت عليه مظهر الأجداد. ولم تستطع هلدا أن تمنع نفسها من التساؤل، للحظة واحدة، عن المظهر الذي كان سيبدو عليه جون في السبعين.

وقبل أن تدرك ما يحدث، كان بيتر جالسًا في غرفة المعيشة، آخذًا راحته على كرسيها المفضل. أحست هلدا بالتوتر: كرسي أمها المريح هو مكانها المفضل، لكنها بالطبع لم ترفع صوتها بهذا الكلام. على أي حال، كانت سعيدة لأنه جاءها، سعيدة لأن ثمة إنسانًا يود أن يمضي المساء معها. لقد اعتادت على الوحدة، طالما كان هذا ممكنًا، لكن لا بديل حقيقة عن صحبة إنسان آخر. لقد حاولت في بعض الأحيان أن تخرج وحدها إلى المطاعم، للغداء أو العشاء، لكن هذا جعلها تشعر بالخجل والانقباض، لذا أصبحت تفضل الآن أن تتناول طعامها في مقصف العمل أو وحدها في المنزل.

سألته إن كان يود تناول قهوة.

"أشكرك، بدون لبن".

كان بيتر طبيبًا. ولقد تقاعد مبكرًا في الستين من عمره، عندما مرضت زوجته، وقد أخبر هلدا، دون الدخول في أي تفاصيل، أنهما قضيا معًا بضع سنوات سعيدة قبل أن تحين النهاية. كانت هذه المعلومات كافية بالنسبة لها، فليس لديها الرغبة في أن

تجعله يتذكر أحزانه ثانية، وتمنت أن يكون بالمثل متفهمًا، فلا يضطرها إلى نكأ جروحها القديمة. كان كل ما ذكرته له هو أن جون مات فجأة وهو في الثانية والخمسين. وأضافت: "قبل أوانه بكثير". موضحة ما هو واضح بالفعل.

تحت طريقة بيتر الهادئة كانت ثمة لمحة من الصلابة، مزيج خمنت هلدا أنه قد جعل منه طبيبًا جيدًا. لا بد أنه قد أفاد منه. لقد زارت منزله الكبير في منطقة فوسفوجر الجميلة القريبة منها. كان فسيحًا ذا أسقف عالية، وغرفة معيشة مزينة بأثاث راق، ولوحات زيتية على الجدران، ومجموعة كبيرة منتقاة من الكتب مصطفة على رفوف، وكذلك أيضًا بيانو عظيم يزهو في وسط المكان. ومنذ رأته، باتت تسلي نفسها بتخيل حياتها هناك، ممضية أيامها مختبئة في غرفة معيشة جميلة بمنزل راق. يمكنها أن تتخلص من شقتها الكئيبة مرتفعة الأقساط، وتستفيد بالنقود في تسديد ديونها، وتستمتع بتقاعد هادئ في منزل كبير بحي جميل. لكن بالطبع لم يكن هذا هو السبب الأساسي، فالحقيقة أنها شعرت بالراحة في صحبة بيتر، وقد بدأت تدريجيًّا تصل إلى إدراك أن عليها الاستعداد للمضي إلى الأمام، للالتزام ثانية بعد كل سنين الوحدة تلك.

قالت قبل أن تدلف إلى المطبخ لإحضار القهوة التي كانت قد أعدتها مقدمًا: "كان يومي هادئًا".

وعندما عادت إلى غرفة المعيشة المزدحمة، وناولت بيتر قدحًا،

شكرها مبتسمًا وانتظرها لتكمل ما كانت تقوله، يشع منه الصبر والتعاطف. كان جراحًا، لكنها ظنت أنه كان ليصلح طبيبًا نفسيًّا بارعًا: كان رجلًا يعرف كيف ينصت.

قالت عندما أسفر الصمت عن عدم راحة: "سأتوقف عن العمل".

قال: "كان هذا معروفًا سلفًا، أليس كذلك؟ ليس أمرًا سيئًا كما يبدو، وأنت تعلمين هذا. سيكون لديك متسع من الوقت لممارسة هواياتك، والمزيد من الوقت للاستمتاع بالحياة".

كان حقًّا يعرف كيف يفعل ذلك، هكذا تأملت، وسمحت للحظة حسد أن تعلو على صوت أفكارها. فباعتباره طبيبًا، له تاريخ مهني ناجح، ليس مضطرًّا لمواجهة أي مخاوف تخص الأمور المادية في شيخوخته.

وافقته بصوت خافت: "أجل، معروف سلفًا، لكن موعده لم يأتِ بعد". من الأفضل أن تكون صريحة معه، وألا تحاول تجميل الحقائق. "الحقيقة لقد صدرت أوامر بتسريحي. لم يتبق أمامي سوى أسبوعين. لقد عينوا ولدًا صغيرًا مكاني".

"اللعنة. وأنت استسلمتِ لهذا؟ ليست طبيعتك".

قالت وهي تلعن نفسها سرًّا لأنها لم تدافع عن نفسها أكثر عندما فاجأها ماجنس بالقرار: "حسنًا، على الأقل استطعت أن أنتزع قضية أخيرة من رئيسي؛ لأنهي خدمتي بها".

"هذا هو الكلام. هل هي مثيرة؟".

"جريمة قتل... على ما أعتقد".

"أأنت جادة؟ جريمة قتل تحلينها في أسبوعين؟ ألست قلقة من ألا تنجحي وأن يؤثر هذا سلبًا على حالتك النفسية بعد تقاعدك؟".

لم تفكر في هذا، لكن بيتر محق.

قالت دون اقتناع تام: "لقد فات أوان التراجع الآن. على أي حال، لست متأكدة بنسبة مئة في المئة أنها كانت جريمة قتل".

سأل، وقد نجح في أن يبدو مهتمًّا حقًّا: "عم تدور القضية؟".

"شابة وجدت ميتة في كهف صغير على خليج فاسليسوسترند".

"قريبًا؟".

"منذ أكثر من عام".

عبس بيتر، وقال: "لست أذكر هذا".

"لم تحظَ بتغطية إعلامية كبيرة في حينها. كانت طالبة لجوء".

"طالبة لجوء... لا، قطعًا لم أسمع بها".

كثيرون لم يسمعوا بها، هكذا فكرت هلدا.

سألها: "كيف ماتت؟".

”غرقت، لكن جسدها كانت به إصابات. المحقق الذي تعامل مع القضية، ويجب أن أخبرك أنه ليس من أفضل الرجال، أنهاها باعتبارها انتحارًا. لكني لست واثقة من هذه النتيجة“.

وإذ شعرت بالرضا عن التقدم الذي أحرزته اليوم، أعطته ملخصًا عن اكتشافاتها، لكن لخيبة أملها، بدا بيتر متشككًا.

سألها مترددًا: ”أأنت متأكدة؟ أأنت متأكدة أنك لا تضخمين الوقائع البسيطة؟“؟

أُخذت هلدا قليلًا بسبب صراحته، لكن جزءًا آخر منها أحب هذه الصراحة.

قالت معترفة: ”لا، لست متأكدة بالمرة. لكنني مصممة على متابعة القضية“.

قال: ”لك كل الحق“.

بدأ الوقت يتأخر. لقد استبدلا قهوتهما بالنبيذ الأحمر منذ ساعتين. وقد مكث بيتر لفترة أطول من المتوقع، لكن هلدا، التي كانت بعيدة كل البعد عن الشكوى من وجوده، رحبت بصحبته. لقد انقشعت سحب المطر أخيرًا، مفسحة مكانًا لتشرق منه الشمس، وكانت الشمس تضيء بالخارج، مكذبة حقيقة تأخر الوقت.

لم يكن تناول الخمر فكرة هلدا. بعدما انتهى من ارتشاف

قهوته، سألها بيتر لو كان عندها قطرة من البراندي، وقد اعتذرت له، لكنها قالت إن لديها زجاجتين من النبيذ تقرعان في مكان ما.

قال: "أحب هذا الصوت، منعش للقلب". ومن كانت هي لتناقش رأي طبيب؟

قال بيتر بحذر، متحسسًا طريقه: "يبدو لي غريبًا بعض الشيء ألا تعلقي أي صور عائلية".

فاجأت الملاحظة هلدا، لكنها حاولت أن يبدو ردها تلقائيًّا: "لم أكن أبدًا من النوع الذي يقوم بهذه الأمور، لا أعلم لماذا".

"أعتقد أني أفهمك. على الأرجح أنا أعلق عددًا زائدًا عن الحد من صور زوجتي. ربما لهذا السبب استغرقت وقتًا طويلًا لأتغلب على فقدها. أنا عالق في الماضي حرفيًّا". وأطلق تنهده. كانا الآن في طريقهما لتناول الزجاجة الثانية. "وماذا عن والديك؟ إخوتك وأخواتك؟ لا صور لهم أيضًا؟".

قالت هلدا: "ليس لي إخوة ولا أخوات". لم تكمل كلامها على الفور، لكن بيتر انتظر بصبر، مرتشفًا كأس نبيذه. قالت أخيرًا، وكأنها تبرر غياب الصور، رغم أنه لم يكن هناك سبب يدفعها لاختلاق الأعذار: "لم أكن أنا وأمي مقربتين جدًّا".

"منذ متى ماتت؟".

قالت هلدا: "منذ خمس عشرة سنة. لم تكن عجوزًا لتلك الدرجة،

كانت فقط في السبعين". وهي تعي هول أنها في القريب العاجل ستبلغ هي نفسها هذه السن، في غضون خمس سنوات فقط. ولقد مرت عليها السنوات الخمس الماضية كلمح البصر.

قال بيتر ملاحظة، بعدما أجرى بعض الحسابات العقلية البسيطة: "لا بد أنها كانت صغيرة جدًّا حين أنجبتك".

"في العشرين... رغم أني لا أظن أن هذا العمر كان يعتبر صغيرًا في تلك الأيام".

"ووالدك؟".

"لم أقابله أبدًا".

"حقًّا؟ أمات قبل ولادتك؟".

"لا. فقط أنا لم أعرفه أبدًا.. كان أجنبيًّا". وعادت بأفكارها إلى الوراء: "في الحقيقة، ذات مرة، منذ أعوام، سافرت إلى الخارج محاولة تعقبه، لكن هذه قصة أخرى..".

وابتسمت لبيتر بأدب. رغم أنها تسامحت مع تلكم الأسئلة الشخصية، إلا أنها لم تحبها. لا ريب أنه توقع منها أن تجيبه بأسئلة مماثلة، بسؤاله عن عائلته وحياته السابقة، ليقتربا أكثر. لكن هذا لن يحدث. ليس الآن. شعرت أنها عرفت عنه ما يكفيها: فقد زوجته ويعيش وحيدًا (في بيت كبير عليه جدًّا) والأهم من هذا، اتضح أنه رجل خلوق حنون، مؤتمن ويعتمد عليه. هذا يكفي

بالنسبة لهلدا.

قال كاسرًا حاجز الصمت، وقد بدا الآن مخمورًا قليلًا: "أجل، نحن روحان وحيدتان، أجل. البعض يأخذون القرار في وقت مبكر من حياتهم... أقصد أن يكونوا وحيدين. لكن في حالتنا، أعتقد أن الأمر كان قدرًا". وتوقف، ثم عاد يقول: "زوجتي وأنا اتخذنا قرارًا واعيًا بمنع إنجاب الأطفال.. حتى فات وقت تغيير رأينا. وعندما اقتربنا من النهاية، لطالما ناقشنا ما إذا كان القرار خاطئًا أم لا". وبعد دقيقة أضاف: "لا أومن باجترار الندم. الحياة يجب أن تُعاش كما هي، تُعاش بطريقة أو بأخرى. ولكن مع كل ما قلته، كم تمنيت حقًّا أني لم أكن بهذا القدر من الوحدة في هذه الفترة من حياتي".

لم تكن هلدا تتوقع هذه الدرجة من الصراحة. لم تعرف ما تقول، وبعد فترة صمت قصيرة، أكمل بيتر: "لا أعرف أيضًا كيف انتهيتما أنتما أيضًا بلا أطفال، ولا أقصد أن أتطفل عليك، لكن هذا النوع من الأمور، قرارات مثل هذه، لها تأثير عميق على حياتنا. إنها مهمة، حقًّا هي مهمة. ألا توافقينني الرأي؟".

أومأت هلدا برأسها، وهي تنظر خلسة إلى ساعة الحائط، ثم إلى زجاجة الخمر، وفهم بيتر الإشارة؛ حان الوقت ليقول ليلة طيبة.

(11)

مهما كانت مشغولة، كانت دومًا تتجهز في الموعد المحدد لزيارة ابنتها. مرتين في الأسبوع، لم تتغيب منها يومًا واحدًا. مهما كانت درجة هطول المطر، أو اشتداد العاصفة. ولا حتى المرض أمكنه أن يمنعها عن زيارة ابنتها، طالما ضمن الزجاج الذي يفصل بينهما عدم انتقال العدوى إلى طفلتها. وقد حدث مرتين أن أوقعتها تلك الزيارات في مشكلات مع الموظفين متبلدي المشاعر، وفي المرة الثانية، أُعطيت إنذارًا مكتوبًا. لكن ابنتها تأتي في المقام الأول.

على الأقل، من الناحية الجسدية، بدا أن الطفلة الصغيرة تنمو جيدًا. إن عيد ميلادها الثاني يقترب سريعًا، وكانت بصحة طيبة، وأطول من المعتاد في مثل عمرها، لكن بدت في عينيها نظرة شاردة أقلقت أمها.

ربما في أعماقها، علمت أن وقتًا طويلًا قد مر، أن زياراتها لم تحقق أي شيء، وأن الرابط الخفي الذي يجمع بين الأم وابنتها قد انقطع في لحظة ما، خلال سنتي الانفصال الماضيتين. وربما قد حدث ذلك منذ البداية، في ذلك اليوم، عندما تخلت عنها، على غير إرادتها، وتركتها بين أيدي الغرباء. لقد اعتبر والداها -اللذان شعرا بالعار من ابنتهما لإنجابها خارج إطار الزواج، وأرادا إسكات الأمر- أن هذا هو أفضل حل. لقد قدما لها بديلين أمر من بعضهما: إما أن تمنح الطفلة لمن يتبناها، وهو الأمر الذي

لا تتخيل حدوثه ولو في كوابيسها، أو أن تضعها في مؤسسة لرعاية الأطفال الرضع، لتبدأ حياتها بها.

كانت تعيش مع أبويها عندما ولدت طفلتها، ولم تستطع تحمل تكلفة الانتقال إلى مكان يخصها، لذا، فبالنسبة لها، كان الاختيار سهلًا: بما أن التخلي عن ابنتها للأبد ليس أمرًا مطروحًا، فقد بدا الاختيار الثاني أهون الضررين.

بعدما أنهت دراستها الإلزامية، لم تحصل على أي مؤهلات أخرى، وشعرت أن الوقت قد تأخر الآن على التفكير في السعي لهذا. وفي كل الأحوال، لم يحدث أبدًا أن شجعها والداها على التعليم، وقد وضعا كل آمالهما، عوضًا عنها، على عاتق أخيها الأصغر، الذي كان يدرس الآن في كلية ريكيافيك.

لكن الأمور على وشك التغير. لقد ظلت تعمل طوال عامين، وتدخر النقود، ورغم أنها كانت لا تزال تعيش مع والديها، فلم يمض وقت طويل قبل أن تستطيع تحمل تكلفة الانتقال من البيت إلى شقتها الخاصة. وعندها، يمكنها أن تحقق الحلم الذي طالما تمنت تحقيقه، أي استعادة ابنتها من المؤسسة.

علاقتها بوالديها تتوتر باطراد. في البداية، عجزت عن مواجهتهما عندما حملت بشكل غير متوقع، وهكذا سمحت لهما بالضغط عليها. والآن، كانت تخشى ألا تتمكن أبدًا من مسامحتهما على إبعادها عن طفلتها. وإذ تعود بذاكرتها إلى الوراء، لا تدرك

أبدًا كيف أمكنها أن توافق على أمر كهذا.

أملت فقط أن تجد في قلب ابنتها متسعًا لتسامحها.

(12)

بعدما ودعت بيتر بقبلة بريئة على الخد، عادت هلدا إلى غرفة المعيشة، واستعادت جلستها المفضلة على المقعد الوثير القديم. كانت قلقة جدًّا بدرجة لم تسمح لها بالذهاب إلى الفراش مباشرة، إذ لم تستطع أن تواجه وحدتها في الظلام دون صحبة سوى صحبة أفكارها. كان ثمة عدد هائل من الأفكار تتحلق في رأسها، منتظرة فرصتها لتنقض، كل فكرة مزعجة أكثر من أختها.

كانت الفتاة الروسية لا تزال تحتل موقع الصدارة في عقلها، رغم أنها نحت التفكير فيها بعيدًا أثناء تناولها الخمر مع بيتر. الخمر.. فكرة جيدة: ما زالت هناك بضع رشفات متبقية. ليس ثمة داع لإضاعتها. مدت هلدا يدها لتتناول الزجاجة، وأمالتها لتصب الثمالة في كأسها. الفتاة الروسية... لكن التفكير في إيلينا استدعى بالتالي في رأس هلدا دائرة من الأحداث التي انتهت بقضية موت الفتاة الشابة موضوعة على مكتبها؛ لقد تسلمت اليوم القرار الذي تم إعداده لها، طلب منها إخلاء مكتبها، تم إزاحتها من الطريق حرفيًّا كقصاصة ورق قديمة.

وكمحاولة لإلهاء نفسها، بدأت تفكر في بيتر، لكن هذا التفكير

استدعى أيضًا مشاكل أخرى؛ لأنها لم ترد المغامرة بوضع آمال عريضة على مستقبل علاقتهما. لقد مرت زيارته على ما يرام، لكن الآن عليهما اتخاذ الخطوة القادمة. إنها لا تريد أن تفقده، وهي خائفة من أنها لو تعاملت مع العلاقة أبطأ من اللازم فربما ينتهي بها الأمر وقد أغلقت الباب أمامه تمامًا. ولو نظرت إلى الأمر من الناحية الواقعية، كم عدد الفرص الأخرى التي قد تسنح لها؟

وإذ شغلتها هذه المعضلة، جلست تحدق شاردة في كأسها وكأنها تحدق إلى الفراغ، آخذة كل حين رشفة من الخمر، حتى تسلل من جنبات عقلها المظلمة آخر شخصين أرادت أن تفكر بهما، واللذين لم تتوقف أبدًا عن التفكير بهما: جون وابنتها.

وأخيرًا أخيرًا، شعرت بجفنيها يثقلان، وعلمت أنها أصبحت متعبة بما يكفي لتذهب إلى الفراش، شاعرة بالأمان لمعرفة أن بإمكانها السقوط في النوم دون أن تتعرض إلى التعذيب بلا داع على يد شياطينها الداخلية.

ولأول مرة، أوقفت زر المنبه الموضوع على المنضدة المجاورة لفراشها، ذلك المنبه الذي أيقظها لسنوات طويلة في الموعد المحدد: السادسة صباحًا. حدث ذلك في جميع أيام الأسبوع دون استثناء. حسنًا، يمكن للمنبه الآن أن يخلد إلى الراحة، وكذلك هلدا. ودون أن تولي الأمر مزيدًا من التفكير، ضبطت هاتفها أيضًا على وضع الصامت، وهو الأمر الذي نادرًا ما فعلته، إذ كان عملها يحظى بأهمية قصوى بالنسبة لها، وقد أحبت أن تكون متاحة

طوال النهار والليل. لم يمكنها دائمًا -أو ربما أبدًا- أن تقوم بتحرياتها البوليسية المعقدة، خلال ساعات العمل الرسمية.

وإذ أغمضت عينيها، تركت نفسها تتهادى منتقلة إلى عالم الأحلام.

اليوم الثاني

(1)

ذهلت هلدا عندما اكتشفت أن الساعة موشكة على الحادية عشرة. إنها لا تتذكر آخر مرة نامت فيها إلى مثل هذه الساعة المتأخرة. كان النور مضاء في غرفتها كالعادة. هي لا تحب النوم في الظلام.

غير مصدقة، نظرت إلى المنبه ثانيًا لتتأكد من الوقت، لكن ليس ثمة شك. لا بد أن إرهاقها المتزايد قد غلبها. استلقت في مكانها لوهلة، مستمتعة بحقيقة أنها لأول مرة ليست في عجلة من أمرها، وعندما فعلت، عاودتها مشاهد مقتطعة من أحلامها. لقد ظهرت لها إيلينا، تذكرت هلدا السفر للعودة إلى نياردفيك، إلى تلك الحجرة الصغيرة غير المريحة في النُّزُل. أمكنها أن تستعيد جميع التفاصيل، فقط مع إحساس أن الحلم كان مزعجًا، على الرغم من أنه لا يقارن بذلك الحلم الذي تراه تقريبًا كل ليلة، والذي كان مرعبًا إلى درجة جعلتها أحيانًا تستيقظ لتشهق عاجزة عن التنفس. مرعبًا، ليس لأن خيالها جامح، ولكن، على العكس؛ لأنه بكل تفاصيله كان استعادة لأحداث حقيقية، لم تستطع هلدا أبدًا أن تنساها، مهما حاولت بكل طاقتها.

جلست، وأخذت نفسًا عميقًا لتطرد تلك الأشباح. كل ما كانت تحتاج إليه الآن هو قدح من القهوة الجيدة القوية.

وقد خطر لها أن عليها أن تعتاد على التعطل عن العمل. لا التزامات، ولا جرس منبه. حياة مريحة، وربما رتيبة، كسيّدة على المعاش تقطن في شقة في الطابق الرابع.

كل هذا صحيح عدا أنها لا تنتوي الاعتياد على ذلك.

عليها أن تجد هدفًا لحياتها. على المدى القصير، هي بحاجة إلى أن تحل قضية موت إيلينا، أو على الأقل تقوم فيها بكل ما بوسعها. إنها تعلم أن نجاحًا كهذا سيسمح لها بأن تغادر وظيفتها في أبهة من المجد، ولكن الأهم من هذا، شعرت بحافز قوي لتحقيق نوع من العدالة للفتاة المسكينة. وعلى المدى الطويل، أرادت أن تستقر مع شخص ما، أن تهرب من وحدتها، وربما -فقط ربما- يكون بيتر هو هذا الشخص.

لم يخطر لها أن تتفقد هاتفها حتى كانت قد أتت على نصف قدح قهوتها الأول؛ لأنها -على العكس من الجيل الحالي المهووس بالهواتف الذكية- لم تكن مستعبدة لهاتفها. إن شباب إدارة التحقيقات الجنائية الأصغر سنًّا لا يمكن إبعادهم عن شاشاتهم لدقيقة، إلا بشق الأنفس، بينما هي لو كان الأمر بيدها لفضلت ألا تلقي نظرة على هاتفها بالمرة.

لذا، فاجأها أن هناك من حاول الاتصال بها، مرتين، من رقم لم تتعرفه. كشفت لها مكالمة إلى استعلامات الدليل أن الرقم يخص النُّزُل الذي تجسد في أحلامها كثيرًا.

أجاب على الهاتف أحد الشباب.

"صباح الخير، معك هلدا هرمانزدوتير. أتصل بكم من الشرطة".

أجابها: "أجل، صباح الخير".

"هناك من حاول الاتصال بي من هذا الرقم في نحو الثامنة هذا الصباح".

قال مرددًا الكلمات وراء بعضها، في همهمة تكاد ألا تكون مفهومة: "هه، صحيح؟ من هذا الرقم؟ ربما تكون دورا، ولكن قد يكون أي شخص آخر. لكنه لم يكن أنا".

سألت هلدا: "ماذا تقصد بـ: أي شخص آخر؟".

"حسنًا، كما تعلمين، جميع النزلاء يمكنهم استعمال هذا الهاتف". ثم أكمل: "فقط للمكالمات المحلية. الأرقام الدولية غير مسموحة، أو يمكنك أن تتوقعي وصول فاتورة الهاتف إلى عنان السماء". وضحك.

لم تكن هلدا في مزاج يسمح بالضحك. قالت: "أهناك أي طريقة لأعرف من اتصل بي؟ أو هل يمكنك فقط أن تصلني بدورا؟".

"دورا؟ آسف، لا يمكنني".

سألت هلدا، وقد بدأ صبرها ينفد: "ولماذا لا يمكنك؟".

من الواضح أن نصف قدح من القهوة ليس كافيًا.

"كانت في النوبة الليلية؛ لذا فهي نائمة الآن. كما أنه لا داعي لإزعاجها؛ لأنها بالتأكيد أغلقت هاتفها".

قالت هلدا معترضة: "لكن هذا الأمر عاجل". رغم أن المعلومات التي تعرفها لا تجعل منه أمرًا عاجلًا. ثم قالت: "فقط أعطني رقم هاتفها الأرضي، أيمكنك هذا؟".

ضحك الشاب ثانية، وقال: "هاتف أرضي؟ لم يعد هناك من يستعمل الهواتف الأرضية".

"حسنًا، أيمكنك فقط أن تطلب منها أن تتصل بي؟".

"حسنًا، سأحاول أن أتذكر. على الرقم الذي تتصلين منه الآن؟".

قالت هلدا: "أجل". ثم تذكرت أمرًا في اللحظة الأخيرة.

"تقيم لديكم فتاة من سوريا، وأنا أحتاج إلى التحدث إليها. أهي موجودة؟".

"سوريا؟ لا أعرف. أنا جديد هنا، كما ترين، ولا أعرف أي أحد بعد. دورا عندها فكرة أفضل مني".

كفت هلدا عن الجدال، وقالت: "لا تهتم. سأتصل بها لاحقًا".

"حسنًا. ألا أبلغها رسالتك.. أن تتصل بك؟".

”نعم، بالله عليك، من فضلك اطلب منها أن تتصل بي. أشكرك“.

أغلقت هلدا الخط وهي تطلق تنهيدة ساخطة، وصبت لنفسها المزيد من القهوة.

(2)

اليوم الأول في بيتهما الجديد: شقة بدروم صغيرة، بل صغيرة جدًّا، حتى إن وصفها بالشقة يعد مبالغة غير معقولة، لكنه كان يومًا عظيمًا لهما.

أخيرًا، وبعد كل هذا، انتقلت من منزل والديها، وودعتهما بحرارة، بينما كانت في قرارة نفسها تقطع وعدًا بعدم الرجوع أبدًا. وبعدها، ذهبت لتجيء بابنتها، غير متأكدة من استقبالها، أو مما إذا كانوا سيسمحون لها بأخذها.

لكن مخاوفها لم تكن في محلها. المربية المسؤولة ذكرت ملاحظة أن عامين كانا وقتًا طويلًا على غير العادة، لتعيش فيها البنت معهم، فالعادة أن الأطفال يقضون بينهم فقط بضعة أشهر. وقد حذرتها أيضًا من أن التغيير قد يستغرق من طفلتها وقتًا لتعتاد عليه، لكنها تمنت لهما، هما الاثنتان، كل التوفيق. إنها فتاة طيبة، هكذا قالت.

لكن، يا للسماء، كان الأمر صعبًا. لقد راحت الطفلة تعوي

وتعوي، رافضة أن تسمح لأمها بحملها، ورافضة أن تذهب معها. لم تكن هذه هي لحظة اللقاء التي ظلت الأم تحلم بها لوقت طويل.

وعندما حان الوقت لتغادرا أخيرًا، أضافت المربية: "أحيانًا تعاني من مشكلة عند النوم".

تساءلت الأم: "مشكلة عند النوم؟ ألديك أي فكرة عن السبب؟".

بدا على المربية الحذر، كان من الواضح أنها تتساءل عن إلى أي مدى من الحكمة الكشف عن الفترة التي قضتها البنت في رعايتهم، لكنها في النهاية، وبعد تمنع، صرحت قائلة: "كان يقيم معنا طفل في وقت سابق من هذا العام، اعتاد أن...". ثم ترددت.. "من الواضح أنه اعتاد تسلية نفسه بوخز الأطفال الآخرين في عيونهم أثناء نومهم".

سرت رعدة في ظهر الأم إذ سمعت هذا.

أكملت المربية: "ظننا في البداية أنها حادثة فردية، لكننا اضطررنا في النهاية إلى التدخل. ابنتك طفلة حساسة؛ لذا فقد تأثرت بهذا الأمر أكثر من الباقين. ومنذ ذلك الحين وهي تعاني من مشكلة في النوم، وتخاف جدًّا من إغماض عينيها في الظلام. في الحقيقة، كان أمرًا مزعجًا جدًّا".

في هذا اليوم الأول، لم تعتَد البنت بسهولة على بيتها الجديد، ولا على وجود أمها. رفضت أن تتحدث، وتجنبت النظر في عيني أمها. في البداية، لم تأكل حتى، إلا أنها أذعنت في النهاية. وعندما

جاء المساء، رفضت الذهاب إلى النوم. لم تنفع معها لوقت طويل أغاني الأطفال، وفي يأسها، بدأت الأم الشابة تتساءل عما إذا كانت قد ارتكبت خطأ جسيمًا. ربما كان عليها أن تمنح طفلتها للتبني مباشرة بدلًا من هذا الحل الوسط، الذي جعل منها أمًّا بالاسم فقط. الآن، كانت بالنسبة لها فقط المرأة التي كانت تظهر بانتظام على الناحية الأخرى من الحاجز الزجاجي، وتحاول أن تفكر في أشياء تقولها، وتلفظ كلمات مبتذلة، لا تصلح أبدًا كبديل للحب والأمان الحقيقيين.

لم تستطع الفتاة الصغيرة أن تقاوم إرهاقها لوقت طويل، رغم أنها حاولت بكل قوتها. وأخيرًا، بعد مضي وقت طويل، نجحت الأم في جعلها تستسلم للنوم، بتركها لنور غرفة النوم مضاء. ومنهكة، سقطت هي نفسها في النوم مباشرة بعد ذلك، متمددة على السرير بجوار طفلتها. لم تشعر في حياتها بسعادة أكبر مما شعرت به في هذه اللحظة.

(3)

اندهشت هلدا قليلًا لأن ماجنس لم يتحدث إليها. بعد الكلام الذي وبخها به أليكساندر مساء الأمس، توقعت اتصالًا مشابهًا من رئيسها في العمل. هناك تفسيران محتملان فقط لعدم حدوث ذلك: الأول هو أن ماجنس قرر تجاهل شكاوى أليكساندر وترك هلدا تواصل تحقيقاتها في القضية بسلام. إنه الاحتمال الأقل ترجيحًا، لأن هذين الاثنين كانا قريبين إلى بعضهما كشريكين في جريمة، ولو اشتكى أليكساندر، تأكد من أن ماجنس سينتصر له. التفسير الثاني، وهو الأرجح، أن أليكساندر لم يسرع إلى ماجنس ليملأ رأسه بوشاياته لأنه يعرف في أعماقه أنه لفق تحقيقاته. لا بد أنه يأمل أن تفشل هلدا في الوصول إلى أي معلومات جديدة، حتى تغرق القضية بأكملها دون أن تترك أثرًا. ولقد تساءلت كيف عرف أليكساندر ببحثها في موت إيلينا، لكن التفسير المرجح أن ألبرت هو من أخبره، إذ إنهما يعرفان بعضهما منذ عمل ألبرت في الشرطة.

ومع شعورها بالراحة لعدم تدخل ماجنس، علمت هلدا أن عليها ألا تعتمد على هذا لوقت طويل. لقد مُنحت أسبوعين فقط للعمل على القضية، لكن هناك خطرًا حقيقيًّا، ألا وهو أن تصدر إليها الأوامر بالانتهاء من تحقيقاتها قبل انتهاء هذه المدة، ربما فقط لكي تخلي مكتبها، لذا فمن المهم أن تستفيد جيدًا بالوقت المتبقي لها. أول مهمة على جدول أعمالها هي أن تتبع الخيط الذي أعطاه

لها المترجم بيارتور. وعندما يصل الأمر إلى العمل في الدعارة أو الآتجار بالبشر، فإن أعلم العالمين بهذا الأمر في الشرطة هو ضابط اسمه: ثراندور. في الواقع، لقد تم تعميده باسم: تروندور، لأنه ينتمي من ناحية أحد والديه إلى جزر الفارو، لكن لأنه عاش في أيسلندا طوال حياته، فقد اعتاد على النطق المحلي لاسمه. لم تكن علاقة هلدا بالرجل وطيدة، رغم أنه كان دومًا مهذبًا للغاية معها. كان رأيها فيه أنه مُداهن، لكن كان عليها الاعتراف أن رأيها في ثراندور وغيره الكثيرين من زملائها الذكور متأثر بحقيقة أنها لا تنتمي إلى شلتهم.

ولإعطائه حقه، على الأقل كان ثراندور -رغم ذلك- محققًا كفؤًا. كان حريصًا ذكيًّا، وكان يحقق بصفة عامة نتائج طيبة، على العكس من أليكساندر.

لم يجب ثراندور على هاتف مكتبه، لذا جربت الاتصال بهاتفه المحمول. رن لما بدا دهرًا، حتى رد أخيرًا.

رد عليها بطريقة رسمية: "ثراندور يتحدث". وأدركت ما يعنيه هذا، ألا وهو أنه لم يُعن بتسجيل رقمها في قائمة معارفه، رغم كل السنوات التي عملا فيها معًا.

"ثراندور، أنا هلدا. أيمكنني أن أراك لنثرثر قليلًا؟".

قال بتهذيب، شعرت أنه مفتعل تمامًا: "لماذا يا هلدا؟ مضى وقت طويل! لقد أخذت اليوم إجازة. في الحقيقة، عندي مجموعة

من الأذونات منذ الصيف على أن أنهيها. أيمكن أن ينتظر الأمر حتى غد؟".

فكرت لدقيقة. الوقت مهم جدًّا، وعليها أن تحرز اليوم بعض التقدم، وهذا هو أفضل خيط لديها عليها أن تتبعه.

"آسفة، الأمر عاجل".

"حسنًا، على الفور".

"أيمكنني أن آتي لأراك؟" علمت أن هذا أكثر جدوى؛ فلو كذب عليها، ستكون أمامها فرصة أفضل لتكتشف هذا من لغة جسده.

"حسنًا، أنا في ملعب الجولف". لم يدهشها هذا، فقد كان ثراندور أحد نجوم لاعبي فريق الشرطة. "أنا على وشك أن آخذ استراحة. أيمكنك أن تسرعي؟".

"أين أنت؟".

"أوريدافيلير".

لم يعن هذا أي شيء لها.

أوضح لها، عندما لم تُبْدِ أي رد فعل: "إنه طريق في هيدمورك". وشرح لها الاتجاهات لكيفية الوصول.

قالت كاذبة: "سأكون عندك خلال دقيقة". فقد كانت تدرك تمامًا أن سيارتها السكودا القديمة ليست جديرة بهذا التحدي.

وعندما قادت سيارتها في اتجاه الجنوب الشرقي، خارجة من المدينة، وجدت أفكارها مستقرة على بيتر. على الأمسية اللطيفة التي أمضياها، وكيف كانت تفتقد مثل تلك الصحبة. تأملت كذلك فيما أخبرته عن ماضيها، بل وأكثر من هذا، فيما لم تخبره.

هذا حتى الآن. سيكون هناك متسع لهذا فيما بعد.

وبعد ضواحي المدينة تمامًا، حيتها طبيعة محمية هيدمورك، بكل خضرة ربيعها النضرة، وبأشجار الصنوبر والبتولا، والأجمات ذات الشجيرات القصيرة في حال متوسطة بين وحشتها في الشتاء وبهائها الكامل في الصيف. في غابة ريكيافيك الأسمنتية دائبة الاتساع، تقدم هيدمورك واحة هادئة من الأشجار والمتنزهات التي يمكن أن يخرج إليها الناس ليستمتعوا بيوم العطلة مع عائلاتهم.

كان الشرح الذي منحها إياه ثراندور واضحًا، وقد علمها عملها الطويل في الشرطة الانتباه للتفاصيل، لذا لم يكن من الصعب عليها الاهتداء إلى طريق ملعب الجولف. ورغم الالتواء والتعرج الشديد للطريق الضيق المغطى بالحصى، الذي جعل من المستحيل بالنسبة لها رؤية أي سيارات قادمة، انطلقت هلدا وسيارتها السكودا مباشرة إلى وجهتهما.

وقف ثراندور ينتظرها في موقف السيارات، متأنقًا بشدة في زي الجولف الفاخر، المكون من سترة مزينة بشكل المعين، وقبعة

ذات طرف مدبب، وعربة يد ومجموعة من المضارب بجواره. لم يكن لدى هلدا فكرة تمكنها من تقييم زيه، لكن لأنها تعلم هوس ثراندور بلعبة الجولف، افترضت أنه لن يأتي إلا بالأفضل.

قال لها إذ اقتربت منه، ولم يستطع أن يمحو من صوته نبرة نفاد الصبر، ولمزيد من التأكيد، فقد ألقى نظرة سريعة على ساعة الحائط الكبيرة المعلقة على مبنى النادي: "للأسف ليس لدي متسع من الوقت. ما الذي أردتِ مناقشته؟".

لم تعتد هلدا أن تتم مباغتتها على هذا النحو، لكن من الواضح أن ثراندور لم يكن مستعدًّا ليدع أي شيء يقف في طريق مباراته.

دخلت في الموضوع مباشرة: "الموضوع يخص الفتاة الروسية، التي ماتت منذ عام. كان اسمها إيلينا".

قال: "أخشى أن ما ذكرتِه لم يستدع أي شيء إلى ذاكرتي. كنت أتمنى أن أساعدك". كان التهذيب مجسدًا، على الرغم من تعجله البادي.

"جاءت إلى البلاد كطالبة لجوء، ثم انتهت ميتة على شاطئ فاسليسوسترند. التحقيق الرسمي كان إلى حد ما سطحيًّا، لكنني علمت للتو أنه ربما تم جلبها للعمل كعاهرة، ربما كجزء من شبكة للإتجار بالبشر". أبقت عينيها مركزتين على رد فعل ثراندور، ولاحظت أنها أثارت اهتمامه. وأنهت كلامها بقولها: "ولهذا السبب أردت التحدث إليك".

قال وقد تغيرت نبرته، إذ أصبح الآن مراوغًا وأكثر ترددًا: "لا... لا أعرف أي شيء عن هذا الأمر. لم أسمع أبدًا عن أي واحدة اسمها إيلينا". ثم قال، وكأنما خطرت له فجأة: "آسف".

قالت هلدا بإصرار: "لكنه ليس أمرًا مجهولًا، أليس كذلك؟"

"تقصدين أولئك الذين يأتون إلى هذا البلد بحجة اللجوء، بينما هم في الواقع جزء من شبكة دعارة منظمة؟". لقد قامت ببعض البحث السريع على شبكة الإنترنت قبل أن تأتي، وقد وجدت ما يكفي ليبرر هذا التأكيد، على الأقل بغرض سبر أغوار ثراندور للحصول على المزيد من المعلومات. "حسنًا، نعم، أفترض أن هذا يحدث فعلًا، لكنه ليس موضوعًا نبحثه الآن. يبدو لي أن هناك من أعطاك معلومات مضللة".

قالت هلدا متحفظة: "لو أن أمرًا كهذا كان يحدث، هل هناك أي أسماء يمكنك أن تمنحني إياها، أي شخص قد يكون متورطًا في هذا النوع من التجارة؟ أي شخص قد يكون عمله متمركزًا هنا في أيسلندا؟".

رد عليها: "ليس في ذهني أحد". بأسرع من اللازم، هكذا فكرت، دون حتى أن يدع لنفسه فرصة للتفكير، وكأنه يفضل أن تبقى بعيدًا عن التحقيق في أي أمر داخل هذا النطاق. "ربما كان الأمر مجرد حالة فردية: شخص ما جلبها إلى البلاد ثم غادر. هذا هو السيناريو المرجح، ألا تعتقدين هذا؟".

ردت ببطء: "ممكن، أظن هذا. من قد يكون المرشح الأوفر حظًّا لتولي مثل هذه القضية؟ الجميع يعلم أنه أنت". كانت مهذبة لكن حاسمة.

قال ثانية: "آسف يا هلدا، ولكن ليست لدي أدنى فكرة. الأمر ليس مباشرًا كما يبدو لي أنك تعتقدين. للأسف، ليس لدينا هذا النوع من الجريمة المنظمة هنا في أيسلندا. آسف. انظري، أنا مضطر حقًّا لأن أغادر الآن، لو تأخرت فستضيع عليّ المباراة".

أومأت برأسها، رغم أن مصطلحات الجولف لم تكن معروفة لها. قالت: "على أي حال، شكرًا يا ثراندور. شكرًا لأني شغلت بالك بهذا الأمر".

"لا مشكلة يا هلدا، تحت أمرك في أي وقت". ثم أضاف: "استمتعي بالتقاعد". وفكرت أنها أحست بلمحة سخرية في صوته.

راقبته وهو يسحب مضارب الجولف طوال الطريق إلى التبة، حيث كان يقف ثلاثة لاعبي جولف آخرين، وكان من الواضح أنهم في انتظاره. كان يومًا جميلًا للعب. كانت السماء صافية، زرقاء بلا سحب، منظرًا يسر الناظرين بعد انقضاء الشتاء الموحش، رغم أن الهواء ما زالت به لسعة برد.

بدا وكأن ثراندور هو أول من سيبدأ مباراة الجولف، أو أيًّا كان اسمها. مد يده في حقيبته ليأخذ مضربًا، ثم، وقد لاحظ أن هلدا ما

زالت واقفة تراقبه في موقف السيارات، منحها ابتسامة مرتبكة وتوقف، ثم لوح لها منتظرًا إياها أن تغادر. لوحت له بدورها، لكنها لم تتزحزح من مكانها، مستمتعة بارتباكه. أشاح ببصره بعيدًا واتخذ وقفة، معطيًا ظهره لهلدا، ورفع مضربه عاليًا وكأنه سلاح، ثم طوحه إلى الخلف، وضرب الكرة بقوة هائلة. طارت الكرة بعيدًا في الملعب واستقرت على الناحية الأخرى من السياج المصنوع من السلك الشائك. ومن رد الفعل الذي بدا على ثراندور وصحبه، استنتجت أن ما حدث لم يكن مرغوبًا بالمرة!

(4)

كانت البنت الصغيرة لا تزال متقوقعة على نفسها، لا تظهر أي عواطف، اللهم إلا البكاء المستمر، لكن أمها رفضت أن تستسلم. لا بد أن تتجاوزا الحاجز بينهما بأي شكل. بدا وكأن ابنتها تعاقبها على غيابها، وهو الأمر الذي يعد ظلمًا بينًا لأن الأم كانت عاجزة عن القيام بأي شيء آخر. لم يكن لديها خيار حقًّا. والآن، ها هي، وحيدة مع طفلتها، لا تكاد تتمكن من النوم ليلًا من القلق على المستقبل. كيف ستجمع بين العمل وتربية طفلة بمفردها؟ تقريبًا كل النساء اللائي تعرفهن كن ربات بيوت متزوجات، لديهن متسع من الوقت للعناية ببيوتهن وأطفالهن. لم يكن المجتمع فقط ضدها، بل حتى من يسمون صديقات لم يخفين استهجانهن لحالها كأم بلا زوج. بينما والداها، اللذان ما زالا مصرين على

رأيهما أن البنت يجب أن تمنح لأسرة تتبناها، كان رد فعلهما سيئًا تجاه قرارها بمواجهة الأمر وحدها، وظلا على تباعدهما. وفي أغلب الأيام، كانت تشعر أنه ليس لها من تلجأ إليه.

كانت أبعد ما تكون عن أن يشتد عودها بفعل تلك الظروف القاسية، بل لقد أحست بقواها تخور يومًا بعد يوم.

أثناء وجودها في العمل، لم يكن بوسع الأم إلا تترك ابنتها في رعاية جليسة أطفال تعيش في الجوار، امرأة باردة صارمة، لديها مفاهيم قديمة عن تربية الأطفال. في كل يوم من أيام الأسبوع، كان يوجع قلب الأم ترك الابنة الصغيرة في شقة البدروم المتكدسة بالأغراض، الخاصة بجليسة الأطفال، والتي يفوح منها دخان السجائر. لكن كان عليها أن تعمل، وإلا لن تستطيع أن تعول نفسها وطفلتها، وكانت تلك السيدة تقدم خدمات الرعاية الوحيدة في المنطقة التي يمكنها تحمل نفقاتها.

ولم يكن توديع طفلتها عند مغادرتها للذهاب إلى العمل سهلًا بأي حال. رغم أنها كانت تعرف أنها ستعود لتأخذها ثانية آخر اليوم، فإن كل وداع بدا كإعادة لفراقهما الأصلي. صلت ودعت ألا تشعر البنت الصغيرة بنفس الشعور. كانت الطفلة تبكي في كل مرة، لكن لم يكن من الواضح أن إبعادها عن أمها كان هو سبب دموعها.

قالت لنفسها إن كل شيء سيكون على ما يرام في النهاية،

وأن العلاقة بين الأم والابنة ستصبح طبيعية ولو بعد حين. أن تكون الأمور طبيعية.. كان هذا هو كل ما تطمح إليه. لكن، في أعماقها، شعرت، أو علمت، أن هذا لن يكون أبدًا. ما انكسر لا يمكن إصلاحه.

(5)

كان ثراندور يحجب عنها المعلومات، بدا هذا واضحًا جدًّا، لكن هلدا لن تسمح له بالوقوف في طريقها. من بين أصدقائها القليلين في الشرطة، كان هناك شخص واحد لديه ما يكفي من المعارف في العالم المظلم، الذي يقضي فيه ثراندور أيامه.

ولأن هلدا ليس لديها على الإطلاق الرغبة في أن تطأ بقدمها إدارة التحقيقات الجنائية، فقد رتبت أن تقابل صديقتها في المقهى الموجود في متحف كجارفالستادير، متحف الفن الذي يقع بالضبط خارج وسط المدينة. كانت القضية تشغلها حقًّا. ورغم أنها شعرت ناحية إيلينا بإحساس الواجب لسبب ما، علمت أيضًا أن القضية كانت وسيلة للهروب من إحساسها المؤلم بالرفض، الذي كان يغمرها في كل مرة تستعيد محادثتها مع ماجنس.

لم يكن هناك تقريبًا أي أحد في المقهى عداها، وزوج من الشباب، ربما يكونان سائحين، كما بدا من حقيبتي الظهر

والكاميرا التي يحملانها، وقد راحا يلتهمان شرائح فطيرة التفاح. كان من الواضح أنهما واقعين في الحب، مثلما كانت هي وجون على أيامهما. لم يكن الفوز بقلبها أمرًا يسيرًا، لكنها أحبته حقًّا حبًّا عميقًا، وكانت ذكراه ما زالت حية في قلبها تؤلمها. لم تشعر في صدرها تجاه بيتر بمثل هذا الشعور القوي، لكن لا بأس، إنها حقًّا معجبة به ويمكنها تصور المستقبل، نوعًا ما، معه. وكان هذا يكفي. لربما فقدت القدرة على الحب، ليس فقط احتمالًا، بل قطعًا، وهي تعرف بدقة اللحظة التي حدث فيها هذا.

بدت فطيرة التفاح شهية للغاية، حتى إن هلدا طلبت شريحة بينما هي تنتظر، وفي اللحظة التي أتت فيها على آخر قطعة، دخلت صديقتها إلى مقهى المتحف. كانت كارين تصغرها بعشرين عامًا، لكن التفاهم بينهما كان دومًا جيدًا. أخذتها هلدا تحت جناحها، ليس بطريقة الأم؛ لأن هلدا لم تفكر في كارين أبدًا كابنتها، ولكن بطريقة المعلم مع التلميذ. وإذ رأت نفسها في امرأة أصغر، فقد حاولت أن ترشدها في مجتمع الشرطة الذكوري الأشبه بالمتاهة. وقد أثبتت كارين نفسها كتلميذ نجيب. وهي الآن تنطلق في مسار سريع يقودها إلى أعلى الدرجات، إذ حصلت على فرص وتبوأت مراكز لم تجرؤ هلدا إلا على الحلم بها. ولقد راقبت هلدا الصعود السريع لتلميذتها بعين الفخر الذي لم يشبه الحسد، لكن ثمة صوت خافت بداخلها تساءل: لم لا تصعدين أبدًا أنت أيضًا؟

كان سؤالًا لم تجد له إجابة شافية. لا ريب أنه قد تضافرت عوامل شتى، منها التوجهات التي سادت على أيامها نحو المرأة، لكن الحقيقة هي أنها وجدت دائمًا صعوبة في تكوين علاقة قوية مع زملائها، أبقتهم دائمًا على مسافة منها، وقد دفعت ثمن ذلك في مهنتها.

انسلت كارين إلى المقعد المقابل لها قائلة: "حبيبتي هلدا، كيف حالك؟ أحقًّا أنك راحلة؟ هل رحلتِ بالفعل؟ أخشى أنني لن يمكنني البقاء طويلًا.. أعمل بيدي ورجلي، أنت تعرفين الأحوال في العمل".

اعتادت كارين أن تعمل تحت إمرة ثراندور في شرطة الآداب، لكنها الآن تخطو خطوتها القادمة صعودًا في السلم الوظيفي.

سألت هلدا: "ألن تتناولي قهوة وقطعة من الكعك؟".

"لا كعك قطعًا، أنا أتبع هذه الأيام حمية خالية من الجلوتين، لكني سأتناول قهوة". وقفت كارين ثانية، وقالت: "سأحضرها بنفسي".

"لا، أرجوكِ، اسمحي لي...".

قاطعتها كارين في لهجة بدت لهلدا مشفقة: "لا، أبدًا لن أسمح". وكأن قدحًا من القهوة سيفلسها، بما أنها الآن ستتقاعد. لو كان هناك أمر واحد لا تستطيع هلدا تحمله، فإنه أن تكون موضعًا للشفقة. ومع هذا، لم تكن تنتوي أن تضيع وقتها لتتجادل حول

أمر بهذه التفاهة؛ لذا فقد تركت الأمر يمر.

قالت كارين، وقد عادت ومعها كابوتشينو: "لا بد أن نتقابل على الغداء من وقت لآخر، حتى لا تنقطع الصلة بيننا. أنا كنت أعرف طبعًا أنك أكبر مني، لكن لم أظن الفرق بيننا كبيرًا هكذا". والغريب أن كارين بدت وكأنها تعتبر كلامها مجاملة. أشرقت، ولم يبد عليها أي قدر من الخجل من مغزى كلامها. ربما ظنت أن هلدا ستفخر بهذه الإشارة إلى مظهرها الشاب.

حاولت هلدا أن تنفض عنها توترها، ولكن بدا لها جليًّا أنهما لم تكونا أبدًا صديقتين حقًّا. لقد احتاجت كارين إلى دعمها وصداقتها أثناء زحفها صعودًا على السلم الوظيفي، لكن من الواضح الآن أن هلدا قد أدت الغرض منها ويمكن إزاحتها جانبًا. وفي سرها، لعنت نفسها لأنها لم تدرك هذا من قبل، ولكنها الآن –في هذه اللحظة- تحتاج إلى كارين.

قالت: "إنني أتقاعد".

"نعم، سمعت هذا. سنفتقدك جميعًا بشكل فظيع يا حبيبتي، أنت تعرفين هذا".

قالت هلدا غير صادقة: "نعم، طبعًا. وأنا أيضًا. على أي حال، هناك أمر صغير طلب مني ماجنس أن أستوضحه قبل رحيلي، شيء أحتاج فيه إلى رؤية ضابط خبير". كان هذا تجميلًا للحقيقة، لكن هلدا كانت قد بدأت تعتاد على هذا.

”أحقًّا، هل فعل ماجي؟“ لم يبد على صوت كارين الحماسة المطلوبة.

ولم يخطر أبدًا على بال هلدا أن تنادي رئيسها باسم ”ماجي“.

”نعم، لقد فعل. الأمر يخص شابة روسية ماتت منذ ما يزيد قليلًا على العام. ربما كانت تعمل هنا كعاهرة، تحت غطاء أنها طالبة لجوء“.

اكتسب وجه كارين نظرة خاوية. ألقت نظرة سريعة على ساعة يدها وابتسمت بطريقة روتينية، وقد بدا عليها واضحًا نفاد صبرها ورغبتها في المغادرة.

وبعد فترة صمت قصيرة ملؤها الارتباك، قالت: ”آسفة، لا أعتقد أن بإمكاني مساعدتك في هذا الأمر. لم أسمع بهذه القضية أبدًا، على أي حال لقد انتقلت“.

قالت هلدا بهدوء: ”نعم، أعلم هذا. لكن كان عندي اعتقاد أن لديك دراية واسعة بهذا العالم، وأنك تعرفين الأسماء والوجوه الأساسية فيه. ولكن ربما اختلط علي الأمر بخصوص نوعية العمل الذي كنتِ..“. وتركت الجملة مبتورة. خطر لها أن تسأل بوضوح عما إذا كان هذا يعني أن كارين لم تكن موضع ثقة لكي يعهدوا إليها بأي عمل مهم، لكنها خمنت أن رسالتها قد وصلت جلية واضحة.

قالت كارين وقد ابتلعت الطعم: ”لا، لقد كنتِ محقة. تخمين صائب“.

”هل هناك أي شخصيات لم ننجح بعد في الوصول إليهم، مشكوك في أنهم... حسنًا، يعملون في مثل هذه الأعمال؟“.

”لست متأكدة من أن الأمور كما هي اليوم، لكن مع هذا، هناك شخص واحد خطر على بالي..“. أحجمت كارين عن إكمال كلامها، لكن لم تكن هلدا لتدعها تغادر المصيدة. لقد انتظرت... ثم انتظرت لوقت أطول قليلًا، كان هذا أمرًا تجيده حقًّا. كان هذا كافيًا، فسرعان ما شعرت كارين أنها مضطرة إلى استكمال حديثها: ”لكن كان من الصعب إثبات أي شيء عليه، لذا فقد يئسنا بشكل أو بآخر. اسمه: آكي أكاسون.. ربما سمعتِ عنه. إنه رجل أعمال لديه متاجر جملة“.

كان الاسم مألوفًا حقًّا، رغم أنه لم يستدع إلى ذاكرة هلدا وجهًا يخصه. سألت: ”أشاب هو أم عجوز؟“.

”في نحو الأربعين. يعيش في غرب المدينة، في بيت مبهرج، لا بد أنه كلفه ثروة“.

”العمل في تجارة الجملة يمكن أن يغطي نفقاته جيدًا“.

”ليس إلى هذه الدرجة، صدقيني. إنه مغروز في الأمر حتى عنقه. لكن أحيانًا لا يستطيع المرء إثبات أي شيء، لذا يتحتم عليك ترك الأمر ومواصلة العمل في اتجاه آخر. بحق الله، لا تحاولي التوسع في الأمر أكثر من ذلك، فالرجل، من الناحية الرسمية، يلمع من النظافة“.

قالت هلدا تطمئنها: ”لا تقلقي، سأحتفظ بهذا الكلام لنفسي. كلام مثير للاهتمام، لكن أشك أنه قد يفيدني بشكل مباشر. ما أحتاجه هو شخص ذو صلة بالفتاة الميتة“.

”فهمتك. أيًّا كان..“.

وهكذا افترقتا، بلا حرارة من كلا الطرفين. وبالرغم مما قالته، كان لدى هلدا النية الكاملة لزيارة ذلك التاجر. فعلى أي حال، ما الذي كان لديها لتخسره؟

(6)

رغم أن الحياة مع ابنتها كانت تتجه إلى الاستقرار في نمط معهود، إلا أنها لم تكن كما تصورتها الأم. كانت تجدها صراعًا شاقًّا بلا هوادة. كانت الطفلة شقية، عنيدة، منطوية، رغم أن الأم قد قامت بكل ما في وسعها لتغمرها بكل الحب والعطف الذي كان في مقدورها. كانت المساءات هي الأصعب، إذ كانت الطفلة لا تزال تخاف كثيرًا من الظلام، فما كانت لا تذعن للذهاب إلى النوم إلا إذا كان النور مضاء. وكان وضعهما المالي غير مستقر كذلك، وقد سيطرت عليها جميع المخاوف التي تخص طفلتها، والتي تخص النقود والمستقبل.

لقد بدأت تندم لأنها أبدًا لم تخبر أبا الطفلة أنها تحمل طفلته. كان جنديًّا أمريكيًّا، عسكر لفترة وجيزة في أيسلندا بعد الحرب،

وعلاقتهما كانت أشد إيجازًا، إذ استمرت لليلة أو ليلتين فقط. وعندما أدركت أنها تنتظر طفلًا، ظلت ساهرة ليلة بعد ليلة، يعذبها التفكير فيما إذا كانت تبحث عنه، لكن الحواجز بينهما بدت عصية على التجاوز. هي ببساطة لم تستطع أن تحمل نفسها على فعل ذلك، إذ كانت تشعر أنها مجللة بالعار بسبب علاقتهما وما أدت إليه. بالطبع، كان كلاهما ملامًا بنفس الدرجة على ما حدث، لكنه كان حرًّا في الرجوع إلى وطنه، تاركًا إياها لتواجه العواقب: الحمل بطفلة غير شرعية، واضطرارها لمواجهة عائلتها وأصدقائها بكل هذا.

والآن، بالطبع، فات الأوان. لقد عاد إلى أمريكا. ورغم أنها تعرف الولاية التي يعيش فيها، فلن ينفعها هذا كثيرًا، لأنها -رغم أن هذا صعب التصديق- لا تعرف اسم أبيه. لا بد أنه أخبرها في وقت ما، لكن معرفتها بالإنجليزية كانت محدودة، وعلى الأرجح لم تحفظ الاسم. وإضافة لهذا، لن يبدو هذا مناسبًا الآن. لو لم تكن خجلة بدرجة مخيفة، لأمكنها أن تصل إليه عندما علمت لأول مرة بحملها، حيث كان ما زال في أيسلندا حينئذ. لكن فكرة السفر إلى القاعدة الأمريكية، في كيفلافيك، وطلب التحدث إلى أحد الجنود، ليس في جعبتها سوى اسمه الأول، وبطنها المتكور آخذ في الظهور... يا إلهي، لا، لم تستطع فعلها. ومع هذا، فالآن كان بإمكانها أن تضع نفسها في هذا الموقف المثير للشفقة. تمنت لو أنها واجهت الموقف بشجاعة لأجل مصلحة الطفلة، لأجل الطفلة الصغيرة التي بدأت حياتها هذه البداية الصعبة، والتي على

الأرجح لن يتسنى لها أن تعرف أباها أبدا. أما هو، فلم يعرف أن له ابنة جميلة في أصقاع أيسلندا الباردة. ليست إلا موقعًا واحدًا من مواقع عدة عسكر فيها الجندي الشاب الوسيم، لكنه، رغم أنه لم يزر البلاد إلا مرة واحدة ربما، قد ترك فيها وراءه ذكرى دائمة لوجوده.

ولقد خشيت فكرة أن تضطر إلى شرح كل ذلك لطفلتها ذات يوم.

(7)

كانت هلدا لا تزال في كجارفالستادير عندما اتصلت دورا من النُّزل.

قالت دورا: "لم أستطع أن أصل إليك هذا الصباح. هل أعطلك عن فعل شيء؟".

بعد مغادرة كارين، بقيت هلدا في المقهى، شاعرة بالإرهاق والخواء. احتاجت إلى أن تجلس هناك لوقت أطول قبل أن تتمكن من استنفار طاقتها للعودة ثانية إلى الخارج، إلى طقس أيسلندا الربيعي، والذي كان، في هذه المرة، بشيرًا بنهاية وليس بداية. الحقيقة أنها ببساطة عاجزة عن التصالح مع فكرة توقفها عن العمل. لم يكن الأمر فقط هو الأسلوب الوقح الذي اتبعه رئيسها في العمل في تبليغها بالخبر هو ما أوصلها إلى هذه الحالة من

الصدمة الذاهلة، وليس فقط أنها منزعجة لاضطرارها إلى الرحيل مبكرًا عن الموعد المحتوم. كانت منزعجة لاضطرارها إلى ترك العمل على الإطلاق. قل ما تحب عن زملائها، لكن صحبتهم كانت شريان حياة بالنسبة لها. وحتى مشاحناتهم وتحاسدهم كان من الرائع التجاوز عنها بين الجدران الأربعة الشاهقة لشقتها، والتي -عندما لا تجد ما يلهيها- ستغمرها بذكريات الماضي. لن تغمرها فقط، ولكن ستخنقها. لقد ظلت طيلة حياتها، بحسب ما تتذكر، قلقة في نومها، حتى قبل أن تبدأ الكوابيس المتكررة في مهاجمتها. وكل ما جعلها تواصل هذه الحياة كانت قضاياها، وتحرياتها، وضغوط العمل. الليلة الماضية كانت نموذجًا لهذا، وأحلامها عن الفتاة الروسية أزاحت جانبًا تلك الذكريات الأخرى غير المرغوبة عن ماضيها: ندمها وذنبها. أكان بإمكامها أن تفعل شيئًا آخر...؟

جلست هلدا هناك، تطيل التفكير في مصيرها. كانت الوحيدة المتبقية في مقهى المتحف، حتى السائحان رحلا. ليس هناك من يهتم بالفن الأيسلندي أو بفطيرة التفاح الأيسلندية بالكريمة المخفوقة في مثل هذا اليوم المشمس الرائع، رغم نسيم الشمال المحمل بالصقيع. على أي حال، يمكنك دومًا أن تعثر على مكان محاط بالجدران هناك بالخارج.

أهكذا ستبدو كل أيامها عندما تحال إلى التقاعد؟ الجلوس في مقهى، ومحاولة ملء الساعات الطويلة الفارغة؟ عبثت بفكرة

الاتصال ببيتر ودعوته للانضمام لها وتناول القهوة، لكن لا بد أن تتحسس طريقها، فهي لا تريد أن تظهر له بمظهر المتهافتة عليه.

وكانت دورا تسأل هل تعطلها عن شيء، يا للسخرية!

ردت هلدا: "لا". ثم أخبرتها بالحقيقة البسيطة: "آسفة، لم أسمع جرس الهاتف باكرًا. أرجو أنه لم يكن أمرًا عاجلًا".

"هه، لا، لم يكن كذلك على الإطلاق. للأمانة، لا أستطيع أن أفهم لم تزعجين نفسك بأمر كهذا. الفتاة ماتت منذ دهور، والجميع مرتاحون.. لو تفهمين ما أعنيه".

إن هلدا تفهم، تفهم أكثر من اللازم. الفتاة الروسية المسكينة، في ظل عدم وجود من يدافع عنها، عاملتها الشرطة معاملة رخيصة. ورغم أن هذا لم يكن خطأها، شعرت هلدا بالعار.

"كل ما في الأمر أني تذكرت شيئًا.. ربما يكون لا علاقة له أبدًا بالموضوع، ولكن، لا أحد يعلم، ربما يكون ذا نفع لك".

على الفور، تحركت هلدا لتجلس على حافة مقعدها، وقد أرهفت سمعها.

"كل الحكاية أنه كان هناك رجل ما، جاء مرة ليأخذها معه.. رجل غريب".

"غريب؟".

"نعم، ليس أحد المحامين الذين يتعاملون دومًا مع قضايا اللجوء تلك. ولا هو حتى ذلك المترجم الروسي. شخص آخر".

"تقولين أخذها معه؟".

"نعم، رأيتها تدخل إلى سيارته خارج النزل. تذكرت فقط هذه الحكاية". من نبرة صوتها، كانت دورا تشعر بالرضا عن نفسها لأنها امتلكت معلومات جديدة تبلغها بها. "وكما ترين، أتذكر أني تعجبت إلى أين كانت ذاهبة مع ذلك الرجل؛ لأنها طبعًا لم تكن على معرفة بأي أيسلنديين".

سألتها هلدا، وقد أخرجت من جيبها دفتر ملاحظاتها لتدون به التفاصيل سريعًا، وقد شعرت فجأة بالطاقة تسري في عروقها: "أكان أيسلنديًّا؟".

"نعم".

"وكيف عرفتِ؟ هل تحدثتِ إليه؟".

"ماذا؟ أنا؟ لا. أنا فقط التقيتهما صدفة بالخارج، رغم أنه لا بد قد ذهب إلى الاستقبال ليسأل عنها. كنت في طريقي إلى الداخل لأبدأ نوبتي، أو شيء كهذا".

كررت هلدا سؤالها: "كيف عرفتِ أنه كان أيسلنديًّا؟".

"يمكنك دومًا تمييز الأيسلندي، فالأيسلنديون متشابهون.. أنت تفهمين ما أعنيه. له وجه أيسلندي تقليدي، ومظهر أيسلندي".

”أيمكنك أن تصفيه؟“.

”لا، مضى على هذا وقت أطول من اللازم“.

”أكان نحيفًا؟ زائد الوزن؟“ وتنهدت هلدا سرًّا لأنه كان عليها أن تنتزع جميع المعلومات من هذه الفتاة واحدة وراء الأخرى.

”نعم، زائد الوزن، هذا صحيح. سمينًا إلى حد ما، وغير وسيم، بقدر ما أتذكر“.

قالت هلدا: ”ليس من النوع الذي تفضلينه، صحيح؟“.

”يا إلهي، لا. أذكر أني فكرت في أنها ربما قد وجدت لنفسها صديقًا حميمًا، لكنهما لم يبدوا لائقين ببعضهما على الإطلاق.. كانت هي جذابة، كما تعرفين، طويلة ورشيقة، بينما كان هو قصير بدين“.

”وأنت لم تريه أبدًا من قبل؟“.

”لا، لا أظن“.

”أتذكرين متى كان هذا؟“.

قالت دورا: ”لا بد أنك تمزحين. إنني لا أذكر حتى ما تناولته على الإفطار. يا إلهي، كان هذا، لا أعلم، في وقت ما قبل موتها“. تذكر ما هو معلوم بالضرورة.

”أتعتقدين أنه ربما كان صديقها الحميم؟“ مما علمته خلال

محادثتها مع بيارتور، كانت هلدا قد كونت نظريتها الخاصة عما يحدث، لكنها أرادت أن تعرف ما إذا كان الشك في أمر مماثل قد راود دورا. لكنها لم تسألها على نحو مباشر. لا داعي لإطلاق شائعة.. ليس الآن على أي حال.

"حسنًا، لا، ليس بالضبط، خطر لي فقط هذا الخاطر. لو كان لها أن تتخذ صديقًا أيسلنديًا حميمًا، أنا متأكدة أنه ليكون أكثر لياقة من ذاك الرجل".

"أيمكنك أن تفكري ما العمل الذي قد يجمع بينهما؟".

"لا. على أي حال لم يكن لي شأن بالأمر. لدي ما يكفيني من إدارة هذا المكان، أما ما يفعله النزلاء فليس مشكلتي".

"في أي عمر كان الرجل؟".

"من الصعب أن أحدد. كان مجرد رجل. ربما يبدو في منتصف العمر، كما تعرفين. أكبر منها".

"أرأيت نوع السيارة التي كان يقودها؟".

"هه، أجل، سيارة كبيرة من النوع الذي يسير في الطرق الوعرة. جميع الرجال على شاكلته يقودون سيارات رباعية مثلها، والسوداء منها عادة".

"رباعية من أي نوع؟".

”لا تسأليني، لا أستطيع أن أفرق بين السيارات الرباعية وبعضها، كلها تبدو متشابهة“.

”أكان هذا يوم موتها؟“.

قالت دورا: ”أنت تعرفين، لست متأكدة. ربما كان اليوم السابق له، لكني لست متيقنة. أكيد كنت سأربط بين الأمرين في حينها؟“.

أجابت هلدا: ”لا أعرف“.

”لا، صحيح“.

”أرأيتِ الرجل مرة ثانية منذ ذلك الحين؟“.

”لا، لا أظن“.

”معلومات مهمة جدًّا يا دورا. شكرًا لاتصالك. أيمكنك أن تعاودي التواصل معي لو تذكرت أي شيء آخر؟ أي شيء على الإطلاق“.

”أجل، بالتأكيد. هذا أمر ممتع، أليس كذلك؟ لعبة المخبر السري هذه. أقصد أنني أحيانًا أقرأ روايات الجريمة، لكني لم أفكر أبدًا أنه يمكنني أن أتدخل بنفسي في قضية“.

بدأت هلدا تتحدث بلهجة معسولة: ”ليسا نفس الشيء“. ثم، وقد سنحت لها الفرصة، فقد غيرت لهجتها، واستبدلتها بصوت مشجع: ”ولكن أيمكنك أن تؤدي لي معروفًا وأن تبقي عينيك

مفتوحتين عندك؟".

"تقصدين كيف؟".

"اسألي هنا وهناك، ربما يتذكر أي أحد تفصيلة قد تكون مهمة. كما ترين، أنا أعتقد بشدة أن إيلينا قد قتلت، والأمر يعود إلينا أن نحاول وأن نعثر على مرتكب الجريمة". ثم شعرت بوخز الشك: أيمكن أنها تضع الفتاة في مساومة، في خطر، بل حتى...؟ ثم صرفت الفكرة. ليست هكذا تجري الأمور في مكان صغير هادئ كأيسلندا. الناس هنا يقتلون في حالة واحدة: بوحي اللحظة، تحت تأثير الكحول أو المخدرات، أو في نوبة غضب أو غيرة. أما الجريمة مع سبق الإصرار فلا يُسمع عنها هنا، دعك من أن يرتكب شخص أكثر من جريمة قتل واحدة من هذا النوع. كانت تتعقب قاتلًا، حسنًا، لا ريب في هذا، لكن دورا كانت بأمان.

"بالتأكيد. سأسأل هنا وهناك، لا مشكلة".

سألت هلدا: "ماذا حدث بخصوص المرأة السورية؟ أيمكنني -ربما- أن أتحدث إليها الآن؟".

"لا، آسفة، لا يمكنك. لقد جاءت الشرطة وأخذتها".

"ماذا تقصدين؟".

"لقد تم ترحيلها. هذا يحدث. كما تعرفين، الأمر يشبه إلى حد ما لعبة الكراسي الموسيقية التي كنا نلعبها ونحن أطفال. تبدأ

الموسيقى، فيقف الجميع ويمشون في شكل دائري، وعندما تتوقف الموسيقى، يتم استبعاد أحد الكراسي، ومن ثم يكون أحد اللاعبين سيئ الحظ. واليوم، كان دور المرأة السورية".

(8)

لقد ذكرت مرة أو مرتين أنها تود لو تغادر المدينة وتشاهد المزيد من أيسلندا. أن تخرج إلى الريف، بعيدًا عن المدينة.. كما لو أن المكان هنا يشبه المدن. حتى ريكيافيك كانت لا تختلف كثيرًا عن قرية، مقارنة بما اعتادت عليه.

لم تكن جادة تمامًا عندما ذكرت فكرة الرحلة، فلم تتوقع أي جدوى منها، خاصة مع هذا الطقس القاسي. عاصفة ثلجية لا هوادة فيها تهب من البحر، بين يوم وآخر، تصاحبها الأمطار أحيانًا، وغالبًا الثلوج. كان اللون الأبيض البكر جميلًا عندما تشاهده من النافذة، لكن التغير المستمر في الأحوال كان يعني أنه نادرًا ما يحتفظ بهيئته التي تراها على بطاقات المعايده لوقت طويل، إذ يتحول أولًا إلى اللون الرمادي المطين، ثم إلى جليد، عندما يأتي الصقيع المحتوم، قبل أن يتغطى ثانية بالثلوج الجديدة المتساقطة.

لذا فقد كانت مفاجأة عندما اتصل ليقترح نزهة قصيرة في عطلة نهاية الأسبوع، لرؤية الثلوج، كما قال. نظرت من النافذة

نحو الأمطار المنهمرة، وسمعت عواء الريح من خلال الزجاج، وارتعدت. لكن المرء يعيش مرة واحدة، هكذا فكرت. من الأفضل أن توافق وتمر بخبرة جديدة، مغامرة على حافة القطب الشمالي.

سألت: "ألن يكون الجو باردًا؟ يبدو الجو صقيعًا في الخارج".

أجابها: "أبرد مما نحن فيه؟" ثم أضاف، وكأنه قد قرأ ما يدور برأسها: "ستكون مغامرة".

وهكذا فقد كانا يفكران على النحو ذاته.

سمعت نفسها تقول نعم. لكن كانت لديها أيضًا أسئلة أخرى: إلى أين نذهب؟ كيف سنصل إلى هناك؟ ماذا أحضر معي؟

طلب منها أن تهدأ. سيذهبان بسيارته رباعية الدفع. لن يرتحلا إلى مكان بعيد، فالطقس لا يمكن توقعه، وهما لا يريدان المخاطرة. سيذهبان فقط بما يكفي للابتعاد عن كل هذا، لجعلها ترى البرية بنفسها.

حاولت سؤاله مرة ثانية: "إلى أين نحن ذاهبان؟".

لم يخبرها.

وأجابها في النهاية: "سترين". ثم سألها ما إذا كانت تمتلك معطفًا ثقيلًا يمكنها أن تحضره معها، مثل المعاطف العازلة المبطنة. وعندما قالت إنه ليس لديها شيء ملائم، عرض عليها أن

يقرضها واحدًا. وكانت ستحتاج كذلك إلى ملابس داخلية صوفية سميكة، لإبقائها متدفئة طوال الرحلة، لا سيما في الليل، عندما يشتد البرد قساوة.

للحظة، فكرت ما إذا كان عليها أن تغير رأيها بخصوص الذهاب معه، لكنها شعرت بقوة تجذبها، انجذاب روحها نحو المغامرة. أخبرته -كما لا بد أنه يعلم- أنها لا تملك أي ملابس داخلية صوفية، وقد عرض أن يبتاع لها بعضًا منها، وأن يقرضها النقود. ويمكنها أن ترد له المال لاحقًا.

(9)

أمن الممكن أنها كانت تدنو من الحقيقة؟ أمن الممكن أن ذلك الرجل المجهول قد اصطحب إيلينا في اليوم السابق ليوم العثور على جثتها، وأنه كان زبونًا؟ استطاعت هلدا أن تتصور المشهد، وكأنها كانت هناك بنفسها. استطاعت أن تتخيل كيف ولا بد كانت إيلينا تشعر بأنها وحيدة مهجورة، مجبرة على العمل بالبغاء في بلد غريب. ربما كان أول زبائنها. ربما قالت لا عندما أصبحت وجهًا لوجه مع الأمر. هل كلفها الرفض حياتها؟

ملأت الفكرة هلدا بغضب وكراهية عاجزين. كان عليها أن ترى نفسها. ماذا كتب الأسقف فيدالين ذات مرة؟ الغضب يضرم جحيمًا في العينين، وهو إحساس عرفته تمام المعرفة.

وإذ قررت أن الأمر يستحق مكالمة هاتفية أخرى إلى بيارتور، فقد اتصلت به وسألته عما إذا كانت إيلينا قد سبق لها أن أشارت إلى أي زبون، باسمه أو بمهنته، على سبيل المثال. كان بيارتور متحمسًا لتقديم المساعدة، لكنه قال، للأسف، إن إيلينا لم تخبره بأي تفاصيل.

كانت الخطوة التالية أن تذهب لترى آكي، رجل الأعمال المشتبه في إدارة شبكة الدعارة. وإذ تعقبت عنوانه، قادت هلدا سيارتها، حتى وصلت إلى منطقة الأسواق التجارية غرب المدينة حيث يعيش. اتضح أن بيته عبارة عن فيلا مستقلة قديمة من طابق واحد ذات حديقة معتنى بها. كانت فروع الأشجار لا تزال عارية، لكن ظهرت عليها تباشير، وكأنما قد تهيأت لظهور أولى براعم الربيع. أحاطت هالة من السلام بالبيت المتواضع الكائن في هذا المكان الباهظ، وكأنما يخلو من سكانه، وهو انطباع أكده عدم وجود أي سيارة في الممشى. جربت أن تقرع جرس الباب، لكن لم تتلق أي إجابة، لذا قررت أن تنتظر في سيارتها لبعض الوقت، ربما يعود المالك. كانت هذه هي أفضل معلومة نمت إليها حتى الآن، وقد أرادت أن تصنع كمينًا لآكي بنفسها، وتمطره بالأسئلة قبل أن يجد الفرصة لتجهيز إجاباته. وعلاوة على ذلك، فليس لديها مكان آخر تذهب إليه. تراجعت إلى الخلف قليلًا، وركنت سيارتها السكودا القديمة على مسافة مناسبة، في موقع ما زالت تستطيع منه رؤية المنزل ومراقبته جيدًا.

لا تستطيع أن تحدد كم عدد الساعات التي قضتها منتظرة في سيارتها خلال سنوات عملها –باتت ترتاح للأمر وكأنه عادة قديمة- ولكن بعد مرور ساعتين، بدأت تتململ، راغبة في الوقوف لفرد رجليها. الأفضل أن تصمد لفترة أطول، هكذا قالت لنفسها. أم ربما عليها أن تطرق على الباب حتى ولو كان الأمل ضعيفًا؟ على أي حال، ربما يكون بالداخل، ربما كان موجودًا بالداخل طوال اليوم.

وبينما راحت توزان بين الرأيين، اتجهت إلى الممشى سيارة رباعية الدفع. وخرج منها رجل نحيف يبدو في عمر الشباب، ذو شعر حليق وسمت حاسم سريع. راقبته هلدا وهو يدخل المنزل، وانتظرت دقيقتين قبل أن تتبع خطاه إلى الداخل وتطرق الباب. جاوبها الرجل بنفسه، وكان لا يزال مرتديًا حذاء الخروج والمعطف.

بدا مندهشًا من الزيارة وانتظر، ساكنًا مترقبًا، أن توضح غرضها.

"آكي؟" بذلت هلدا وسعها ليبدو صوتها هادئًا رصينًا.

أومأ برأسه، وانفرجت شفتاه في ابتسامة ساحرة إلى حد كبير.

"أيمكنني التحدث معك قليلًا؟".

"على حسب. عن ماذا؟" أتى صوته خفيضًا، مع لمحة من الصرامة تختبئ خلفه.

”اسمي هلدا هرمانزدوتير. أنا من الشرطة“. مدت يدها إلى جيبها، آملة أن تجد فيه بطاقة هويتها.

قال وقد استغرقه التفكير: ”الشرطة، فهمت. الأفضل أن تدخلي. هل حدث شيء؟“.

أرادت أن تقول نعم، مستعيدة في ذهنها صور جثة إيلينا على الشاطئ، لكنها كبحت نفسها، وقالت: ”لا، لا شيء أبدًا. كل ما في الأمر أنني أقوم ببعض التحريات، لو أنك لا تمانع“. كانت تتحدث في مثل هذه الظروف بتهذيب شديد، قدر استطاعتها، إذ لم تكن على استعداد لأن تمنح آكي أي سبب لكي يتصل بمحاميه. من الأفضل أن تمضي الأمور ببساطة في هذا التوقيت. سيكون من الصعب أن تبرر هذه الزيارة، في ضوء الأدلة المتوافرة لها حاليًا. فقط ستحدثه قليلًا لتعرف ما حدث، محاولة أن تستشف نوعيته.

قدم لها مقعدًا في غرفة المعيشة، ربما أحد غرف المعيشة، إذ كان البيت من الداخل أكبر مما بدا عليه من الخارج. كان من الداخل على الطراز الحديث البسيط، وغلب على ألوانه الدرجات الأحادية والفضي. اتخذت هلدا لنفسها مجلسًا على أريكة سوداء صنعت من خامة لامعة لا تعرفها، بدت ثلجية الملمس عند لمسها، بينما جثم آكي في مواجهتها على مسند قصير للقدمين، يعتبر جزءًا من طاقم يضم مقعدًا وثيرًا أنيقًا ذا ذراعين.

”حقًّا إن وقتي ضيق“. كان هذا هو تعليقه الذي افتتح به الكلام،

وكأنه يؤكد على ملكيته للمكان، ويوصل لها رسالة أن وجودها هنا رهن شروطه.

قالت مدركة أن أيامها معدودة كضابطة شرطة: "وأنا كذلك. أردت أن أسألك عن شابة قدمت من روسيا..". سمحت بفترة صمت قصيرة، درست خلالها رد فعل آكي، وظنت أنها رصدت علامات تشير إلى أنه يعرف تمامًا ما تحدثه عنه. لقد ابتعد بنظره عنها ورمش بعينه لثانية، ثم عاد ونظر إلى عينيها مجددًا.

"روسيا؟".

قالت هلدا تشرح، وقد عزمت على الخوض مباشرة في الأمر، دون سابق إنذار: "جاءت إلى أيسلندا كطالبة لجوء، لكن على الأرجح يبدو أنها كانت ضحية لاستغلالها في الدعارة". كانت هذه هي النظرية التي عملت عليها، لذا ربما تتقدم أكثر وتتعامل مع الأمر وكأنه حقيقة.

ظل مركزًا على عينيها، وقال: "أخشى أنه لا فكرة لدي عما تتحدثين عنه يا هلدا. لست معك على الإطلاق. ألديك انطباع أنني أعرف تلك المرأة؟".

أعرف، فعل مضارع. علامة على أنه لا يعرف شيئًا عن إيلينا وما وقع لها، أم أنه مذنب ويحاول أن يبعد عنه الشبهات؟

قالت هلدا بنبرة قاطعة: "لقد ماتت. كان اسمها إيلينا. لقد عُثر على جثتها في كهف صغير على خليج فاسليسوسترند".

ظل وجه آكي بلا تعبير.

لكن لم يبد عليه أنه على وشك أن يطلب من هلدا المغادرة. جلس ثابتًا في مكانه: رابط الجأش، محترمًا ظاهريًّا، يرتدي سروال جينز أزرق، وقميصًا قطنيًّا أبيض، ومعطفًا جلديًّا أسود اللون، وحذاء أسود لامعًا. مظهره بالإجمال، كبيته وسيارته، نمّ عن الترف.

قالت هلدا، وهي تمسح بعينها الموجودات المحيطة بها: "بالمناسبة، بيتك جميل. ما هو عملك؟".

"أشكرك، رغم أن زوجتي هي من يستحق غالبية هذا الإطراء. نحن نستمتع بأن نحيط نفسينا بكل ما هو جميل".

ابتسمت هلدا. "ليست كلمة: جميل هي أو ما خطر لها عندما رأت الأثاث والتنسيق الداخلي للبيت، بل إن وصف: بارد هو الذي اختارته."

لكنها لم تقل شيئًا، فقط انتظرته ليجيب عن سؤالها.

قال بعد دقيقة: "أنا أعمل في تجارة الجملة". بدا الفخر واضحًا عليه، أو على الأقل ربما يكون حريصًا على أن يعطي هذا الانطباع.

"وماذا تبيع؟".

اتسعت ابتسامته، وسألها: "ماذا تريدين؟" ثم استدرك بلهجة أكثر رصانة: "ربما لا يجب علي أن أمزح بهذا الشأن أمام ضابطة.

أنا أستورد هذا وذاك من السلع: خمر، أثاث، أجهزة كهربائية، أي شيء يمكن أن يُباع بربح جيد. أتمنى ألا تكون الرأسمالية قد أصبحت جريمة".

"بالطبع لا. وهذا هو الأمر".

"هذا؟".

"هل سبق وتعرفت إلى إيلينا؟ يمكنني أن أعرض عليك صورة لها".

"لا حاجة لذلك. يمكنني أن أؤكد لك أنني لا أعرفها. لم أسمع باسمها أبدًا من قبل، ولم أقابل أي طالبة لجوء روسية، ولم أتاجر أبدًا مع روسيا، نقطة ومن أول السطر. وأنا رجل متزوج وسعيد في زواجي، لذا ليس لدي ما يدعوني للجوء إلى المومسات، لو أن هذا ما تشيرين إليه". ظل متمسكًا بهدوئه الخارق للطبيعة.

قالت هلدا مؤكدة: "لا، لم أقصد هذا البتة". كانت واعية بتنامي الإحساس بعدم الارتياح، على الرغم من المكان الفاخر الذي يكتنفها. تألقت منضدة القهوة الزجاجية التي توسطت المكان بينهما كمرآة، وكانت الغرفة مضاءة وجيدة التهوية، وبعثت شمس العصر حزمًا من الضوء اخترقت النوافذ. كان آكي يمنح انطباعًا أنه عضو محترم في المجتمع، مهذب، معتن بنفسه، وحتى أنيق، ورغم كل هذا، أخبرتها غريزتها أنها تصارع عدوًّا صعب المراس.. وعلى أرضه.

وعلى الرغم من أن الصمت قد ساد لثوان فقط، بدا وكأن الوقت يمر ببطء شديد.

"في الواقع، ما أردت أن أسأل عنه..". وعلى عكس طبيعتها، ترددت هلدا. ثم أجبرت نفسها على أن تكمل: "ما أردت أن أسأل عنه هو ما إذا كنت أنت المسؤول عن جلبها إلى البلاد".

لم يظهر على آكي أدنى قدر من الإنزعاج.

"حسنًا، لدينا سؤال. هل تسألينني عما إذا كنت قد جلبت عاهرة إلى البلاد؟".

"أجل، أو عاهرات".

"أنا الآن حقًّا لا أستطيع أن أتابع ما تقولين". اكتسب صوته شيئًا من الحدة، وفجأة، دون أن تعمل لهذا حسابًا، شعرت هلدا بالبرودة، على الرغم من دفء الغرفة.

أكملت بإصرار: "إنني أتحدث عن تجارة البغاء. شبكات الدعارة المنظمة. طبقًا لمعلوماتي، كانت إيلينا متورطة في هذا النوع من الاستغلال".

"شيء مثير. ولِم تعتقدين بالضبط أنني متورط في هذا النوع من العمل؟" استعاد صوت آكي نعومته الزائدة.

ردت هلدا بسرعة: "أنا لا أعتقد شيئًا". محجمة عن اتهامة مباشرة بالتورط في أنشطة إجرامية بينما هي لا تملك دليلًا

ماديًّا.

قال: "ولكنك تلمحين إلى ذلك". وابتسم ثانية.

"لا، أنا ببساطة أسأل إذا ما كنت تعرف شيئًا عن هذه الفتاة أو عن هذا النوع من النشاط؟".

"وأنا سبق وأخبرتك أنني لا أعرف. وليكون الكلام صريحًا، فأنا أرى تجاوزًا للحدود في أن تأتي ضابطة شرطة وتطرق على باب مواطن يحترم القانون مثلي، مواطن يدفع دومًا أكثر من ضرائبه المفروضة، وتتهمه ببساطة بإدارة شبكة لممارسة الرذيلة. ألا تتفقين معي؟". كان لا يزال هادئًا على نحو غريب، ونبرة صوته حيادية. وتساءلت هلدا عما إذا كان الرجل البريء سيشعر أكثر بالإهانة، سيشعر أكثر بالغضب للتجاوز في حقه.

"لم أتهمك بشيء، ولو أنك لا تعرف شيئًا عن إيلينا..".

سألها بشكل قاطع، مباغتًا إياها: "لماذا جئت إلى هنا؟ ما الذي جعلك تفكرين في المجيء إلي ورؤيتي؟".

أمكنها بصعوبة أن تخبره بأن مصدرها في الشرطة يعتقد أنه لاعب أساسي في تجارة البغاء.

وبعد فترة صمت مشوبة بالارتباك، قالت: "معلومات من مصدر مجهول".

"معلومات من مصدر مجهول؟ هذه المعلومات لا يمكن الاعتماد

عليها غالبًا، ألا ترين ذلك؟" وأكد على الفكرة التي تدعمه. "ألديك أي دليل علي لأدحضه؟ من الصعب أن يدافع المرء عن نفسه ضد ادعاءات في الهواء. لا بد أن تعي...". ومال ناحيتها مقتربا منها "..أن لدي سمعة يجب أن أحميها. في مجال الأعمال، السمعة الطيبة هي كل شيء".

"أفهم تمامًا. ويمكنني أن أضمن لك أن هذه المحادثة لن يعلم بها أحد. وبما أنه من الواضح أنك لا تعلم شيئًا عن القضية، فليس هناك المزيد ليقال".

أحست هلدا برغبة ملحة في الخروج من هذا المنزل، إلى عصر هذا اليوم المشمس من أيام الربيع، رغم أن سلوك آكي لم يشي بأي قدر من التهديد. بل في الواقع، كان على العكس تمامًا.

وفجأة، شعرت هلدا بالحصار. تعرقت راحتاها، وبدأت تشعر بعصبية متزايدة، وأحست أن المنضدة انقلبت عليها. لقد حاولت دومًا أن تدلف إلى عقول المشتبه بهم، ليس تعاطفًا معهم لما أوقعوا أنفسهم فيه من مأزق بقدر ما هي محاولة منها لتحسين أساليبها في الاستجواب. وعلى مدار الأعوام، قدرت أنها أصبحت بارعة في هذا الأمر. ذات مرة بالغت في الأمر لدرجة أنها حبست نفسها في زنزانة لتعرف كيف يكون شعور الحبس، وما المدة التي يمكنها أن تتحملها. وقبل إغلاق الباب، سألها زميلها إذا كانت متأكدة مما ستفعله، فأومأت برأسها، رغم إحساسها بالعرق البارد يوخز بشرتها. ولقد أغلق الباب، تاركًا هلدا وحدها بلا أي

شيء سوى الجدران الأربعة. بجوار الباب المصفح كان ثمة نافذة ضيقة، وفوق الفراش، وُجدت واحدة أخرى، نافذة أكبر قليلًا ذات زجاج تجمع عليه الصقيع، وكان الغرض الوحيد منها هو السماح بقدر قليل من الضوء. وإذ وجدت نفسها تتنفس بسرعة على نحو غير طبيعي، أغمضت هلدا عينيها لتشتت انتباهها عن حقيقة أنها محتجزة في مكان صغير. ولكن كان هذا أبعد ما يكون عن مساعدتها، فقد جعل إحساسها برهاب الأماكن المغلقة يتفاقم، حتى خشيت أن تفقد وعيها. ومع هذا، فقد علمت أنها، على عكس السجناء الحقيقيين، كل ما عليها فعله هو أن تطرق على الباب لتخرج. لاهثة، وقد أصبحت على وشك الإصابة بنوبة هستيريا، بعد أن تماسكت لأطول مدة أمكنتها، وثبت أخيرًا واقفة وراحت تقرع الباب. وعندما لم يستجب لها زميلها على الفور، أوشكت على الصراخ، وارتمت على الباب، وراحت تقرعه بكل قوتها. لكن، في تلك اللحظة، حمدًا لله، انفتح الباب. وقد شعرت رغم ذلك أنها قد حُبست لساعات، لكن زميلها نظر بسرعة إلى الساعة وقال: "لم تبقي بالداخل سوى دقيقة".

ليس رهاب الأماكن المغلقة بنفس حدته الآن، لكن شيئًا في هذه المواجهة في غرفة معيشة آكي أعاد إليها تلك الذكرى.

نهضت واقفة على قدميها، وقالت: "كان لطيفًا أن أقابلك. شكرًا لموافقتك على مقابلتي هكذا دون سابق موعد".

وقف آكي هو أيضًا، وقال: "على الرحب يا هلدا. كلميني إن

أمكن أن أساعدك أكثر في تحرياتك".

ومد إليها يده فصافحتها مودعة. قال لها ضاحكًا: "وأنا بالطبع سأتواصل معك إذا سمعت أي شيء. على الرغم من أننا لا نجد مثل هذه الأمور المثيرة في عملنا في تجارة الجملة. هلدا.. هلدا هرمانزدوتير.. أليس كذلك؟".

وفي هذه المرة، لم تُخطئ نبرة التهديد الكامنة خلف كلماته.

(10)

حان يوم الرحلة. وقفت على جانب، تشاهده يملأ حقيبتي ظهر، واحدة منهما تخصها. "هل حقًّا أحتاج إلى كل هذا؟" هكذا سألت، إذ بدا لها أن هذه الرحلة ستكون أشق مما تصورت. وهو يومئ برأسه، أخبرها أنه لا يمكنها الذهاب بأقل من هذه الإعدادات. اشتملت حقيبة على كيس للنوم يبقيها على قيد الحياة خلال الليالي المثلجة، وتموينًا غذائيًّا، ووشاحًا ثقيلًا، وزوجًا من القفازات بدت كبيرة جدًّا عليها، وقلنسوة صوفية، وزجاجة فارغة. وعندما سألت ما إذا كان عليها أن تملأها بالماء، ضحك. لا تنسي أننا في أيسلندا: يوجد ما يكفي وزيادة من الماء النظيف العذب هنا. سنبقى ليلة في كوخ جبلي، وماء الجدول هناك أنقى من مياه الصنبور.

وعندما فكرت أنه لن يوجد مكان لأي شيء آخر، أضاف كشافًا

كهربيًّا وبعض البطاريات، ثم أعلن أنه يظن أن هذا يكفي. رفعت حقيبة ظهرها بصعوبة، وشهقت بسبب وزنها، وصاحت أنها ثقيلة للغاية، أثقل بكثير من اللازم. قال: "هراء. لن تلاحظيها بمجرد ارتدائها على ظهرك. وستحتاجين إلى هذين أيضًا... وتناول عصاوَيْن تساعدان على السير وثبتهما خارج الحقيبة.

وبعد وضع كلتا الحقيبتين في السيارة، سألها إذا ما كانت تجيد التزلج. هزت رأسها نفيًا، وقد لمحت شعاعًا من الضوء، طريقة ممكنة للخروج من هذا المأزق. لم تتزلج أبدًا في حياتها، هكذا أخبرته، وقد فات وقت أن تبدأ في التعلم الآن. ربما من الأفضل ألا يذهبا إلى هذه الرحلة، رغم كل شيء. ضحك وقال إنه من المستحيل أن يخذلها على هذا النحو. وبعدها، اختفى ثم عاد ومعه زوج من الزلاجات، وعصاوان وحبل غليظ.

سألت بعصبية عما إذا كان يخطط أن يذهب للتزلج من دونها. كان إجراء احتياطيًّا، صاح: لو وقع ما يسوء، فيمكنه أن يتزلج طالبًا المساعدة. وإذ رأى عينيها مستقرتين على الحبل، أضاف أنه ضروري في حالة انغرزت السيارة.

سألت: "أوتتوقع أن يحدث هذا؟" وقد انحبس نفسها في حلقها.

أكد لها: "لا، استحالة". ولقد صدقته.

تسلقت صاعدة إلى المقعد المجاور للسائق، وشغل هو محرك السيارة، ثم بدا فجأة أنه تذكر شيئًا. طلب منها أن تنتظر لدقيقة،

وأسرع عائدًا إلى الداخل، تاركًا المحرك يعمل. راقبته في المرآة، وعندما رأته عائدًا يحمل فأسين، خفق قلبها بعنف. وضعهما في صندوق السيارة، ثم عاد ليجلس خلف عجلة القيادة.

"هل كان هذان... فأسين؟" ارتعد صوتها قليلًا، رغم أنها بذلت جهدها لإخفاء الرجفة التي غمرت قلبها لمنظر الفأسين.

"طبعا، فأسا ثلج.. واحد لكل منا".

سألت: "ولم بحق السماء نحتاج إلى فؤوس ثلج؟ لا أريد أن أخاطر بأي شكل من الأشكال، لست معتادة على الرياضات العنيفة".

"لا تقلقي، إنهما إجراء احتياطي فقط. من الأفضل أن نتجهز لكل الاحتمالات. لن ينطوي الأمر على أي خطر، ستكون مجرد مغامرة".

مجرد مغامرة!

(11)

كان لهلدا ذاكرة قوية احتفظت بكل تفاصيل يوم موت جون.

لقد عملت لوقت متأخر، كما كان يحدث عادة، إذ كانت تبحث في هجوم عنيف وقع في وسط ريكيافيك. لم تكن مسؤولة عن

القضية رسميًّا، لكنها تحملت عبء أغلب التحريات. حوادث مثل هذه كانت كثيرًا ما تتكرر في عطلات نهاية الأسبوع، عندما تفتح الحانات إلى ساعة متأخرة. وعندما تغلق، ينطلق الجميع إلى الشوارع، فيصنعون جوًّا احتفاليًّا في كل ليلة جمعة وسبت. وعندما يكون كل هذا العدد من الناس مخمورين، يتحتم على الشرطة دومًا أن تتدخل، وأحيانًا تكون القضايا خطيرة، وتؤدي إلى إدانات رسمية.

كان يوم خميس، وكانت هلدا قد قضت الأسبوع في مقابلة الشهود ومحاولة إثبات من هاجم الشاب محل التحقيق، الذي كان لا يزال محتجزًا في المستشفى.

كان الوقت تقريبًا منتصف الليل عندما رجعت إلى بيتهما في ألفتينس.

ما عاد الزوجان يتحدثان سويًّا إلا فيما ندر.

بدا كل ما يحيط بالبيت باردًا كئيبًا، من الأشجار الموجودة خارجه، حتى الجو بداخله، والأثاث، وحتى الفراش. لم تعد تتشارك هي وجون غرفة واحدة.

دخلت لتجد جون ممددًا على أرضية غرفة المعيشة، ساكنًا تمامًا، ميتًا تمامًا.

وعندما وصلت سيارة الإسعاف، بعد وقت مناسب، تظاهر المسعفون في البداية أن هناك ما يمكن القيام به، وراحوا

يهرولون ويطنطنون بألفاظ لا معنى لها، محاولين تهدئتها، لكن بالطبع كان الوقت متأخرًا جدًّا. لقد مات في وقت مبكر من ذلك اليوم.

"كانت لديه مشكلة في القلب". كان هذا هو كل ما قالته هلدا. وصل اثنان من زملائها في الشرطة، شابان. كانت تعرف الاثنين، رغم أنهما لم يكونا صديقيها. لم يكن لها أي أصدقاء في الشرطة. ذهبت إلى المستشفى في سيارة الإسعاف، جالسة بقرب جون.

ومنذ ذلك المساء، وهي وحيدة في هذا العالم.

(12)

لم تكن متأكدة تمامًا لِم دعاها إلى هذه الرحلة.

أغلب الوقت كان لطيفًا معها، رغم أنه كانت به شدة جعلتها غير مرتاحة قليلًا. لكنه أخبرها أنهما صديقان، وهي كانت في أمس الحاجة إلى صديق في هذا البلد الغريب.

ورغم ذلك، راودها إحساس أنه رغب في ما هو أكثر من الصداقة، وأنه انطوى على مشاعر أقوى نحوها، لكنها علمت أنه لن يحدث بينهما أي شيء أبدًا.

لقد كادت أن ترفض دعوته للذهاب في نزهة خارج المدينة، لكنها قررت في النهاية اغتنام تلك الفرصة للإستمتاع بالحياة

قليلًا. كانت واثقة تمامًا أنه لن يخطو أي خطوة، وحاولت أن تقنع نفسها بأنه ببساطة يسدي لها معروفًا.

وعلى كل حال، ما الذي قد يحدث أسوأ مما هي فيه؟

(13)

فقدت الأم وظيفتها، ولم يمثل هذا أي مفاجأة. كان رئيسها في العمل مترددًا بشأنها منذ البداية، كونها أنجبت بلا زواج، وأخبرها بشكل قاطع أنه كان يفضل توظيف امرأة بلا أطفال، فهؤلاء يمكن الاعتماد أكثر عليهن، كما أنه لا يشغل عقولهن غير العمل.

وبعدها، في أحد الأيام، أخبرها ألا تتعب نفسها بالمجيء في اليوم التالي. اعترضت بأن لها الحق في أن يتم إبلاغها بالاستغناء عنها قبلها بفترة كافية، لكنه جادلها في هذا الأمر، وأنكر أن يكون مدينًا لها بكرونة واحدة أكثر مما دفع لها. وكانت الأيام التالية محض كابوس، إذ تحققت جميع مخاوفها، وصارت ابنتها نكدة مشاكسة أكثر من المعتاد. أجرت حساباتها لتعرف كم يمكنهما العيش على مدخراتها القليلة، لكم من الوقت ستجدان ما تتناولانه، كم يمكنهما البقاء قبل أن يتم إلقاؤهما خارج الشقة التي كانت تستأجرها. لم تبد الإجابات مشجعة، رغم كثرة ما أجرت من حسابات.

وهكذا انتهى بها الأمر أن تطأ كرامتها بقدمها وتنتقل عائدة إلى

والديها، وهذه المرة تجر حفيدتهما خلفها. وسرعان ما شغف العجوزان بالطفلة، رغم أن سلوكهما في البداية نحو ابنتهما كان باردًا. وأصبحت الطفلة مقربة على وجه الخصوص لجدها، الذي كان يقرأ لها ويلعب معها، ولكن، كأن هذا قد تسبب في تداعي الرابطة الهشة بين الأم وابنتها، وفصمها ببطء. حتى جاء اليوم المفجع، حين كفت ابنتها عن أن تناديها بأمي!

(14)

كان الضوء لا يزال إلى حد كبير منتشرًا عندما انطلقا. وبمجرد أن غادرا المدينة، قلت حركة المرور، حتى تحولا أخيرًا إلى طريق فرعي بدا قليل الاستعمال. امتدت بعرضه سلسلة حملت في وسطها علامة، وكأنما لمنع السيارات من المرور به.

استدارت لتنظر إليه وسألته ما إذا كان الطريق مغلقًا. أومأ برأسه، وأدار عجلة القيادة، لينحرف بحدة عن الطريق، ثم يعود ثانية إليه، متجاوزًا السلسلة.

سألت بعصبية: "هل هو آمن؟ هل مسموح لنا بالقيادة فيه بينما هو مغلق؟".

أجابها بأن الطريق ليس مغلقًا بالضبط، وأن العلامة موجودة فقط كتحذير على أنه غير مطروق.

مرة ثانية شعرت بذلك الشك المريب، وبأنها كانت فكرة نحسة أن توافق على المجيء في هذه الرحلة.

"غير مطروق؟" هكذا سألته وقد أبقت عينيها مركزتين على وجهه.

قال لها، وهو يربت على عجلة القيادة ويبتسم: "لا تقلقي. دعي هذه الصغيرة ترينا ما الذي تقدر على فعله".

على عكس العالم الذي يكتنفه الشتاء البارد بالخارج، كان الجو دافئًا في السيارة، والتكييف يطلق باستمرار هبات من الهواء الساخن. فكرت في سيارة والديها هناك في أرض الوطن. لم يعمل التكييف أبدًا.

نظرت بالخارج إلى المنظر المحيط بهما، إلى المدى الواسع المنفتح بلا أشجار، مسحورة، لكن خائفة قليلًا. كل شيء كان أبيض جدًّا، على امتداد البصر، عدا لمحات شاذة من السواد... صخور ربما أو رقع من العشب. ثمة ضوء أزرق خافت امتد فوق الجبال، لقد أحاط الجمال بكل شيء، وعم السلام أيضًا. وعلى الرغم من أنهما لم ينطلقا لوقت طويل، كانا وكأنهما وحيدان في هذا العالم. كانت تلك العزلة مثيرة، لكنها في الوقت ذاته أفزعتها. وبدا الجو العام شريرًا قاسيًا، لا سيما الآن، في الشتاء، حيث لا تكترث بك الطبيعة، سواء عشت أم مت. بدا أنه من اليسير جدًّا، على نحو مفزع، أن تضيع هنا.

وفجأة، تنبهت من أفكارها عندما انزلقت السيارة في الثلوج الغائرة، وللحظة مفزعة، اعتقدت أنهما سينحرفان عن الطريق وتنقلب بهما السيارة. وبينما راح قلبها يدق في شدة، تماسكت لتتقي الصدمة. لكن اتضح أن مخاوفها لا أساس لها، عندما اعتدلت السيارة.

انبعث من المذياع تيار متدفق من كلمات لم تفهمها. بدت كسرد رتيب لبعض الحقائق.

وفي النهاية، شعرت أنها مضطرة لأن تسأل عما يقوله المذيع.

رد مرافقها: "إنها نشرة أنباء الطقس".

"وكيف هي النشرة؟".

قال: "ليست جيدة جدًّا. إنهم يتوقعون هطولًا شديدًا للثلوج".

"ألا ينبغي علينا أن..". وترددت، ثم قالتها: "ألا ينبغي علينا أن نستدير عائدين إذًا؟".

رد: "محال. الطقس السيئ سيجعل المغامرة أكثر إثارة".

(15)

عندما رن هاتفها، كانت هلدا تقف على "عربة الهوت دوج" في تريجفاجاتا، ممسكة بوجبة سريعة في شمس المساء. هذه العربة

على وجه الخصوص عُدت أحد المعالم المهمة للطعام الأيسلندي منذ عقود. فقبل وقت طويل من دخول مفهوم الوجبات السريعة إلى البلاد، احتل هذا الهوت دوج مكانة الطبق القومي. وفي وقت لاحق، حصلت هذه العربة على القبول دوليًّا، بعدما توقف عندها الرئيس السابق للولايات المتحدة لتناول الهوت دوج، أثناء زيارته للبلاد.

لم تستطع التوقف عن التفكير في حديثها مع آكي، رغم أنه من الجلي أنه لا يشبه في شيء وصف الرجل راكب السيارة رباعية الدفع الذي ذكرته دورا، والذي ركبت معه إيلينا.

ورغم هذا الإخفاق، فقد كان الأمر مفيدًا للغاية، إذ بمجرد تكون الرابطة مع إيلينا، تقدمت القضية خطوات إلى الأمام.

حاولت أن ترد على هاتفها المحمول دون أن تُوقع شطيرة الهوت دوج، أو أن تسكب مشروب الكولا، أو المسطردة، أو الكاتشب أو المايونيز على معطفها، في حركة بهلوانية أجادتها بعد تدريب طويل. لقد تعاملت هلدا مع هذه العربة منذ سنوات. كانت مشهورة دومًا، لكن الطابور عليها طال لحسن الحظ في الفترة الأخيرة، بفضل الزيادة الكبيرة في أعداد السياح. والآن، يتزاحم عليها من كل مكان حشد كبير منهم، إما ينتظرون أن يقدم إليهم طلبهم، أو يحاولون أن يتناولوا شطيرتهم من الهوت دوج، دون أن تسقط محتوياتها على ملابسهم.

”هلدا.. معك ألبرت ألبرتسن“. هكذا جاء صوت المحامي معسولًا كعادته، موحيًا بالثقة من أول كلمة، وللحظة، تركت هلدا نفسها تنجرف لتصدق أن لديه أخبارًا جيدة لها: رجل له مثل هذا الصوت هل يمكن أن يحمل أنباء سيئة؟

”مرحبًا ألبرت“.

”كيف هي أحوالك مع... التحقيقات؟“.

”معقولة، شكرًا“.

”عظيم. فكرت في أن أتصل بك لأني عثرت على بعض الأوراق التي تخص إيلينا. كانت في ”وحدة الأدراج الخاصة بالملفات، هنا في بيتي“. اعتقدت هلدا أنها أحست بلمحة من السخرية عندما جاء ألبرت على ذكر وحدة أدراج الملفات، وتذكرت الفوضى الموجودة في مكتبه، وخمنت أنه عثر على الأوراق في قاع كومة من أكوام الورق. لكن كانت هذه أخبارًا جيدة: وثائق إضافية لا بد أن تحتوي على مفاتيح إضافية لحل اللغز، ويمكنها أن تستفيد ببعض منها حالًا.

قالت: ”ممتاز“.

”علي أن أذهب إلى سجن ”ليتلا هيرن“ غدًا صباحًا لمقابلة عميل، لكن يمكنني أن آخذ الأوراق معي إلى المكتب عصرًا. أتحبين أن تمري علي في ذلك الوقت؟“.

فكرت هلدا للحظة، ثم قالت: "لا، سآتي وآخذها الآن، لو يوافقك هذا. أقلت إنك في البيت؟".

"أجل بالفعل، لكني في طريقي إلى الخروج.. لقد تأخرت بالفعل حقيقة. لكن لو أنك على هذا القدر من العجلة، أعتقد أن أخي يمكن أن يسلمك الأوراق. إنه يعيش معي. سأترك المظروف معه".

"عظيم. أين تعيش؟".

أعطاها عنوانه وسألها ثانية عن أخبار تقدمها في التحقيق، وما إذا كانت تعتقد حقيقة أن إيلينا قتلت.

قالت له هلدا: "أنا مقتنعة بهذا". وأغلقت الخط.

كان المساء ما زال في أوله. لم يكن حصولها على الأوراق عاجلًا كما جعلته يظن، لكنها شعرت بحاجة ماسة إلى أن تظل مشغولة. أي شيء أفضل من العودة إلى البيت ومحاولة النوم بلا جدوى، في ظل معرفتها بأنها صارت أقرب بمقدار يوم إلى تقاعدها، صارت أقرب بمقدار يوم إلى التعطل الإجباري المؤلم عن العمل، وأن هذا هو كل ما لديها لتتطلع إليه.

(16)

فجأة، ارتجفت، رغم حرارة السيارة. شعرت على نحو غريزي أنها ما كان يجب أن تتواجد هنا، وأنها أخطأت بمجيئها. لم يحدث شيء محسوس أيقظ هذا الشعور، ومع هذا، وجدت نفسها تتنفس بسرعة غير طبيعية. ربما كان السبب هو الخواء اللاإنساني، واتساع المكان، وفراغ الثلوج الذي محا كل شيء؟

سألت لتقاوم بداية إحساسها بالفزع: "أتستمتع بالحياة هنا؟".

أجاب: "بالطبع، أو على الأقل أنا أعتقد هذا. رغم أن الطقس، على ذكر هذا، غير مضمون، ونحن لا نحظى بكثير من أيام الصيف، لكن أنا أستمتع بالبرد وبالثلوج نوعًا ما. ربما يمكنك أن تتفهمي هذا باعتبارك روسية؟".

أومأت فقط.

أضاف بصوت ودود: "أعتقد أنك ستتعلمين أن تحبيه".

كان ودودا معها، ليس عليها أن ترتعب منه.

إنها حقًّا، بالطبع، كانت مرتعبة على مستقبلها، وحصولها على تصريح للبقاء في أيسلندا، وما سيحدث لها لو لم تحصل عليه.

حاولت أن تسترخي، وأن تتنفس بشكل طبيعي. يمكنها أن تقلق

على الغد، على المستقبل، أما اليوم فقد عزمت على الاستمتاع بالرحلة. سيكون كل شيء على ما يرام.

(17)

كانت نهاية الصيف، بعد مرور أكثر من عام على وفاة جون.

وكانت هلدا تقف على قمة "إيجا" الجبل الممتد ذي القمة المسطحة، الذي يعلو الجانب الشمالي لخليج فاكسافلوي من ناحية ريكيافيك. لم يكن التنزه عليه سيرًا على الأقدام صعبًا للغاية، فقد كانت معتادة على على التسلق في بقاع أكثر وعورة، في المرتفعات، لكنه كان أكثر الأماكن التي تتمتع بالتنزه فيها. كان قريبًا للمدينة بما يكفي، فأمكنها أن تذهب إليه بعد العمل، في المساءات الطويلة المضيئة، خلال فصلي الربيع والصيف، وقد استغرق منها المشي السريع فوق الجبل أقل من ساعة.

شعرت أنها متوعكة طوال اليوم في العمل، وقررت أن تذهب لتتسلق الجبل وحدها. بالطبع كان هناك متنزهون غيرها، لكنها كانت وحدها في عالمها الخاص، تستنشق هواء الجبل النقي، وتستبقي بداخلها المناظر الخلابة لما بدا وكأنه الجانب الجنوبي الغربي لأيسلندا بأكمله، من الامتداد العمراني لريكيافيك، على الجانب الآخر من الخليج، إلى شبه جزيرة ريكانيس فيما وراءه جهة الجنوب، ومساحة كبيرة من الأراضي المرتفعه غير المأهولة

والقمم الجليدية جهة الشرق.

بدأ الوقت يتأخر، وعلمت أن عليها البدء سريعًا في الهبوط ثانية، لكنها أرادت أن تؤجل اللحظة لأطول وقت ممكن. هنا، كانت على طبيعتها، هنا تكاد أن تنسى كل شيء آخر.. تكاد.

لكنها علمت أنها عندما تعود إلى البيت وتغرق في النوم، ستهاجمها الكوابيس ثانية، وسيلح عليها كالعادة السؤال التالي: أكان يجب أن أعرف؟

(18)

في مرآة الرؤية الخلفية، لمحت شمس المساء الدانية، أو ربما كانت لا تزال شمس العصر، تبزغ من خلف السحب. يأتي المساء مبكرًا في أيسلندا في هذا الوقت من العام، ومع هذا، ما زال أمامهم بعض الوقت قبل أن يعم الظلام.

ازداد عمق الثلوج التي تغطي الطريق رويدًا رويدًا، حتى جاءت، في النهاية، اللحظة التي كانت تخشاها: لقد انغرزت السيارة في جرف، وراحت عجلاتها تدور، ومحركها يزأر. أطفأ مفتاح التشغيل، وطلب منها ألا تخشى شيئًا، وكان لزامًا أن تقتنص الفرصة لتخرج وتفرد رجليها. كان مريحًا لها أن تهرب من الحرارة الزائدة، والجو الخانق، وأن تملأ رئتيها بتيارات رائعة من هواء الجبال المثلج. من الجيد أيضًا أنه قد زودها بملابس ثقيلة

مناسبة، فأصبح الجو قارس البرودة منعشًا بدلًا من أن يكون مؤلمًا.

أخذت عدة خطوات مترددة للأمام وللخلف، وظلت قريبة من السيارة، وترددت في البداية أن تبتعد عن الطريق، خائفة من حالة الأرض تحت الطبقة السطحية الملساء البيضاء. وإذ رأى ذلك، ابتسم لها وأشار لها بحركة تعني أن الأرض آمنة تمامًا. تهشمت الثلوج تحت قدميها، وكانت آثار خطواتها فوق الثلوج التي خلفتها وراءها هي الشيء الوحيد الذي أفسد كمالها، كانت الثلوج لها، لها فقط. وعلى مدى البصر، لم يكن ثمة علامة واحدة تدل على وجود البشر، فقط مساحة خالية تمتد حتى الأفق. كانا وحيدين تمامًا هناك. لكن مخاوفها الأولية قد تلاشت. ما أسوأ ما قد يحدث؟

راقبته إذ أطلق بعض الهواء خارج الإطارات ليقلل ضغطها، ويزيد مساحة سطحها، ثم قفز عائدًا إلى مقعد السائق، وبدأ يحاول إخراج السيارة رباعية الدفع من الجرف، بوصة وراء بوصة، حتى تحررت السيارة أخيرًا. وفي نفس اللحظة تقريبًا، بدأت أولى رقاقات الثلج، الخفيفة كالريش، تتهادى إلى أسفل، ثم تستقر بمنتهى الرقة على كمي معطفها.

(19)

في اليوم الذي أثار فيه جد الفتاة الصغيرة الموضوع لأول مرة، كانت ريكيافيك تنعم بشمس ساطعة على غير العادة. كانت الأم تقف في بقعة ظليلة في باحة البيت الخلفية، تراقب طفلتها وهي تلعب. كان منظر الفتاة بديعًا في ضوء الشمس، إذ كانت مستغرقة تمامًا في اللعب. ربما لم يكن من العدل وصف تلك الصغيرة بالتعاسة، لكنها لم تبد بمثل هذا السرور إلا فيما ندر.

أطاح العرض بالأم، إذ أتى من أبيها، هو بالذات من بين كل الناس، الذي كون تلك الرابطة الوثيقة مع حفيدته. من صوته، اعتقدت أنه ربما يأتي هذا الكلام من وراء قلبه، وأنه ليس إلا مجرد صدى لمشاعر جدة الفتاة، التي لم تظهر تجاهها إلا الرفض منذ البداية. لم يخامرهما الشك في رأيها، أنه ليس من مصلحة أحد أن تلد سفاحًا، رغم مقدار الحب الذي أحباه للطفلة. لقد جلب الأمر العار للعائلة بأكملها.. ليس للأم فقط، بل ولوالديها أيضًا.

ومع وقوفهما في تلك البقعة المشمسة في الباحة، اقترح الجد مبدئيًّا أن يعثروا للصغيرة على أسرة تربيها، أو حتى تتبناها. إنه يعرف زوجين يسكنان شرقًا، ظروفهما تسمح بأن يوفرا لها كل ما تحتاج إليه، وأن يضمنا لها حياة أفضل بكثير مما يمكن أن تحصل عليه هنا في ريكيافيك. أُناس طيبون، هكذا قال، لكن صوته كان ينقصه الاقتناع. ربما لم يكونا طيبين، أو ربما

أن الفكرة نفسها هي التي لم تكن طيبة. ورغم كل ذلك، أنصتت ابنته، عالمة كم أنه من الصعب عليها أن تقول: لا للرجل الذي منحهما سقفًا يأويهما. لم تستطع أن تنفق على نفسها أو على ابنتها، ولقد فشلت في أولى محاولاتها، وتحتاج إلى مزيد من الوقت لتدخر بعض النقود قبل أن تحاول ثانية.

وإذ اغرورقت عيناها بالدموع، وعدت أن تفكر في الأمر.

(20)

بيت المحامي الواقع في ضاحية جرافرفجور المحاطة بالأشجار ذكر هلدا قليلًا ببيتها القديم في ألفتينس. ورغم أن المنطقة المجاورة كانت مختلفة جدًّا في شخصيتها، كان ثمة شيء في البيت نفسه أثار فيها موجة من الحنين إلى الماضي.. ربما جو الراحة والقدم. لكن هذا لم يجعلها تستغرق وقتًا قبل أن تبدأ على الفور. منذ أن تلقت أنباء إقالتها، تحولت أفكارها إلى الماضي، بشكل أكبر من المعتاد. كما أن علاقتها الوليدة ببيتر قد أثارت ذكرياتها كذلك، وجعلتها مستغرقة بوعيها في كل ما لم تخبره به بعد.

رنت جرس الباب وانتظرت.

ورغم أن الرجل الذي فتح الباب كان ذا هيئة أقصر بكثير، وأكثر امتلاء من ألبرت، إلا أن التشابه بينهما كفردين من عائلة واحدة

لم تكن لتخطئه العين. بدا على نحو ملحوظ أكبر من أخيه سنًّا، ربما بعقد من الزمان، هكذا خمنت هلدا، وأكثر امتلاء بكثير في منطقة الوسط.

قال الأخ مبتسمًا: "لا بد أنك هلدا". وأفصح صوته أيضًا، بنبرته الهادئة كمذيعي الراديو، عن علاقته بألبرت.

"هذا صحيح".

"تفضلي بالداخل". وقادها إلى غرفة معيشة مزدحمة بقطع أثاث غير متجانسة، أغلبها بعيدة تمامًا عن الصيحات الحديثة، طبقًا لعين هلدا ذات الخبرة المحدودة بمثل تلك الأمور. وفي صدر المكان، ظهر صندوق جهاز تلفاز قديم، وأمامه استقر مقعد كبير جدًّا، بدا مريحًا للغاية.

"أنا بالدر ألبرتسن، شقيق ألبرت".

ألبرت وبالدر: من الواضح أن والديهما لم يرهقا نفسيهما كثيرًا في البحث عن اسمين لهما قبل أن يقعا على هذين الاسمين، هكذا فكرت هلدا. وفي اللحظة التالية، انصدمت بحقيقة كان يجب أن تلاحظها مباشرة: شقيق ألبرت تنطبق عليه تمامًا الأوصاف التي أعطتها دورا عن الرجل في السيارة رباعية الدفع... قصير وبدين. حبست أنفاسها في نفس اللحظة، آمرة نفسها بتمالك أعصابها. ما احتمالية أن يكون شقيق المحامي هو الرجل الذي تبحث عنه؟ من الواضح تمامًا أن له صلة بالقضية، لكنها صلة غير مباشرة.

وعلى أي حال، قد ينطبق وصف دورا غير الدقيق على عدد غير محدود من البشر. ومع هذا، لن يضر أن تنتهز تلك الفرصة لتسأل الرجل بضعة أسئلة. راقت لها فكرة أن تسأله مباشرة لو حدث أن اصطحب إيلينا من النزل، لكن شيئًا ما أخبرها أن هذا استعجال لا مبرر له. من الأفضل أن تجعل دورا تتعرف عليه أولًا، وبعدها تمطره بما شاءت من أسئلة.

وإذ استعادت شعورها بالعصبية في منزل آكي، تأملت هلدا في النقيض الآن. فعلى الرغم من صحوة شكوكها، استمر بالدر ألبرتسن يبدو لها بمظهر لطيف غير باعث على التهديد.

قالت، محاولة أن تفتح حوارًا قصيرًا: "أظن أن ألبرت ليس موجودًا بالداخل".

"لا، هو في اجتماع. دائمًا يكون على عجلة من أمره".

"أأنت محام أيضًا؟".

منحها بالدر ضحكة مهذبة. كانت ذات صوت متدرب عليها جيدًا. بلا ريب، كان هذا سؤالًا معتادا.

"يا إلهي، لا. هذه منطقة ألبرت.. المحامي الأول والوحيد في العائلة. أنا... أنا أتنقل بين الوظائف حاليًا".

قالت هلدا: "فهمت". وانتظرت عالمة من خبرتها أن الأسئلة المباشرة دومًا لا فائدة منها.

قال بالدر شارحًا: "ألبرت بكرمه المعهود يسمح لي بالبقاء معه". وبعد فترة صمت وجيزة، صحح لنفسه: "على الأرجح كلمة (البقاء) غير صحيحة، أنا أعيش هنا، عشت هنا طوال العامين الماضيين، منذ فقدت وظيفتي. كان هذا بيت والدينا، لكن ألبرت اشترى المكان منهما عندما تم الاستغناء عنهما في العمل".

استغرقت هلدا دقيقة للرد على هذا، محاولة البحث عن رد دبلوماسي. "يبدو لي أن هذا ترتيب جيد للأمور... وأظن أنكما متفاهمان".

"آه، نعم، لم يحدث بيننا أي مشكلات بهذا الصدد". ثم مغيرًا الموضوع، سأل: "أتودين قهوة؟".

أومأت هلدا برأسها. لم تكن تنوي أن تفوت فرصة التعرف أكثر قليلًا على هذا الرجل، طالما أن هناك احتمالًا، ولو ضعيفًا، على تورطه في القضية. على أي حال، فقد منحها انطباعًا أنه في حاجة إلى الصحبة أكثر من الكافيين.

مرت فترة طويلة قبل أن يعود بالقهوة، والتي اتضح أنها، بعد كل هذا، لم تكن صالحة للشرب. لا مشكلة، لقد منحتها أفضل حجة لثرثرة أطول.

وأثناء انتظارها، استغلت هلدا الوقت في البحث في أرجاء الغرفة عن صورة لبالدر. كانت في حاجة إلى واحدة لتريها لدورا، وفكرت في استعمال الكاميرا الموجودة في هاتفها، لتأخذ

لقطة من أي صورة تجدها، رغم أن الجودة لن تكون جيدة للغاية، بالنظر إلى حالة هاتفها المحمول المزرية. لكنها أصيبت بالإحباط إذ لم تعثر على واحدة. وتساءلت في نفسها عما إذا كان بإمكانها أن تلتقط له صورة خلسة، دون أن تثير شكوكه، لكنها علمت أن هذا سيضع خفة حركتها في اختبار صعب. إنها أصلًا لا تجيد التعامل مع هاتفها، والتقاط صورة يتطلب الضغط على الكثير جدًّا من الأزرار.

جلسا على جانبي مائدة سفرة كبيرة الحجم، وتأملت هلدا إلى أي مدى كان يجب أن تمضي هذا الوقت مع بيتر. ومع هذا، ربما لم يتأخر الوقت. ليس هناك فارق حقيقي بين النهار والليل في هذا الوقت من العام، فالليل هنا ليس أكثر من حالة ذهنية. جلب التفكير في بيتر معه الإدراك المفاجئ أنها ربما عملت لما يكفي، وأن هناك ما سيقال في المساءات الكثيرة الخالية من العمل، التي لن تجد بها إلهاءات، مباشرة أو غير مباشرة، من عملها. كانت ميالة دومًا إلى اصطحاب العمل معها إلى البيت، حتى عندما لا تكون ثمة حاجة إلى ذلك. كان عقلها دومًا يعمل بأقصى طاقته. ولم تستطع أبدًا أن تبعد نفسها عن التفكير في قضاياها، أو أن تفصل بالكامل. وقد اعتاد جون أن يتشكى من هذا الأمر، لكن ببساطة هكذا هي.

قالت كاذبة: "قهوة لذيذة. لكن يمكنني البقاء لدقيقة فقط. لدي مكان آخر يجب أن أذهب إليه". وأخذت رشفة.

قال بالدر: "حاولت ذات مرة، أقصد أن ألتحق بجهاز الشرطة. لكن لم أُقبل". وربت على كرشه الضخم.

"لم أتمتع يومًا بقوام جيد يصلح، وقد فات وقت القيام بأي شيء بخصوص هذا الأمر الآن. ألبرت كان دومًا النحيف فينا".

لم يبد في كلمات بالدر أي لمحة من الاستياء، رغم أن هذه كانت المرة الثانية التي يمدح فيها أخاه على حساب نفسه، ففي وقت سابق، ذكر أن ألبرت كان أول فرد من العائلة يتخرج كمحام. بدا إعجابه بأخيه حقيقيًّا، خاليًا من أي حسد.

"أهو أكبر أم أصغر منك؟" هكذا سألت هلدا بلباقة، رغم وضوح الإجابة.

"هو أصغر مني بعشر سنوات، وأنا متأكد أن هذا واضح لك. جاء على غير أوان، كمفاجأة سعيدة لوالدينا".

"أيتعامل مع الكثير من تلك القضايا؟".

"أيها؟".

"مدافعًا عن طالبي اللجوء".

"أجل، أعتقد هذا. وبالنسبة له، زاوية حقوق الإنسان أهم من المال".

"لكن أعتقد أنه يتقاضى أجرًا".

“أجل، طبعًا، لكنه يتعامل مع هذه القضايا أساسًا من أجل الناس. إنه يريد أن يساعدهم“.

“ماذا كنت تعمل؟“ غامرت هلدا بأخذ رشفة ثالثة من القهوة، لكنها كانت مُرة لدرجة جعلتها، سرًّا، تنحي الفنجان جانبًا.

“أعمل؟“.

“لتكسب رزقك، قبل أن تنتقل إلى هنا، قبل أن تفقد وظيفتك“.

في هذه اللحظة، قاطعهما هاتف هلدا برنينه واهتزازه المزعج على المائدة، بجوار فنجانها. تنهدت في سرها عندما رأت اسم ماجنس، آخر شخص تود محادثته الآن. وللحظة، ترددت أتجيب أم لا، ثم قررت أنه يمكنه الانتظار. غير واثقة من كيفية كتم الصوت أثناء الرنين، أو ما إذا كان هذا الأمر ممكنًا أصلًا، قطعت الاتصال، وانتهزت الفرصة، بينما كانت تعبث بالهاتف، لتشغل الكاميرا. تطلب الأمر منها بعض الخداع، وأملت ألا يكتشفه بالدر. ضغطت على زر: “صور“، وبدت التكة الناتجة وكأن صدى صوتها يتردد في أرجاء الغرفة. ألقت نحو مضيفها بنظرة اعتذار، وقالت: “آسفة، أنا عاجزة عن التعامل مع هذا الشيء. كنت أحاول أن أجعله صامت“.

قال بالدر: “أعرف ما تقصدين. أنا أيضًا لست ماهرًا جدًّا في التعامل مع هاتفي“. وبدا من الواضح أنه غير مبال بالتقاط صورته، هذا إذا كان قد أدرك أساسًا أن هذا هو ما فعلته.

استأنف الكلام، مجيبًا عن سؤالها السابق: "عملت كمشرف لعدة سنوات، لكنهم كانوا يتخلصون من العمالة، وكنت أنا من أوائل المسرحين. عدا هذا، لقد غيرت عملي كثيرًا، ولم أثبت في مكان واحد لوقت طويل. عملت مع التجار، غالبًا كنت أعمل بيدي، وما إلى ذلك".

كان على هلدا أن تعترف لنفسها بأنها لا تتصور بالدر في دور القاتل، إذ بدا من النوع غير القادر على إيذاء ذبابة. ورغم أن المظاهر قد تخدع، اعتقدت أنها تجيد الحكم على الشخصية، بعد كل تلك السنوات التي قضتها في الشرطة، تتعامل مع جميع أنماط البشر، سواء كانوا مع القانون أو ضده. لكن حكمها ليس معصومًا من الخطأ. لقد خذلها بشدة ذات مرة... وكأن هذا هو أفدح أخطائها، الذي غير حياتها إلى الأبد.

حتى لو كانت على صواب في رؤيتها لبالدر كرجل غير قادر على قتل امرأة بدم بارد، فلا يزال هناك احتمال، ولو صغير، أنه ربما يكون قد تورط في موت إيلينا. من خبرة هلدا، ربما يكون، في وقت ما في الماضي، قد قبل بعرض مريب في هيئة عمل مربح، وكنتيجة لذلك تورط فيه مع أناس غير شرفاء.

ذكرته بأدب: "أخوك ترك لي بعض الأوراق".

شحب وجه بالدر. من الواضح أنه أمل في بقائها لوقت أطول، لتثرثر بينما تحتسي القهوة الرديئة.

قال: "بالطبع". ثم نهض وغادر الغرفة، وعاد على الفور تقريبًا، ومعه مظروف بني. "تفضلي. لا أعرف ما به، لكن أتمنى أن يكون مفيدًا. لا بد أن ألبرت يعرف، باعتباره شرطيًّا سابقًا".

قاومت هلدا إغراء أن تصحح له قائلة: لم يكن ألبرت شرطيًّا أبدًا، لقد عمل مع الشرطة فقط كمحام. لكنها قالت: "امم". دون أن تتورط في الإجابة، ثم دفعت مقعدها إلى الخلف ونهضت، ونظرت إلى ساعتها على نحو لافت، لتوحي له أن عليها الذهاب.

سأل بالدر في محاولة واضحة لإطالة حوارهما قليلًا: "هل عملت معه بنفسك؟".

قالت: "ليس بشكل مباشر، لكني أتذكره. كان يتمتع بسمعة طيبة جدًّا". رغم أنه لا فكرة لديها إذا ما كان هذا صحيحًا.

ابتسم بالدر وقال: "جميل أن أسمع هذا".

بدا ذا روح ودودة أصيلة. حتى من خلال هذه المعرفة القصيرة، وجدت هلدا أنه من العسير تصديق وجود صلة له بالقضية، لكن على دورا أن تحسم هذا الأمر.

اتخذت هلدا طريق الخروج، وأجبرت نفسها على الانتظار ريثما تصبح في الخارج، قبل أن تنظر في المظروف، رغم أن الفضول كان يلتهمها لدرجة ودت معها لو تمزق المظروف إلى أشلاء لتعرف ما بداخله.

لذا فقد أحبطها بشدة أن تكتشف الأوراق –التي اتضح أنها عشر عند تفحصها سريعًا- جميعها باللغة الروسية. قلبت فيها عدة مرات، على أمل أن تجد شيئًا يمكنها أن تفهمه، ومسحت بعينها النص الموجود في كل صفحة، لكن بلا فائدة. بعضه كان مكتوبًا بخط اليد، وبعضه الآخر كان مطبوعًا من الحاسوب، ومن الواضح أن بقيته كان وثائق رسمية، لكنها لم تعثر على دليل يفسر لها كنه المعلومات الموجودة به.

أخرجت هاتفها، وفكرت في الاتصال بمترجم معتمد، لكن يمكنها أن تدع هذا الأمر إلى الغد. وبدلًا من ذلك، ستقود سيارتها ذهابًا إلى نياردفيك، لتُري دورا الصورة التي التقطتها لوجه بالدر، لتنظر إلام سيقودها هذا.

لا، يجب أن تكون الأولوية للوثائق. كانت هلدا على وشك الاتصال لتتفق مع مترجم اللغة الروسية، عندما أصدر هاتفها رنة تشير إلى وصول رسالة نصية. كانت من ماجنس. يا للعنة، ما زال عليها أن تتصل به. كانت الرسالة تقول: "قابليني في المكتب الآن!" قالت علامة التعجب كلامًا كثيرًا يصلح لأن يدون في مجلدات. خفق قلبها باضطراب. لم يكن لديها أبدًا وقت كثير لماجنس، خاصة في الظروف الراهنة، ولم تترفع عن الشكوى منه مع زملائها، عندما تثق في أن شعورًا واحدًا يجمعهم. وهي لا تعلم على وجه التحديد عدد المرات التي لعنته فيها من أسفل ضرسها، لعدم كفاءته بصفة عامة كمدير، وإن كانت تقدرها

بالآلاف. ولكن، ورغم كل ما قد قيل وما يمكن أن يقال، ما زال هو مديرها، وكان لرسالته مفعولها المطلوب. نحت جانبًا، مؤقتًا، أي فكرة تتعلق بترجمة الوثائق أو زيارة دورا، وقفزت لتطيع أوامره. لقد تم استدعاؤها لتتلقى تأنيبًا، كان هذا واضحًا تماما، وهي خبرة جديدة تمامًا عليها.

(21)

توقف هطول الثلوج بعد ذلك التساقط الأول الوجيز، لكن السماء كانت محملة بالسحب الداكنة، التي وعدت بالمزيد.

وفجأة، ودون أي إنذار، أدار السيارة بحدة، مغادرًا الطريق، وبادئًا في التوغل في الريف، متوجهًا نحو سلسلة من الجبال البعيدة. جفلت متوجسة، وتشبثت بمقبض الباب. سألت، وقد أحست بما يشبه النذير: "أهذا طريق؟".

هز رأسه نفيًا، وقال: "لا، نحن نقود السيارة على قشرة من الثلوج. هنا يبدأ المرح حقًّا". وابتسم مكشرًا عن أنيابه، وكأنما ليؤكد أنه إنما كان يمزح.

وبعد الجلوس صامتة لفترة، جرؤت على أن تسأل إذا ما كان هناك أي احتمال أن يكسرا طبقة الثلوج السطحية. وهل من المسموح أن يفعلا ذلك؟ شيء ما في هذه المنطقة البكر ضرب

وترًا في أعماقها، بدا وكأنهما يقودان في أرض برية غير مأهولة، لم يطأها بشر من قبل، وكأنه لا يحق لهما أن يتواجدا هنا.

قال بصوت كقصف الرعد: "لا تكوني بلهاء. بالطبع مسموح لنا".

تراجعت إلى الخلف قليلًا بفعل لهجته، غير عالمة بالضبط كيف تكون ردة فعلها، لكنها على أي حال لا تعرفه جيدًا. أيمكن أن يكون له جانب مظلم، يختفي وراء هذا الشكل الخارجي الودود؟

حاولت أن تنفض عنها قلقها.

سألها بشكل مفاجئ: "أتريدين دورًا؟".

سألته: "ماذا؟".

كرر: "أتريدين دورًا؟ في القيادة".

"لا أستطيع. لم أقد أبدًا سيارة رباعية الدفع، ولم أقد أبدًا خارج الطريق هكذا، وسط ثلوج بمثل هذا العمق".

قال مبتسمًا: "لا تكوني سخيفة، خذي دورك". وكأن الأمر كله مزاح لطيف.

هزت رأسها بريبة.

كان رد فعله أن جذب مكابح السيارة ساحقًا المحرك، هناك في

وسط الخلاء، الطريق خلفهما بعيد، والجبال، هدفهما المرتقب، أمامهما أبعد.

قال بنعومة: "هنا تتولين القيادة". ودون مزيد من الجلبة، قفز من السيارة، وسار دائرًا حولها، وفتح الباب بجوار مقعد الراكب، وقال: "إنه لعب أطفال. لا صعوبة البتة. لقد وعدتك بمغامرة، أتذكرين؟".

ترجلت من مقعدها بعصبية، وسارت بحذر شديد فوق الثلوج العميقة متجهة إلى مقعد السائق، وجلست خلف عجلة القيادة. لحسن الحظ، كانت السيارة رباعية الدفع تدار يدويًّا، وهي معتادة على السيارات التي تدار يدويًّا، لذا، فقد شغلت المحرك، وضبطت السيارة على السرعة الأولى، وسارت زحفًا، تشق لنفسها ببطء طريقًا خلال الثلوج.

قال ساخرًا: "يمكنك أن تنطلقي أسرع من هذا". فانتقلت بحذر إلى السرعة الثانية، وضغطت بقدمها على دواسة البنزين بعزم أشد قليلًا.

وراح يوجهها: "هناك.. إلى يمينك، السير هناك أفضل". محدقًا في الصورة غير الواضحة على جهاز نظام الملاحة المثبت بجوار زجاج السيارة من الداخل. "والآن، أسرعي! نحتاج إلى تفادي كتل العشب النامية تلك".

استدارت بحدة جهة اليمين. لم تكن الظروف تسمح بارتكاب

أخطاء، ولوهلة، خشيت ألا تستطيع الاستدارة، فيتدحرجان. راح قلبها يدق كقرع الطبول داخل قفصها الصدري، لكن السيارة استدارت بسلام.

قال لها مفسرًا: "الاشتباك في كتل الأعشاب كابوس مخيف". ثم راح يحدق في جهاز نظام الملاحة ثانية، وهتف ضاحكًا: "الآن أنت تعبرين نهرًا".

"نعبر نهرًا؟ أأنت جاد؟ أيوجد نهر تحتنا الآن؟".

وبدأ قلبها يقرع ثانية.

"بالتأكيد. الماء يحيط بنا من كل مكان، تحت طبقة الجليد".

"أأنت واثق تمامًا أننا بأمان؟".

قال: "حسنًا..". وصمت قليلًا ليعطي التأثير الملائم، ثم أكمل: "علينا فقط أن نأمل أن الجليد لن يتحطم فورًا".

تشبثت لاإراديًا بعجلة القيادة، ولم تبدد ضحكاته الساخرة شيئًا من مخاوفها.

(22)

كان بيت المزرعة يقع على سفح الجبل بالقرب من الشاطئ، في منطقة بها ندرة من السكان، ليست بعيدة عن منطقة الرمال

الشاسعة الممتدة بين الغطاء الجليدي في فاتنايوجكل والبحر. من الباحة، حيث وقفت الأم ممسكة يد ابنتها، ظهر مشهد بانورامي يحبس الأنفاس للجبال والأنهار الجليدية والسهول الرملية والبحر. لم يسبق لها من قبل أن زارت تلك البقعة النائية جنوب غرب البلاد، وبينما لم تستطع إنكار روعة المنظر، إلا أنه لم يكن السبب في وجودها. لقد جاءت لتودع ابنتها، لتمنحها لإحدى الأسر كي تتبناها، وتتركها بين غرباء في تلك البقعة النائية.

ورغم محاولاتها الشجاعة لحبس دموعها، أحس والدها، بلا ريب، بممانعتها. لقد حرص على أن يمتدح كرم الزوجين ويؤكد على كيف أنه أمر صحي للفتاة الصغيرة أن تترعرع في الريف، تحيطها الطبيعة وهواء البحر النقي. وسرعان ما ستتكيف الطفلة، هكذا راح يؤكد لها، لقد خبرت بالفعل تغييرًا كبيرًا في حياتها، ورغم أنه من غير العدل تعريضها لآخر بهذه السرعة، إلا أنه من الأفضل حسم هذا الأمر. فعلى كل حال، ما الفرص التي تنتظرها في المدينة؟ ما من أحد فيهم يمتلك أي قدر من النقود يمكن الحديث عنها، وكل ما يمكنهم أن يتطلعوا إليه هو الكد والكدح والمعاناة المستمرة فقط لتوفير لقمة العيش بشق الأنفس. وهذا النوع من الحياة قاس على الأطفال، وحفيدته تستحق ما هو أفضل. وبقيت حقيقة معلقة بين الأب وابنته، لم يتحدثا عنها، ألا وهي أن الزوجين المقيمين شرقًا قد عرضا تعويض العائلة عن نفقات الرحلة، وأن هذا التعويض أضخم بكل المقاييس من النفقات التي تكبداها لإحضار الطفلة. ورغم أن كلاهما لم ينطقها

بالكلمات، علمًا أنهما إنما كانا يبيعان الطفلة.. لقاء مبلغ معتبر من المال، حتى إنه سيحدث فارقًا حقيقيًّا في حياتهم. نقود ملوثة بالدماء، هكذا كانت. لقد حسمت أم الطفلة أمرها بالفعل بألا تلمس بنسًا منها. يمكن لأبيها أن يفعل ما يشاء، يستخدمها ليسدد ديونه لو أراد. لكن، ورغم أنها كرهت الاعتراف بهذا، فالحقيقة أنها كانت ستستفيد هي أيضًا، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، طالما أنها تعيش مع والديها.

تراجعت، قابضة على يد ابنتها، بينما تقدم أبوها ببطء نحو البيت. لا بد أن أصحاب البيت مدركون لوصولهم، لم يكن ثمة أحد في الجوار غيرهم.

لاحظت أن ابنتها راحت ترتعد، ربما هي الريح المثلجة التي تهب من فوق الجبال رغم الطقس الجميل. أو ربما استطاعت الطفلة أن تحس بأن أمرًا مخيفًا، أمرًا خطيرًا على وشك الحدوث.

كيف سمحت لهم أن يحدثوني في هذا الأمر؟ كان هذا هو كل ما استطاعت الأم أن تفكر فيه وهي تراقب تقدم أبيها نحو الباب الرئيس للبيت.

حملت الطفلة بين ذراعيها، واحتضنتها بشدة، محاولة أن توقف ارتجافها. كانت رحلة طويلة بالطائرة ثم برًّا، للوصول إلى هنا. وقد أحضرهم شاب، يفترض أن يكون أحد عمال المزرعة، من المطار. كان لا يزال جالسًا في السيارة، لا ريب أنه تلقى أوامر

بعدم التدخل في المقابلة الدقيقة الموشكة على الحدوث.

انفتح الباب ليكشف عن رجل في نهاية أواسط العمر، حياهم بود. والآن لم يعد ثمة مجال للتراجع. راحت الدموع تنهمر على وجنتي الأم. وإذ رأت الطفلة هذا، فقد أخذت هي الأخرى في النشيج. نظر إليهما الرجلان، اللذان كانا صديقين قديمين، نظرة سريعة، ثم استكملا حديثهما. أم وطفلتها كانتا مجرد زائدين عن الحاجة، ليس لهما إلا دور بسيط في الخطط الكبرى للأحداث. ومما يثير السخرية أن جدة الطفلة، القوة الدافعة لاتخاذ هذا القرار، لم تستطع المجيء معهما ومواجهة الأمر.

أحست الأم كيف كان مفعول حضنها سريعًا وقويًّا في تهدئة الطفلة، ووقف رجفتها. وخطر لها حينها أنها تبدو كأم حقيقية للطفلة، ليست مجرد السيدة الواقفة خلف الزجاج، وراودها أمل يائس أن تكون الطفلة قد شعرت بنفس الشعور نحوها.

وصدرت صيحة. كان أبوها ينادي عليهما، آمرًا بالمجيء إلى جواره. امتنعت عن الحركة، وقد صعدت جميع مخاوفها إلى السطح. وبعد التقدم بضع خطوات محجمة نحو البيت، توقفت تمامًا. كان الزوجان كلاهما واقفين بمدخل البيت الآن، يبتسمان محاولين أن يبدوا طيبين، لكن طيبتهما لم تبد لها حقيقية. كانا وكأنهما يبتسمان فقط ليحظيا بقبولها.

وفجأة اتخذت قرارها: لن تضع قدمها في هذا البيت، ولن تترك

هلدا الصغيرة معهما.

أعلنت بصوت واضح، أدهشها هي نفسها نبرة الحزم فيه: "سأعود إلى البيت". حدق إليها أبوها دون أن يتكلم. كررت: "سأعود إلى البيت، وستأتي هلدا معي".

تقدم منهما، ولف ذراعيه حولهما معًا، وقال: "حقك، إنه قرارك".

وكان يبتسم.

تشبثت بابنتها الصغيرة بقوة، وأقسمت ألا تتركها ثانية أبدًا.

(23)

ظلت هلدا جالسة في سيارتها خارج مركز الشرطة لعدة دقائق، عاجزة عن استدعاء شجاعتها لتدلف، خشية المواجهة المرتقبة مع ماجنس. وليس الأمر أنها نادمة على أي شيء. كان قرارًا صائبًا أن تعيد فحص قضية موت إيلينا، وليست لديها أي نية أن تتوقف عن تحرياتها دون أن تخوض في سبيل ذلك حربًا. كانت زيارة آكي ضرورية، رغم أنها أدركت متأخرًا أنه ربما ما كان عليها أن تتعجل هذه الخطوة، وأنه كان عليها القيام بجمع بعض المعلومات أولًا. لكن هذا الخطأ حدث بسبب الوقت المحدود المتاح لها لحل القضية.

تقريبًا بلا تفكير، وجدت أنها قد أخرجت هاتفها واتصلت برقم بيتر، الذي أجابها على الفور.

قال بحبور: "هلدا، كنت أنتظر اتصالك". بدا أنه يحظى بمزاج جيد على الدوام، إيجابي ومشرق دائمًا. أجل، إنها حقًّا معجبة به، وكيف لا؟

قالت: "حقًّا؟" ثم ندمت فورًا على هذا الرد الجاف، الذي دفعتها إليه الدهشة من عبارته، وليس أي نية لأن تكون وقحة معه.

"نعم، فكرت أننا ربما يمكننا أن نلتقي ثانية هذا المساء. كنت أنوي أن أعرض عليك أن أطهو لك العشاء في بيتي".

ردت هلدا: "سيكون هذا لطيفًا". وقد انخدعت للحظة بضوء المساء فنسيت أن وقت العشاء قد مضى منذ زمن بعيد. "أقصد... كان سيصبح رائعًا".

"لنفعلها على أي حال. يمكنني أن أطهو لك الآن. لدي جميع المكونات، بما في ذلك فخذ ضأن جميل.. يمكنني أن أضعه في السيخ للشواء بينما أنتظرك". ثم خطرت له فكرة فقال: "إلا إذا كنت قد أكلت بالفعل؟".

"ماذا؟ لا، لا، لم أفعل حقًّا". فالهوت دوج لا يُحسب. "أنا .. إحم.. أنا متلهفة عليه". أدركت أن أنفاسها تتلاحق، وأنها مضغوطة بسبب محادثتها المنتظرة مع ماجنس، وأملت ألا يلاحظ بيتر ويبدأ في طرح أسئلة سخيفة.

اعترفت لنفسها أنها أحست بداخلها بالدفء لفكرة زيارته. كانت تحتاج بشدة إلى أن تتحدث إلى شخص ما، عن إيلينا والقضية، وعن تركها للعمل. وهناك أيضًا تلك الأمور الأخرى التي تحتاج إلى أن تخبره عنها.

"عظيم. هل أنت في الطريق؟ كم من الوقت أمامك؟".

"علي أن أمر على المكتب أولًا، لكني لن أتأخر".

على الأقل، كانت تتمنى هذا.

لم تشعر من قبل أبدًا أن الممر المؤدي إلى حجرة ماجنس وكأنه يمتد إلى ما لانهاية. كان بابه مفتوحًا، وبمجرد أن رفعت يدها للطرق على الزجاج لتنبهه إلى وجودها، رفع وجهه نحوها. كان حاجباه منعقدين في عبوس كئيب، ولاحظت فورًا أن اجتماعهما سيكون عسيرًا. راودها شعور مقبض أنه ما جاء إلى العمل في ذلك المساء الربيعي الجميل إلا من أجلها. ترى أي خطأ ارتكبت؟ أكان عليها أن تؤمن نفسها بأن تحصل على تصريح واضح لإعادة فتح التحقيقات؟ أم أن آكي قد اشتكى منها؟ يمكنها بسهولة أن تتخيل أن رجلًا مثله له أصدقاء من ذوي النفوذ في مواقع مهمة.

صاح ماجنس بصوت كالعواء: "اجلسي".

في الأحوال العادية، كانت لتشعر بالإهانة من لهجته، لكنها

في هذه المرة كانت قلقة للغاية، حتى إنها سقطت على المقعد بخنوع، تواجهه وتنتظر. لم تفعل أي شيء ولا حتى فتحت فمها.

"هل زرت آكي أكاسون في وقت مبكر هذا المساء؟".

أومأت برأسها. لا فائدة من محاولة الإنكار.

"فيم كنت تفكرين بحق السماء؟" بدا أن انزعاج ماجنس قد تحول إلى غضب هادر.

فوجئت هلدا. كانت تتوقع منه عقابًا معتدلًا، لكن ليس أن ينفجر فيها على هذا النحو.

"ماذا تقصد؟ أنا... أنا كنت أعمل على...".

قاطعها: "هه، تحدثي، اشرحي أسبابك. لا أريد أن أضطر إلى إقالتك، بينما أنت على وشك التقاعد بالفعل".

استجمعت هلدا نفسها، وقالت: "وصلتني معلومة سرية أنه متورط في تجارة الرقيق الأبيض، شيء كهذا".

"ومن أين وصلتك هذه المعلومة؟".

لم يخطر على بال هلدا أن تورط كارين في الأمر. "مصدر. لا يمكنني ذكر الاسم، لكن أنا... كان بإمكاني دومًا الوثوق... به".

هل منحتها كارين معلومة زائفة؟ هل ذهبت للقاء رجل أعمال شريف واتهمته بالتورط في الجريمة المنظمة؟ سيكون هذا أمرًا

في منتهى السخافة.

"دعيني أسألك، ولم تتعبين نفسك بالتحري عن شبكة دعارة؟" هكذا سألها ماجنس بصوت يقطر غلًّا.

"أنت قلت لي أن أختار قضية".

ردد ماجنس كلامها متحيرًا: "تختارين قضية؟".

"نعم، لأعمل عليها، حتى يحين وقت مغادرتي".

"آه، فهمت، لكن... لم أظن للحظة أنك أخذت كلامي على محمل الجد. كان مجرد اقتراح وليد اللحظة. ظننت أنك ستعودين إلى بيتك وترتاحين، وتلعبين دور جولف، أو أيًّا كانت الرياضة التي تمارسينها".

"أنا أتنزه سيرًا في الجبال".

"حسنًا، إذًا ظننت أنك ستذهبين للتنزه سيرًا أو شيء من هذا القبيل. ماذا تظنين نفسك فاعلة بحق الجحيم، تقومين بتحريات في قضية دون أن تخبريني؟".

"كنت أظن أني أخذت منك تصريحًا". بدا صوتها أكثر ثباتًا، وهدأت دقات قلبها، فقد بدأت تحشد أسلحتها.

"وما هي تلك القضية إذًا؟".

"المرأة الروسية التي ماتت، تلك التي عُثر عليها في

فاسليسوسترند".

"فهمت. كانت قضية أليكساندر، أليس كذلك؟ تلك التي حلها منذ زمن".

"لست متأكدة تمامًا من هذا. كانت تحرياته عارًا".

سألها ماجنس بحدة: "ما الذي تقولينه؟".

"هلم يا ماجنس. أنت تعرف مثلي تمامًا أن أساليب أليكساندر فاشلة، في أفضل الأحوال". اندهشت هلدا قليلًا من قوة أعصابها. لقد تمنت دومًا أن تقول ما قالته، لكنها لم تجرؤ. لكن الآن، ما عاد لديها ما تخسره.

لم يرد ماجنس على الفور، ثم أخيرًا، قال مترددًا: "ربما هو ليس أفضل محقق لدينا، لكن..".

"لا عليك من هذا. لكن عليك أن تثق فيما أقوله لك. أنا متأكدة أن هناك في الأمور أمورًا. هناك أمر غفلنا عنه. ولو أنها قتلت، فمن واجبنا أن نكشف الحقيقة".

قال ماجنس: "لا... لا... القضية أغلقت". لكنها استطاعت أن تميز التردد في صوته.

"لا يمكنك أن تقصيني على هذا النحو. لا بد أن لدي بعض الحقوق بعد كل تلك السنوات".

صمت للحظة، ثم سألها بلهجة قاطعة: "إذًا ما دخل آكي؟".

"هناك احتمال أن الفتاة الروسية قد جُلبت إلى هنا لتعمل في الدعارة. أنا آسفة لو أن المعلومات التي وصلتني خاطئة، لم أقصد أن أزعج رجلًا بريئًا".

ضحك ماجنس، رغم أنه لم يبد مسرورًا على الإطلاق: "رجلًا بريئًا؟ إنه مذنب كالشيطان. هذه هي كل المشكلة بحق الجحيم".

"ماذا تقصد؟".

"إنه يدير منظمة كبيرة للعمل في الدعارة".

"إذًا لم يكن هو من اشتكى مني؟".

"هل جننت؟ يا إلهي، بالطبع لا، لم نسمع من ناحيته صوتًا. لا، أنت فقط نجحت في إحباط مجهود شهور من العمل الشاق. كنا نضعه تحت المراقبة، وعلى حد علمنا، لم يكن لديه أدنى فكرة حتى هذا المساء.. وكل هذا بفضلك".

أُخذت هلدا، وقالت: "تقصد أني...؟".

"نعم، أنت... رجالنا كانوا يراقبون مسكنه، ورأوك تدخلين إليه، لكن كان قد فات الوقت، المصيبة وقعت. وليس من وسيلة نعرف بها ما الذي ينتويه الآن.. يحذر شركاءه، يدمر الأدلة، الفريق يعقد اجتماع إدارة أزمة الآن أثناء حديثنا، يحاولون أن يقرروا هل يحجمون خسائرهم بالقبض عليه الآن؟ إنها خسارة فادحة، وأنت

الملومة عليها، وهو ما يعني أني أنا من سيتحمل العاقبة".

"لا أعرف ماذا أقول. ببساطة لم تكن عندي أي فكرة".

"بالطبع لم تكن عندك أي فكرة لعينة! لأنك لم تكلفي تفسك عناء أن تراجعي خطواتك مع أي أحد أولًا. إنها دائمًا نفس المشكلة.. فشل ذريع في التعاون مع زملائك".

ضرب ماجنس مكتبه بقبضته، وقال: "نفس القصة اللعينة دائمًا".

عند هذه النقطة، وجمت هلدا. وقالت: "لم يكن لدي الخيار دائمًا، وأنت تعلم. أنت وزملاؤك، كنتم دائمًا متحمسين لأن (تتعاونوا) على مدار السنين. لقد أجبرت في بعض الأحيان أن أشق طريقي وحدي في القضايا؛ لأنه ما من أحد كان على استعداد للعمل معي. أنتم الأولاد تعملون معًا، وتستبعدونني. هه، أنا لا أشتكي.. فقد فات أوان الشكوى، وعلى أي حال، هذا ليس من طبعي، لكني أريدك أن تعرف كيف كان الأمر، قبل تأتي امرأة أخرى من بعدي، وتعاني نفس ما عانيته".

بدا ماجنس مذهولًا من رد فعلها. قال: "لقد عاملتك كما عاملت الجميع في هذه الإدارة. لست مضطرًا للجلوس والاستماع إلى هذا الكلام".

هزت هلدا كتفيها، وقالت: "أنت تعرف أن هذه ليست الحقيقة يا ماجنس، لكنني سأترك العمل، لذا لم تعد هذه مشكلتي".

"أعتقد أن هذا الاجتماع طال بما يكفي. القضية أُغلقت".

في هذه المرة، كانت هلدا هي من ضربت المكتب بقبضتها. ظلت تدهش نفسها، وقد انفجر جميع الغضب المكبوت بداخلها: "لا. أحتاج إلى المزيد من الوقت لأنهيها. أنت بالتأكيد مدين لي بهذا، على الأقل، أليس كذلك؟".

جلس ماجنس مبهوتًا إزاء هذا الانفجار، ووجهه بلا تعبير.

"أحتاج إلى بضعة أيام أخرى، ربما أسبوعًا. سأبقيك على علم بكل شيء، حتى لا يكون ثمة خطر من إحباطي لمجهودات زملائي ثانية. كان هذا غير مقصود بالمرة، كما تعلم تمام العلم".

جلس وفكر في الأمر، قبل أن يقول متذمرًا: "حسنًا. يمكنك أن تحصلي على يوم واحد".

"يوم واحد؟ استحالة أن يكفي".

"حسنًا، من الأفضل له أن يكفي، عليه الجحيم. هذا آخر كلام لي هنا معك. كل ما عليك أن تبدئي باكرًا. وسنعقد اتفاقًا: سأتركك لحالك غدًا، حسنًا؟ أما بعد الغد، ستأتين إلى هنا وتخلين مكتبك. وبعدها، يمكنك أن تبدئي في الاعتياد على حياتك بعد التقاعد".

(24)

بدأ الضوء يخفت.

بعد القيادة لفترة، بدأت، على نحو ما، تتكيف تمامًا مع الثلوج. واستجابت السيارة رباعية الدفع جيدًا لعجلة القيادة، وتحملت القشرة الثلجية الصلبة ضغط ثقلهم عليها. لم تهب العاصفة الثلجية الموعودة بعد، رغم أن بعض الرقائق قد بدأت في التساقط، بما يكفي لتشغيل مساحات الزجاج.

كان محقًّا رغم كل شيء؛ كان كل هذا جزءًا من البرنامج، جزءًا من المغامرة التي قبلت بها. ولقد ندمت الآن على جبنها في مواجهة التحدي.

وبعد أن قطعت مسافة معقولة، تولى القيادة بدلًا منها ثانية، وانطلق بسرعة مخيفة، حتى لاح أمامهما جبل، وعندها، رفع قدمه عن دواسة البنزين، وأبطأ بالسارة إلى أن توقفت.

"هذا يكفي، سنغادر السيارة هنا".

وإذ خطت خارج السيارة وسط رذاذ الثلج الخفيف، مسحت المكان المحيط بهما بعينيها. سألت مرتابة: "هل سنصعد هناك إلى الأعلى؟ إلى أعلى الجبل؟" وقد جبنت لمرأى الصخور داكنة السواد التي تظهر بين اللون الأبيض.

هز رأسه وقال: "لا، ليس لآخره، فقط حتى نصل إلى الوادي الواقع فوق الحافة التالية. ومع هذا، سيمثل الصعود إليه تحديًا، نوعًا ما".

راح الظلام يخيم عليهما بسرعة مخيفة، وأملت فقط أن يصلا إلى وجهتيهما بينما لا يزال هناك شفق. سيستحيل السير هنا ليلًا، فليس ثمة ضوء يأتي من بعيد قادمًا من مدينة، ليس ثمة إلا الجبال والثلوج.

"هل... هل سيكون هناك أي أناس غيرنا؟".

قال بلهجة قاطعة: "لا يأتي هنا أي أحد".

بدأ يفرغ حمولة السيارة، ووضع حقيبتي الظهر على الثلوج بجانب المعدات الأخرى. مد يده في إحداها، وأخرج كنزة ثقيلة، كنزة محلية، مشغولة يدويًّا من الصوف الأيسلندي، يميزها نمط متعرج، بألوان الأبيض والبني والرمادي، يحيط بأعلاها.

قال مبتسمًا: "خذي. ارتدي هذه وإلا ستتجمدين". وفي ضوء الشفق، كان من الصعب رؤية نوع الابتسامة.

أطاعته بلا اعتراض، وخلعت معطفها السفلي الثقيل. سرت رعدة في أنحاء جسدها. ربما هو البرد ليس إلا، هكذا قالت لنفسها، لكن عندما فكرت ثانية، ربما... ربما كان الخوف.

ناولها حقيبة الظهر، ترنحت قليلًا بفعل وزنها، ثم رفعتها على

ظهرها. ساعدها في تركيب الأحزمة، قبل أن يثبت فأس الجليد خارجها.

لم يبتعدا أكثر من بضع خطوات قبل أن تدرك أنها نسيت ارتداء قفازيها. وخلال ما بدا أنه دقائق ليس إلا، فقدت كل إحساس بأصابعها، وكان عليها أن تناديه لتطلب معونته في استخراج القفازات من حقيبة ظهرها. وبمجرد أن فعلها، تابعا سيرهما، وتقدما متثاقلين وسط الثلوج الآخذة في التزايد، إلى أن توقف أخيرًا.

"علينا أن نحاول الصعود هنا. أتعتقدين أنك تستطيعين فعلها؟".

أمامها، رأت منحدرًا شديدًا أبيض اللون، يرتفع إلى أن يختفي عن ناظريها، وقد غامت قمته بفعل الضوء الخافت ورقائق الثلج التي تنخس عينيها.

سألها ثانية: "أتعتقدين أنك تستطيعين فعلها؟".

أومأت برأسها في شك، وانتظرت أن يتقدمها.

قال يحثها، بعد فترة صمت قصيرة: "أنت أولًا". لم تصدق أذنيها. يستحيل أن تصعد هذا المنحدر وحدها ودون مساعدة.

"أنا؟ ولماذا؟".

”لست متأكدًا من مدى صلابة الثلوج هناك بالأعلى. فلو حدث انهيار جليدي، سيمكنني أن أحفر وأخرجك“.

وقفت هناك، وقد جمدها الخوف، تتساءل عما إذا كان يمزح، لكنها خشيت أنه جاد كالموت.

ناولها عصاوَي السير اللتين ثبتتا خارج حقيبة ظهرها، وطلب منها أن تبدأ في السير.

وإذ لم يكن أمامها إلا أن تفعل، فقد بدأت في السير، وراحت تتحسس خطاها إلى الأعلى بمنتهى الحرص. لم يكن الطريق شديد الانحدار في البداية، لكن انحداره تزايد بشدة كلما ارتفعت. حاولت أن تركز في أن تخطو خطوة واحدة كل مرة، وأن تبقي عينيها لأسفل، محاولة ألا تفقد توازنها. وكل حين وآخر، كانت تختلس النظر لأعلى، لكن السطح الأبيض والثلج المتساقط التحما كشيء واحد، ولم تستطع، رغم كل محاولاتها، أن ترى أين ينتهي المنحدر. بدأ مجرد رفع قدميها يزداد صعوبة أكثر فأكثر، وأصبح الصعود مجازفة لا قبل لها بها. وسرعان ما راحت تنزلق وتنحدر إلى الخلف مع كل خطوة تحاول أن تخطوها، واحتاجت أحيانًا لعدة محاولات لترتفع إلى أعلى سنتيمترات قليلة. حاولت أن تجد لقدميها موطئًا وسط الثلوج، بأطراف حذائها ذي الرقبة الطويلة، لكن لم يحالفها النجاح، حتى، في لحظة خوف أصابها بالدوار، أحست أنها تفقد توازنها، وانزلقت بظهرها إلى أسفل نصف المسافة التي قطعتها.

(25)

رسمت بضع سحابات خطوطًا في السماء فوق أشجار التنوب العملاقة في حديقة بيتر، وكأنما رسمتها ضربات جريئة من ريشة رسام على قبة السماء، وكانت تنحدر نحو غروبها المتأخر. عادة، كان هذا الوقت من العام يملأ هلدا بالحيوية، لكن ليس اليوم. كانت منهكة القوى تمامًا بعد اجتماعها مع ماجنس، متعبة إلى درجة منعتها من بذل المزيد من الجهد في التحقيق، وعلى إيلينا أن تنتظر حتى الصباح.

فتح بيتر الباب قبل أن تتمكن من الطرق عليه، إذ كان، بلا ريب، يرقب مقدمها من نافذة المطبخ. وحاولت هي ألا تظهر إجهادها.

"هلدا! ادخلي". كانت طريقته دافئة كالعادة، كطبيب يتحدث إلى مريضه المفضل. قادها إلى غرفة المعيشة، التي كانت في الوقت نفسه غرفة السفرة، حيث كانت المائدة معدة بالفعل، وفوقها أشهى فخذ ضأن، ما زال ساخنًا بنار الشواء، كطبق رئيس. كانت رائحته شهية، حتى إن هلدا أدركت متأخرة أنها تتضور جوعًا. فتح بيتر زجاجة من النبيذ الأحمر، كما تمنت أن يفعل. ومن الجيد أنها التزمت جانب الحذر وركنت سيارتها عند منزلها، وطلبت تاكسي.

قالت: "يبدو هذا جيدًا".

قدم لها مقعدًا فغاصت فيه شاكرة، وأحست بالتعب ينبعث من أطرافها. اختفى بيتر في المطبخ. وإذ جلست هناك، شعرت ببعض الغرابة، وكأنها لا تنتمي إلى هذا المكان، وكأنها متطفلة. ومع هذا، جزء آخر بداخلها شعر وكأنها قد عادت إلى بيتها. ربما كانت الحديقة التي استطاعت أن تراها من غرفة الجلوس، والتي ذكرتها قليلًا بحديقتها القديمة في ألفتينس.

كان بيت بيتر دافئًا، ولكن، أكثر من هذا، كان ذا أجواء منزلية مريحة. نعم، يمكنها أن تتصور نفسها بسهولة تعيش هنا، تستمتع بصحبة بيتر، تطهو معه العشاء، ويشربان نبيذًا بالليل...

سألها بيتر وقد عاد حاملًا طبق الخضر: "كان يومًا طويلًا؟ يومي كان هادئًا جدًّا. ستستمتعين بهذا بمجرد تقاعدك.. امرأة رياضية مثلك، لها اهتمامات بالأنشطة الخارجية". وابتسم.

ردت هلدا بأسى: "أعتقد هذا. نعم، يمكنك أن تقول إن يومي كان... محاولة أخرى".

جلس بيتر. قال: "تفضلي والطعام ساخن. عادة ما يكون طيبًا عند شوائه بهذه الطريقة. تغيير لطيف أن يجد المرء شخصًا آخر يطهو له".

قالت: "شكرًا". وأخذت قضمة. كان المذاق استثنائيًّا، من الواضح أن بيتر طاهٍ ممتاز. هذه ميزة إضافية لا يستهان بها.

سأل: "ماذا حدث؟".

”ماذا؟“.

”اليوم. حدث شيء ما، أستطيع أن أخمن“.

فكرت هلدا في كم المعلومات التي تشاركها معه. مناقشة القضية لم تكن مشكلة، إذ إن لديها قناعة تامة بإخلاص بيتر، لكنها أحست بعدم رغبة في أن تصف له اجتماعها مع ماجنس. جزء من السبب في هذا يعود إلى خطئها الفادح، رغم حسن نيتها فيما قامت به.

وبعد صمت ساد لدقيقة أو اثنتين، ورغم هذا لم يشعرها بعدم الراحة، أدهشت نفسها إذ قالت: ”حضرت اجتماعًا مع رئيسي في العمل. يريدني أن أغلق التحقيق“.

”على الفور؟“.

”نعم“.

”لماذا؟ وهل أنت عازمة على ذلك؟“.

”استجوبت رجلًا ما كان يجب أن أستجوبه. إنها قصة طويلة، لكن، بصفة أساسية، تداخل استجوابي مع تحقيق زميل آخر. لم تكن لدي فكرة عن هذا التحقيق الذي يجري، رغم أن علي الاعتراف أني أتحمل جزءًا من الخطأ لأني لم أبق رئيسي على علم بمجريات الأمور. لم تكن لديه فكرة عما أقوم به“. أطلقت زفرة، ثم أكملت: ”والمحقق الذي تعامل مع القضية في الأصل غاضب

أشد الغضب بسببي كذلك. للأمانة، أنا مرتبكة قليلًا".

"ستحل كل تلك الأمور من تلقاء نفسها. أنا متأكد من هذا". كالمعتاد، بدا بيتر غير منزعج. "ولو أني أفهمك على حقيقتك، لن تتركي التحقيق قبل أن تخوضي حربًا في سبيله".

ضحكت هلدا: "لا، لقد نجحت في أن أنتزع منه يومًا إضافيًّا. آخر يوم لي".

"إذًا، يستحسن أن تحسني استغلاله".

"معك حق تمامًا". ثم رفعت كأسها وأخذت أول رشفة منه، وقالت: "وبمعنى آخر، علي ألا أسرف في تناول هذا النبيذ الرائع".

"وبمجرد انقضاء الغد، ستكونين حرة. تهانئي!".

"أنت تعرف حقًّا كيف تنظر للجانب المشرق".

"ألا يجب أن نحتفل بتقاعدك؟".

قالت هلدا بصوت يملؤه الشجن: "كما تحب. هذا الذي أمامنا احتفال بالفعل. إنه لذيذ جدًّا".

اقترح بيتر: "يمكننا أن نتسلق جبل إيجا. ما قولك في هذا؟ ما عدت أذكر عدد المرات التي تسلقته فيها، لكني لم أسأم يومًا من هذا. ليس الجميع محظوظين بوجود جبل كهذا بجوارهم. يا لمنظر المدينة في يوم صحو..".

ردت هلدا: ”ليس عليك محاولة إقناعي.. أنا معك“. ولأول مرة منذ زمن بعيد تجد نفسها متحمسة حقًّا لأمر ما. وللحظة، عابثتها فكرة أن تترك إيلينا وشأنها، وأن تضع نفسها كأولوية، وأن تستسلم لإرادة ماجنس بأن تتقاعد على الفور. كانت على وشك أن تقترح أن يتسلقا إيجا غدًا بدلًا من بعد غد. وقفت الكلمات مترددة على طرف لسانها.

لكنها عندما تكلمت، كان ما قالته هو: ”حقًّا، إنه بعد الغد. سأحتاج إلى يوم آخر للتحقيق“.

وعلى الفور، راودها هاجس قوي مضطرب أن قرارها هذا كان خاطئًا.

للمساء الثاني على التوالي، يسرفان في تناول النبيذ الأحمر. خشيت هلدا من الصباح، وانتابها قلق أن تتأخر في النوم ثانية، وتعاني من الإعياء الذي يعوق إنجازها لأي شيء مفيد. لكن بيتر بدا مرتاحًا لوجودها، وعليها أن تعترف أنها كانت تستمتع بصحبته. كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل بكثير، لقد مرت الساعات كلمح البصر، فالحديث يبدو وكأنما يتدفق معه بيسر.

كارهة أن تنهي أمسية لطيفة، جلست هلدا متكئة على أريكته الجلدية.

كانا الآن جالسين جنبًا إلى جنب، وما زالت مسافة من التحفظ

تفصل بينهما. وكان من الواضح أن بيتر يراعي ألا يقترب أكثر من اللازم، كان يعرف ما يفعله.

قال ملاحظة: "أخبرتني أمس أنك لم تقابلي أباك أبدًا".

أومأت هلدا برأسها.

"هل تزوجت أمك؟ أم أنها ربتك وحدها؟".

"لا، لم تتزوج أبدًا. عشنا مع جديَّ. جدي وأنا كنا صديقين مقربين.. كان أقرب شخص لي. أعتقد أننا متشابهان جدًّا على نحو أو آخر. أفترض أنه كان حلقة وصل بيني وبين عائلتي من هذه الناحية. لم نكن أنا وأمي بهذا القرب، ولكن بفضل جدي، شعرت أني أنتمي لهم، إذا كنت تفهمني. لم أقابل أقاربي من ناحية أبي أبدًا. دون جدي، لا أعتقد أني كنت سأحظى بطفولة سعيدة".

أومأ بيتر برأسه وبدا متفهمًا.

أكملت بصوت خفيض بائس: "كنت أتمنى أن أقابل أبي". وقد أحست فجأة برغبة في البكاء. كان هذا هو فعل الخمر، علمت أنها مخمورة، لكنها استمتعت بها للغاية حتى عجزت عن التوقف عن احتسائها.

بدأ بيتر موضوعًا آخر، مراعيًا أن يغير ذلك الموضوع، لكن دون أن يبتعد كثيرًا عما كانا يناقشانه: "ماذا كان يعني أن تنشئي

في رعاية أم عزباء في تلك الأيام؟ أعلم أن هذا الأمر أصبح الآن معتادًا، لكني أتذكر كيف اعتاد الناس على أن يتحدثوا عن أحد زملاء دراستي الذي لم يكن له أب.. أقصد ما من أحد يعرف له أبًا".

اعترفت هلدا: "كان أمرًا شاقًّا". ومدت يدها إلى زجاجة الخمر وأعادت ملء كأسيهما الفارغتين. "شاقًّا للغاية. كانت تغير وظائفها باستمرار، حسبما أذكر. لم يكن معتادًا في ذلك الزمن لامرأة أن تتكسب عيشها، كما تعرف، ولم تكن تستطيع دائمًا أن تعمل كما أرادت بسببي. كان كفاحًا شاقًّا. كنا معسرين جدًّا.. لا أظن أن كلامي ينطوي على أي مبالغة. والسبب الوحيد في توفر سقف يؤوينا هو أننا كنا محظوظين بما يكفي لنعيش مع جديّ. كنا نجد دومًا ما نأكله، لكن لم تتوافر أي نقود لأي شيء آخر، فما من أحد فينا كان يستطيع الإنفاق على الكماليات. وخلال نشأتي، وجدت ذلك شاقًّا، كما يمكنك أن تتخيل بالتأكيد".

قال بيتر ببطء: "حسنًا، لأكون أمينًا معك، لا يمكنني حقًّا أن أتخيل كيف كان شكل هذه الحياة. كان أبي طبيبًا، مثلي، لذا، فقد كنا دومًا من ميسوري الحال. هذا لحسن الحظ. إن أسوأ ما في الفقر هو تأثيره على الأطفال".

ارتفع صوت هلدا وهي تقول: "حقًّا..". وأحست بقليل من التشويش بفعل الخمر، وتساءلت عن الحكمة من قول ما هي موشكة على قوله. إلى أي حد يجب أن تحكي لهذا الرجل؟

أيمكنها أن تثق به؟ على أي حال، ربما يكون شيئًا جيدًا، وصحيًّا كذلك، أن تحكي عن الماضي من حين إلى آخر. لقد ظلت تكتم بداخلها لوقت طويل، ربما كانت هذه هي الفرصة التي تنتظرها. لم تستطع أبدًا أن تناقش الأمور الشخصية في المكتب. ما من أحد من زملائها الأصغر سنًّا يود من قريب ولا من بعيد أن يستمع إلى قصة حياة امرأة في الرابعة والستين من عمرها. وأكثر من هذا، يمكنها أن تعد أصدقاءها، الأصدقاء الحقيقيين، على أصابع اليد الواحدة، وذلك على أفضل تقدير. لذا فقد قررت أن تغامر: "في الواقع، كان يمكن للأمور أن تختلف تمامًا".

قال بيتر: "حقًّا؟" جاء رده سريعًا جدًّا، لم يعوزه الوضوح، حتى إن هلدا تساءلت وسط سكرتها عما إذا كانت عبت من الخمر بأكثر منه.

"لقد وضعتني أمي في مؤسسة عندما كنت رضيعة.. مؤسسة لإيواء الصغار، تشبه تقريبًا ملجأ للأيتام. سمعت القصة من جدي، لم تذكر لي أمي حرفًا عنها. كان هذا يعد التصرف الصحيح والملائم للأمهات غير المتزوجات في تلك الأيام. من بعض التلميحات التي ذكرها جدي، أعتقد أنه هو وجدتي لا بد قد ضغطا عليها لتضعني هناك، وهو ما قد ندم عليه جدي لاحقًا. قال إنني انتزعت من أمي بعد ولادتي بوقت قصير. هل تتذكر تلك البيوت؟".

"ليس بصفة شخصية، لكنني سمعت عنها بالطبع".

"فيما يبدو أن أمي كانت تزورني يانتظام، وهو أمر طبيعي، حسبما أفترض. قال جدي إنه كان فخورًا بها. وبمجرد أن نجحت في ادخار بعض النقود، ذهبت وطالبت بحضانتي. كان لها كل الحق في ذلك، رغم أن الصغار في تلك المؤسسات عادة ما كان يتم كفالتهم أو تبنيهم، حسبما أعتقد".

سأل بيتر: "أظللت هناك لوقت طويل؟".

"عامين تقريبًا. وكأنما ليس هذا سيئًا بما يكفي، فطوال ذلك الوقت لم يسمح لأمي ولو مرة أن تلمسني أو تحملني. أظن أن الوالدين كان يسمح لهما فقط برؤية الصغار من خلف حاجز زجاجي. فالمسؤولين عن المؤسسة اعتقدوا أن الآباء لو هدهدوا الصغار، فسيكون الأمر في غاية الصعوبة على الصغار عندما يرحلون عنهم".

"لا أفترض أنك تتذكرين...؟" ترك بيتر السؤال معلقًا.

قالت هلدا: "لا، لا أحمل أي ذكرى عن تلك الفترة. كنت صغيرة جدًّا. لكنني ذات مرة زرت المبنى الواقع به هذا الملجأ. حدث هذا منذ سنوات طويلة. شعرت بشعور غريب عندما دخلت من الباب. تملكني ذلك الإحساس الذي يطلقون عليه: شُوهد من قبل. لقد أزيل الحاجز الزجاجي، لكنني رأيت صورًا له. وبينما كنت أسير في الممر، توقفت بشكل غريزي وتجمدت أمام أحد الأبواب المغلقة وسألت المرأة التي كانت تصطحبني ما إذا كان الأطفال

يناموا هناك. أومأت برأسها وقالت إنني على حق تمامًا، وفي اللحظة التي فتحت فيها الباب، داهمتني الذكرى. عرفت، فقط عرفت، أنني كنت أنام في هذه الغرفة. ربما لا تصدقني، لكنها كانت تجربة غريبة".

قال بيتر: "أنا أصدقك". وكعادته دائمًا، جاء رده بلا تردد، وقال الصواب تمامًا.

أكملت هلدا: "لدي ذكرى واحدة حقيقية من طفولتي المبكرة. كانت هناك ترتيبات للتنازل عن رعايتي لإحدى العائلات، كان هذا بعد أن استردتني أمي، وكنا نعيش مع جديّ. كان هناك زوجان مهتمان بأن يتبنياني، سمعت هذا من جدي، وليس من أمي، لكن ليس لدي سبب لأشك في كلامه، وهذه المرة، أتذكر حقًّا بعض الذكريات عن الواقعة. أتذكر رحلة الطيران.. لا بد أنها كانت إلى الشرق. هذا يتفق مع المكان، لأن الزوجين كانا يعيشان بين الرمال الجليدية في مقاطعة سكافتافيل، وكان الوصول إلى هناك يعتبر ضربًا من الخيال في تلك الأيام. لم أنس تلك الرحلة أبدًا، رغم أني كنت مجرد صبية صغيرة في ذلك الوقت. لم نكن معتادين أبدًا على مغادرة ريكيافيك، ولهذا السبب أعتقد أني احتفظت بذكريات من الرحلة، لأنها كانت أمرًا استثنائيًّا".

قال بيتر مترددًا، وكأنه غير متأكد هل يكمل كلامه أم لا: "أخبريني... ربما يكون سؤالًا غير لائق..".

قالت هلدا: "هات ما عندك". ثم ندمت عليها في التو.

"حسنًا... لو أمكنك أن تختاري الآن، بأثر رجعي، هل تودي أن تنشئي مع والدتك؟".

أصاب السؤال هلدا في مقتل، ربما لأنها دائمًا، تقريبًا بلا وعي، تساءلت نفس السؤال، دون أن تصل إلى أي إجابة قاطعة. أكانت طفولتها سعيدة؟ ليس تمامًا، ربما لم تكن سعيدة على الإطلاق. لكن ما من سبيل إلى معرفة هل كانت الأمور ستصير أفضل لو نشأت في رعاية الغرباء. هل النقود مهمة؟ هل كان فقر نشأتها، وذلك الكفاح المستمر لتغطية النفقات، أكان له تأثير دائم عليها؟

عادت بذهنها إلى سنواتها الأولى، محاولة أن تستدعي بعض الذكريات السعيدة. هناك تلك المرة عندما كانت جالسة في غرفة نومها تستمع إلى قصة، لا تستطيع أن تتذكر عم كانت تحكي القصة، لكن الذكرى كانت حية ودافئة. وحينها، كان الجالس بجوارها هو جدها، ليست أمها. تذكرت أيضًا نزهة، عندما كانت ربما في الثامنة أو التاسعة، المتجر الصغير في زاوية الشارع، الذي أغلق الآن منذ سنوات طويلة. لقد ذهبت هناك لتنفق نقودها، ثروتها الصغيرة التي ادخرتها من العمل مع جدها في الصيف، تساعده في بعض الأعمال اليدوية في شقتهم الصغيرة. كل شيء كان مرتبطًا بجدها، وليس بأمها، ومع هذا، كانت أمها دائمًا طيبة معها.

أخذت وقتها قبل أن تجيب: ”لا بد أن أعترف، بيني وبينك، وسألقي اللوم على الخمر لو ندمت على هذا الكلام فيما بعد، أنه كان يمكن لي أن أحظى بطفولة أسعد، رغم أنه من المستحيل الجزم بما إذا كان التبني سيحل المشكلة. لكن ما أعتقده حقًّا، ما أنا متأكدة منه، هو أن حياتي كانت لتصير أفضل لو سمح لي أن أبقى مع أمي من البداية. أعلم أنه لا يفترض بالأطفال أن يتذكروا شيئًا عن سنوات طفولتهم الأولى، لكن التذكر شيء، والإحساس شيء آخر. أعتقد أني أصبت بالإحساس بعدم الأمان، وأن هذا أثر علي طوال حياتي. أعتقد أيضًا أن أمي المسكينة شعرت بالذنب من يوم تخليها عني حتى يوم وفاتها. والشعور بالذنب حمل ثقيل“.

”آسف يا هلدا، لم أقصد أن أكون... متطفلًا“.

”لا تهتم. لدي حساسية زائدة تجاه الماضي. ما حدث قد حدث. ليس من الحكمة البكاء على اللبن المسكوب. لكن، لا مفر من أن يندم المرء على بعض الأمور، هذه الأمور تكمن لك دائمًا لتنفرد بك في أحلامك“. سمحت هلدا بفترة من الصمت، وراحت نظرتها تجول هنا وهناك في غرفة المعيشة الأنيقة، وتتأمل، ربما ليس لأول مرة، كيف أن بيتر لم يعرف في حياته إلا هذا المستوى.

فتح فاه ليتحدث، لكنها سبقته: ”أنت دائمًا تطرح الأسئلة عني“. وابتسمت لتظهر له أن كلامها ليس بهدف الانتقاد. ”لنتحدث عنك أنت الآن. هل أنت وزوجتك بنيتما هذا البيت؟“.

"نعم، فعلنا، هذه هي الحقيقة. كان دائمًا مكانًا رائعًا للسكنى. موقعه جيد، ومنطقة لطيفة بالطبع. أوشكنا يومًا على بيعه، لكنني سعيد جدًّا لأننا لم نفعل. أنا مرتبط به جدًّا. يحمل كثيرًا من ذكرياتي.. بحلوها ومرها طبعًا.. وأنا أنوي البقاء به، رغم أنه كبير جدًّا". وبعد وقفة، أضاف: "كبير جدًّا على فرد واحد، هذا ما قصدته".

"لم؟".

"معذرة؟".

"لم أوشكتما على بيعه؟" لقد تنبهت غريزة المحقق بها، لذا، فقد تجاوزت بنجاح محاولته للمراوغة.

لم يجب بيتر على الفور. لقد نهض وأحضر زجاجة أخرى، ثم استقر على الأريكة ثانية، ما زال على مسافة منها، في حدود الأدب.

"بدا وكأننا متجهان نحو الطلاق ذات مرة، منذ نحو خمسة عشر عاماً". أحست هلدا أنه يبذل جهدًا للحديث عن هذا الأمر.

انتظرت هلدا دون كلمة.

وبعد فترة صمت طويلة، ورشفة أخرى من الخمر، قال بيتر مفسرًا: "كانت لديها علاقة. ظلت قائمة لعدة سنوات دون أن أعرف. وعندما اكتشفتها بالصدفة، تركت البيت. سعيت للطلاق،

وكنت على وشك الحصول عليه، عندما جاءت لزيارتي وترجتني أن أمنحها فرصة أخرى".

"وهل وجدت أنه من السهل عليك مسامحتها؟".

"نعم، بالفعل. ربما لأنها كانت هي، وكنت أحبها طوال تلك السنوات. لم يتغير هذا أبدًا. ولكني أعتقد أن هذه ببساطة هي طبيعتي. كنت دائمًا سريع المسامحة، لا أعرف سبب هذا".

وعند سماعها لهذا الأمر، شعرت هلدا أنهما ربما لا يليقان ببعضهما كما اعتقد سابقًا. لأنها، بكل تأكيد، ليست سريعة المسامحة.

سألها مغيرًا الموضوع: "ذكرت أنك كنت تعيشين في جزيرة ألفتينس؟ أكان لك بيت هناك؟".

"أجل، كان لي..". وتوقفت لتنتقي كلماتها بحرص. "كانت منطقة خلابة، على البحر مباشرة. ما زلت أفتقد صوت الأمواج. وماذا عنك؟ أسكنت يومًا بجوار البحر؟".

"ذات مرة. كان والدي يعمل حينها كطبيب في نواحي الشرق، لكنني في الحقيقة تربيت في المدينة. نشأت معتادًا على زمجرة السيارات وليس صوت الأمواج. هل بعتِه عندما مات زوجك؟".

"نعم، لم أستطع تحمل نفقاته".

"قلت إنه مات شابًّا إلى حد ما، أليس كذلك؟".

"كان في الثانية والخمسين".

"فظيع، حقًّا شيء فظيع".

أومأت هلدا برأسها.

ورغم الموضوعات الكئيبة التي كانا يناقشانها، بدت غرفة الجلوس واحة من السكينة. أما في الخارج، فقد خيم الظلام على الليل، كما هي الحال دومًا في شهر مايو. لكن في هذه اللحظة، رن جرس هاتفها، مبددًا السلام بضجيجه الدخيل المرتفع. وبنظرة اعتذار وجهتها إلى بيتر، راحت هلدا تنبش أعماق حقيبتها. وقد كانت مفاجأة، في أبسط توصيف لها، عندما رأت من المتصل، لا سيما أن الوقت قد تجاوز منتصف الليل. كانت الممرضة التي صدمت البيدوفيلي، المرأة التي منحتها هلدا مخرجًا من أزمتها، بالتظاهر بأنها لم تعترف بشيء. ولقد تمنت ألا تسمع أبدًا كلمة أخرى عن هذا الحادث.

قطعت هلدا الاتصال دون أن تجيب. "آسفة، لا أحظى بلحظة سلام واحدة".

رد بيتر مبتسمًا: "هذا واضح".

وضعت هلدا الهاتف على المنضدة بجوار زجاجة النبيذ الأحمر الجديدة. من الواضح أنهما لم ينتهيا بعد، ما زال متبقيًا بها الكثير.

ورن هاتفها ثانية.

غمغمت هلدا: "اللعنة". بصوت أعلى ما أرادت.

قال بيتر بعطف: "هيا، أجيبي. هذا لا يضايقني".

لكن هلدا لم تكن لديها رغبة البتة في التحدث إلى المرأة التعسة، التي ما زالت على الأرجح متأثرة بالجريمة التي ارتكبتها، وتشعر برغبة ماسة في إراحة ضميرها، بإفراغ حموله على الشخص الوحيد الذي يعرف الحقيقة. وهلدا ليست لديها النية أن تلعب دور أب اعترافاتها، لا سيما الآن. كانت تستمتع بصحبة بيتر، وليس ثمة سبب لأن تفسد هذه الأجواء.

"لا، ليس أمرًا عاجلًا. في الحقيقة، لا أستطيع أن أفهم لم تتصل في مثل هذا الوقت المتأخر. قلة ذوق متناهية". وقطعت هلدا الاتصال ثانية، وفي هذه المرة، أغلقت هاتفها.

"ها هو، ربما يتركوننا في سلام الآن".

سألها بيتر، إذ رأى كأسها نصف الفارغة: "مزيد من الخمر؟".

"لا مانع، أشكرك. لكن، من الأفضل أن تكون آخر كأس. علي أن أذهب إلى العمل غدًا، تذكر".

ملأ بيتر كأسها، وتلا ذلك فترة صمت طويلة. لم يكن لدى هلدا ما تقوله، كانت متعبة للغاية، ولم يساعدها الخمر.

سأل بيتر على غير توقع: "أكان قرارًا متعمدًا من جانبك ألا تنجبي أطفالًا؟" ربما كان هذا استطرادًا طبيعيًّا للحديث عن زوج هلدا.

باغتها السؤال على غير استعداد، رغم أنها لا بد كانت تعلم أنها، عاجلًا أم آجلًا، كان عليها أن تخبر بيتر، على الأقل كانت ستخبره لو استمرت علاقتهما على نفس هذا المسار.

استغرقت فترة لتعرف كيف ستجيب، وانتظر بيتر بصبره المميز. لا يبدو عليه أنه يدع شيئًا يزعجه.

قالت أخيرًا، مستعملة أبسط إجابة: "كانت لدينا ابنة".

"آسف، ظننت..". بدا بيتر مندهشًا ومتحيرًا قليلًا. "ظننت أنك قلت... كان لدي انطباع أنك وزوجك لم تنجبا أي أطفال".

"كان هذا لأني تعمدت تجنب هذا الموضوع. عليك أن تسامحني.. ما زالت أجد صعوبة في التحدث عنه".

وإذ سمعت الانكسار في صوتها، كافحت هلدا لتمنع القهر من الارتسام على وجهها. قالت: "لقد ماتت".

رد بيتر مترددًا: "لا أعلم ما أقول. أنا آسف أشد الأسف لسماع هذا".

"لقد قتلت نفسها".

أحست هلدا بالدموع تنساب على وجنتيها. حقًّا هي لم تعتَد الحديث عن هذا الأمر. رغم تفكيرها في ابنتها كل يوم، كانت لا تتحدث عنها أبدًا.

لم ينطق بيتر بكلمة.

"كانت صغيرة جدًّا، أكملت الثالثة عشرة فقط. ولم نحاول أن ننجب أطفالًا بعد ما حدث. كان جون في الخمسين، وكنت أنا أصغر بعشر سنوات".

"يا إلهي... لقد صهرك الألم حقًّا يا هلدا".

"لا أستطيع التحدث عن الأمر، آسفة. على أي حال، هذا ما حدث. وبعدها مات جون، وعشت أنا وحيدة من يومها".

قال بيتر: "ربما هذا الوضع على وشك أن يتغير".

حاولت هلدا أن تبتسم، لكنها أحست فجأة أن التعب قد تملك منها. لقد اكتفت، وتحتاج إلى العودة إلى البيت.

وبدا أن بيتر قد عرف بالبداهة ما تشعر به.

"أحان وقت النوم؟".

هزت هلدا كتفيها وقالت: "نعم، أظن هذا. كان وقتًا لطيفًا جدًّا يا بيتر".

"أنكررها ثانية غدًا مساء؟".

قالت دون لحظة تردد: "نعم، سيكون هذا رائعًا".

"ما رأيك أن نخرج لتناول الطعام في مكان ما؟ لنحتفل بتقاعدك. سأدعوك على العشاء في فندق هولت. ما رأيك؟".

كان هذا رائعًا حقًّا. "يا إلهي، نعم، سيكون هذا رائعًا. لم أذهب إلى هناك منذ وقت طويل. لا بد أن هذا كان منذ ما يزيد على عشرين أو ثلاثين عاما". كان المطعم في فندق هولت من أكثر الأماكن في ريكيافيك أناقة وتميزًا، وفي الحقيقة، لا تذكر هلدا جيدًا آخر مرة لها هناك. كان عشاء عيد ميلاد، مع زوجها وابنتها، مناسبة سعيدة، عشاء باهظًا لكن جديرًا بالتذكر.

"لا يمكنني أن أجبرك على تناول الطعام الذي أطهوه كل ليلة. اتفقنا إذًا".

نهضت هلدا، وتبعها بيتر، طابعًا قبلة سريعة على وجنتها.

قالت: "كان الضأن ممتازًا. أتمنى أن أعرف كيف أشوي اللحم مثلك".

ومع خروجهما إلى البهو، سألها بيتر فجأة: "ماذا كان اسمها؟".

جفلت هلدا. ورغم علمها بما كان يسأل عنه، تظاهرت بعدم العلم، لتكسب بعض الوقت. قالت: "معذرة؟".

"ابنتك؟ ما كان اسمها؟" كان صوته عطوفًا، واهتمامه حقيقيًّا.

أدركت هلدا فجأة أنها لم تلفظ اسم ابنتها جهرًا منذ سنوات، وشعرت بالخجل من نفسها.

"ديما. كان اسمها ديما. اسم غير معتاد، أعلم هذا. إنه يعني: الظلام".

اليوم الأخير

(1)

تقلبت هلدا في فراشها، غير راغبة في النهوض. دفنت رأسها في وسادتها، وحاولت أن تروح في النوم ثانية، لكن لا فائدة، لقد تأخر الوقت جدًّا على محاولة العودة إلى النوم مجددًا. في الأيام الخوالي، كان بإمكانها أن تعاود النوم لوقت إضافي، لكن، مع تقدم العمر، تناقصت قدرتها على ذلك.

لكنها، عندما نظرت إلى منبهها، اكتشفت لضيقها أنها تأخرت في النوم تمامًا كاليوم السابق، أو بمعنى أصح تأخرت جدًّا.

كانت في حاجة للاستفادة من كل دقيقة في يومها، لو كان لها أن تحكم الإمساك بخيوط التحقيق، لكن بمجرد نهوضها، شطر الصداع رأسها نصفين. رغم روعة السهرة مع بيتر، ما كان لها أن تشرب بهذا الإفراط، مضى وقت طويل على آخر مرة أفرطت فيها. في الطبيعي، تتناول زجاجة خمر واحدة مع الوجبات. ومع كل هذا، يجب ببساطة أن تتجاهل إحساسها بالدوار وتركز على القضية، رغم أن اهتمامها بها كان يذوي سريعًا. وبعيدًا عن الإحساس بالواجب نحو الفتاة الروسية الميتة، كان الشيء الوحيد الذي يدفعها الآن هو العناد المحض. إنها ببساطة لا تتحمل أن تدع ماجنس يفوز عليها. فبعدما ألحت عليه ليمنحها أربعًا وعشرين ساعة أخرى لاستكمال التحقيق، عليها أن تنهيها كأفضل ما يكون، قبل أن تكتب تقريرها هذا المساء وتودع جهاز

الشرطة إلى الأبد.

وفاجأها أن ما كانت تتطلع إليه حقًّا هو موعدها التالي مع بيتر. كانت تعد الساعات حتى يحين موعد عشاء الليلة في فندق هولت!

(2)

حاولت أن تنهض على قدميها فوق الثلوج الزلقة، لكن الكلام شيء، أما الفعل فشيء آخر، مع حقيبة الظهر الثقيلة التي تخل بتوازنها.

صاح بها: "انزلي".

أطاعته وانزلقت بقية المسافة إلى أسفل، وغبطت نفسها على حظها السعيد عندما وصلت إلى الأسفل بسلام.

قال: "أعطيني العصاوَيْن. سنضع النعل المعدني المخصص للسير في الثلوج، ويمكنك استعمال فأس الجليد الخاص بك".

وإذ أخذت عدتها هذه المرة، صعدت المنحدر ثانية، وقلبها يتواثب في صدرها.

كان التسلق أمرًا شاقًّا هذه المرة أيضًا، لكن بفضل النعل المعدني المثبت في حذائها ذي الرقبة الطويلة، استطاعت أن تبلي بلاء حسنًا مع الثلوج. وخطوة بخطوة، شقت طريقها إلى أعلى،

داعية ألا تذل قدمها ثانية، مثبتة بصرها على الأرض أمامها، وقد تملكها الفزع أن تتعثر وتسقط إلى الخلف في أكثر البقاع انحدارًا. راحت تخطو بشق الأنفس، خطوة وراء خطوة، إلى أن لاحظت أن تقدمها صار يتطلب جهدًا أقل، وأدركت أنها قد تجاوزت الأصعب، وبدا الطريق أمامها أيسر. تخبطت ركبتاها مع إحساسها بالراحة، وانهارت على الثلج منتظرة، وقد تملكها إحساس بالإنهاك نفسيًّا وبدنيًّا. كان الطريق شديد الانحدار، حتى إنها لم تتمكن من رؤية حتى ما إذا كان قد بدأ الصعود أم لا، أو إذا كان قد قطع مسافة صعودًا، لكنها خافت أن تناديه، تحسبًا لما ذكره، فيما يشبه المزاح، كما بدا لها، عن خطر حدوث انهيار جليدي. كيف بحق السماء سمحت له بأن يقنعها بهذا الجنون؟

(3)

مضى وقت طويل على موعد الإفطار، وعلى أي حال، لم تستسغ هلدا فكرة تناول الطعام. قررت بدلًا من هذا أن تتناول شيئًا خفيفًا، فانعطفت حول الزاوية ذاهبة إلى المتجر المحلي. كان الطقس غائمًا أكثر من أمس، وأظلمت السماء لوجود طبقة كثيفة من السحب الرمادية، وهبت الرياح بقوة في غير أوانها.

أيمكن حقًّا أن يكون الربيع قد أتى وانقضى خلال يوم واحد؟

كان للطقس تأثير مثبط على مزاج هلدا. في المعتاد، لم تكن

تسمح لمناخ أيسلندا المتقلب أن يؤثر عليها، لكنها وجدت نفسها تتمنى لو أن اليوم من بين كل الأيام، آخر يوم في حياتها القديمة، قد بدأ بداية جيدة.

طوال الليل، طاردتها أحلام عن ديما، وعلى الرغم من هذا فقد حظيت بنوم جيد لأول مرة. ورغم أن الأحلام كانت مفعمة بالحزن، لكنها على الأقل قد تخلصت من الكابوس المتكرر الذي غزا نومها منذ سنوات. ربما كانت مجرد صدفة، لكن الشكوك ساورتها أن الحديث عن ديما كان ذا عون لها، لا سيما في وجود مستمع جيد مثل بيتر. ربما يومًا ما تشعر بالقدرة على أن تفتح له قلبها وتحكي له كل شيء عن ابنتها، تحكي له حكايات عنها، تحكي له كيف كانت بنتًا لطيفة عزيزة.

جالت هلدا بلا هدف ذهابًا وإيابًا في ممرات المتجر، ولم تر شيئًا يغريها بالشراء، قبل أن تخرج أخيرًا بالسلعتين الوحيدتين اللتين جذبتا اهتمامها: زجاجة كولا وبسكوت "برنس بولو" بالشيكولاتة، الذي عاد بها إلى الماضي، وذكرها بالأيام التي كانت فيها أيسلندا تقايض السلع مع بلدان أوروبا الشرقية، الشيكولاتة البولندية مقابل السمك الأيسلندي. كم تغير العالم!

وبمجرد أن استجمعت نفسها، كانت أولى مهامها اليوم هي أن تقود سيارتها ذهابًا إلى شبه جزيرة ريكانيس، لتحاول أن تصطاد عصفورين، لو أمكن، بحجر واحد. كانت تحتاج إلى التحدث إلى الفتاة السورية، لو لم يكن الأوان قد فات. فبما أن

الفتاة قد قُبض عليها أمس، افترضت هلدا أنها احتجزت في حجز الشرطة بالمطار، رغم أن هناك احتمالاً كبيرًا أنه قد تم ترحيلها بالفعل، وأعيدت إلى وطنها على إحدى الرحلات النهارية، وهو ما سيعني أن هلدا قد فقدت فرصة استجوابها. بحق المسيح، لم لم تقُم بالترتيبات اللازمة لاستجوابها، أو على أقل تقدير ترسل إشعارًا هذا الصباح؟ كانت حقًّا تزداد إهمالًا في مواجهة تقاعدها الوشيك.

وعليها أن تتوقف عند النُّزُل في نياردفيك كذلك، لتري دورا الصورة التي التقطتها خلسة لبالدر ألبرتسن. لو لم تكن دورا هناك، يمكنها أن ترسل لها الصورة في أي وقت بالإيميل، لكنها فضلت أن تشهد أول رد فعل لها. ربما تكون الصورة ملتقطة في الظلام، لكن هلدا شعرت أن عليها في هذه المرحلة أن تبقى منفتحة على كل الاحتمالات.

وخطر لها أن عليها أيضًا أن تنتهز هذه الفرصة لتفحص الكهف الذي ماتت فيه إيلينا، أو على الأقل، الذي عُثر فيه على جثتها. فهناك احتمال قائم أن تكون قد لفظت آخر أنفاسها في مكان آخر.

كانت هلدا تجلس خلف عجلة القيادة متجهة إلى خارج المدينة، قبل أن يخطر لها فجأة أنها على الأرجح ليست في حال تسمح لها بالقيادة، بكل الكحول الذي لا بد أنه ما زال يسري في عروقها. لم يحدث منذ سنوات أن وجدت نفسها في هذا الموقف. وعند

التقاطع التالي، انعطفت في طريق العودة إلى البيت وطلبت سيارة أجرة.

ارتاحت عندما تمكنت من الاتكاء في مقعد السيارة الخلفي والاسترخاء لأول مرة بينما شخص آخر يتحمل عناء القيادة، خاصة أن سيارة الأجرة كانت من طراز جديد فخم، انطلقت في طريق ريكانيس ذي الحارتين بمنتهى النعومة والسرعة، يفصلها زمن عن سيارتها الخردة القديمة.

انسابت تيارات الحمم السوداء أمام عينيها، وبدت وكأنها تتدفق أمام زجاج السيارة، مهيبة ببساطتها الشديدة، وفي الوقت ذاته رتيبة كحقيقة دائبة. تذكرت أنها قرأت عن كيفية تشكلها، واستعادت أن بعضًا من الحمم يعود تاريخها إلى ما قبل تأسيس أيسلندا في القرن التاسع الميلادي، وأن بعضها قد نجم عن ثورات حديثة للبركان. وفوق سطح الأرض المنبسطة، راحت السحب تتثاقل وتسود كلما زاد ابتعادها عن ريكيافيك، إلى أن بدأت أولى قطرات المطر تتبدد على زجاج السيارة الأمامي.

كان لاجتماع الحمم والأمطار تأثير مهدئ على هلدا، التي تركت جفنيها يتثاقلان، ليس لتغفو، بل لتستجمع نفسها في مواجهة متطلبات اليوم. انسال تيار من الصور في عقلها، لكن إيلينا ما عادت تحتل مكان الصدارة، بل توارت خلف الهيئتين الواضحتين لديما، والآن لبيتر.

وجدت نفسها تركز على بيتر بأكثر مما توقعت، وكأنها قد تقبلت فجأة ما هو حتمي. نعم، لقد زحف الزمن عليها، ونال منها على حين غرة، لكن التغييرات التي جلبها أيضًا قد تكون إيجابية. ربما، بعد كل هذا، استحقت السعادة، استحقت أن تسهر في الأمسيات، تتبادل الكؤوس مع طبيب أنيق، دون ضمير مثقل. استحقت فرصة لأن تنسى الكابوس، ولو كل فترة. استحقت ألا يتوجب عليها تلقي الأوامر من رئيس لا نفع منه، وما كان يجب له أن يترقى ليعلوها أبدًا.

غارقة في تلك الأفكار، أومأت على الرغم منها، ونامت إلى أن أيقظها السائق بإعلانه أنهما اقتربا من وجهتهما. استغرقت دقيقة أو اثنتين لتفهم أين هي: إنها في مركز شرطة كيفلافيك.

أن تستغرق في النوم في وسط النهار كان أمرًا غريبًا عليها، أما أن تستغرق في النوم في سيارة أجرة فلا تعليق. لا بد أن هناك أمرًا ما في الأفق، فقد بدا كل شيء خارجًا عن أطواره. شعرت هلدا كنذير بأن أمرًا ما على وشك الحدوث، فقط هي لا تعلم ما هو!

(4)

خيم الظلام تمامًا الآن. بعد أن لحق بها أعلى المنحدر، سارا فوق سطح الأرض المستوي لفترة، قبل أن يتوقفا مدة وجيزة لتثبيت المصباحين اليدويين في رأسيهما. الآن يمكنها أن ترى بوضوح

أين كانت تضع قدميها، لكن كل ما يقع خارج دائرة الضوء الضيقة كان غارقًا في الظلام. عندما سألته عما إذا كانا قريبين من المكان الذي سيقضيان فيه الليلة، هز رأسه نافيًا وقال: "ما زال على مسافة كبيرة".

كان الثلج ناصعًا للغاية، يتلألأ في ضوء المصباح المعلق في رأسها، حتى بدا لها وطؤه بالأقدام وانتهاك عذريته نوعًا من تدنيس المقدسات. لم تجرب من قبل هذا الشعور القوي بالاتصال بالطبيعة. بدا الجليد وكأنه قد ألقى سحرًا غامضًا على جميع الموجودات المحيطة بهما. وإذ ركزت انتباهها على الجمال الأولي، بذلت أقصى ما تستطيع لتنسى تحفظاتها عن الرحلة.

وقبل مضي وقت طويل، أفضى السطح الجليدي الصلب إلى ممشى أعمق وأهش. توقفت لدقيقة، أطفأت مصباح رأسها وانتظرت أن تعتاد عيناها على الظلام. التمعت المعالم الباهتة للروابي والهضاب الثلجية حولهما، وأدركت فجأة بوضوح أكثر من أي وقت مضى أنها من دون مرشدها، ستضيع تمامًا، فليست لديها أدنى فكرة كيف تصل إلى الكوخ الذي يقصدانه، أو كيف تتقفى آثار خطواتهم إذا أرادت العودة إلى السيارة. فمن دونه، ستموت بالتأكيد هنا في العراء.

ارتجفت لهول الفكرة.

أشعلت مصباحها ثانية، وخفضت رأسها وراحت تتقفى أثر خطواته بإصرار. راحت الفجوة بينهما تتسع، فزادت من سرعتها،

محاولة اللحاق به. وإذ أسرعت، فقدت حرصها، وأدركت فجأة أن الأرض تتهاوى تحت قدميها. أحست بنفسها تغرق وسط الثلوج الهشة، وفزعت إذ سقطت داخل هوة، لن تستطيع أن تخرج منها أبدًا. اتضح أنها ليست بالعمق الذي تصورته، لكن إخراج نفسها من داخل الجرف بدا مستحيلًا، لا سيما وقد أثقلتها حقيبة الظهر. صاحت تناديه، في البداية بصوت مرتعش، ثم بصوت أعلى، إلى أن سمعها، ثم استدار راجعًا، وجاء لإنقاذها ورفعها ليخرجها من الهوة. استأنفت سيرها، متقفية أثر خطواته، منصتة من حين لآخر إلى صوت أزيز المياه تحت الثلوج، ومنحها صوت الخرير المحبب هدوءًا وسط صمت الجبال اللاآدمي.

وفجأة توقف، وأدار رأسه يمينًا ويسارًا، وكأنما يتأكد من امتداد السطح. كانت تستطيع فقط تمييز الهيئة المظلمة لجبل يقع على مبعدة منهما، بمنحدراته المليئة بالأخاديد، التي موهتها طبقة من اللون الأبيض.

أنصتت لصوت النهر، لكن خرير مياهه قد خفت. والآن، ما عاد هناك إلا السكون.

(5)

قال الجندي المكلف بالحراسة، الذي قدم لها نفسه باسم أوليفر: "يبدو أنك سعيدة الحظ". كان طويلًا، بلا رطل زائد من اللحم على جسده النحيل. "بل محظوظة جدًّا لأن الفتاة السورية

ما زالت هنا. اعتزمنا أن نركبها طائرة هذا الصباح، لكن محاميها قام بإحدى ألاعيبه. أنت تعرفين هذه الأمور".

سألت هلدا: "لكن محاميها ليس ألبرت ألبرتسن، غالبًا؟".

"ألبرت؟ لا، لا أعرفه. المحامي الذي يتولى قضية الفتاة السورية امرأة".

"ما اسمها؟".

"لا يمكنني أن أتذكر أسماء أي من هؤلاء المحامين".

"لا، قصدت طالبة اللجوء".

عبس أوليفر وقال: "اممم، ما كان اسمها؟... أمينة على ما أعتقد. نعم، أمينة".

"ولماذا ترحلونها؟".

"بعض المسؤولين أصدروا هذا القرار. ليس لي أي دخل به. أنا فقط مسؤول عن التأكد من ركوبها الطائرة".

"أيمكنني التحدث إليها؟".

هز أوليفر كتفيه: "لا أرى سببًا يمنعك من هذا. رغم أني لا أعرف إذا كانت ستوافق على مقابلتك. لا يمكنني أن أعدك بأي شيء. طبيعي أنها لم تعد تعتبر الشرطة الأيسلندية أصدقاء الآن. لماذا تريدين التحدث إليها؟".

لا بد أنه أصغر من هلدا بثلاثين عامًا، لكنه لم يراع أي فارق بينهما في الأقدمية لا بنبرة صوته ولا بأسلوبه في الحديث. هكذا الأمر دائمًا هذه الأيام، ورغم هذا، لم تتوقف هذه الطريقة أبدًا عن إزعاجها، الطريقة التي يتولى بها الجيل الأصغر زمام الأمور، التي يحولها بها إلى عمالة زائدة، وكأن خبرتها أصبحت لا تساوي شيئًا.

زفرت هلدا بقلة صبر، وقالت: "الأمر متعلق بقضية أحقق فيها.. طالبة لجوء وُجدت ميتة على شاطئ بالقرب من هنا".

أومأ أوليفر برأسه، وقال: "نعم، بقرب فليكافيك. أذكرها. لقد تم استدعائي أنا وزميلي إلى مسرح الجريمة عند العثور على الجثة. فتاة أجنبية، أليست كذلك؟ لم تتحمل فترة الانتظار".

"كانت روسية".

"آه، هكذا كانت".

سألت هلدا: "ماذا تتذكر عن مسرح الجريمة؟".

عبس أوليفر، وقال: "لا شيء على وجه الخصوص. كانت مجرد حادثة انتحار، كما تعرفين. كانت ممددة هناك في المياه الضحلة، واضح عليها أنها ميتة. لم يكن هناك ما نفعله. لماذا تحققين في هذا الأمر؟".

قاومت رغبتها في أن تطلب منه أن يهتم بشؤونه فقط:

"معلومات جديدة. لست في حل للخوض في التفاصيل". ثم مالت نحوه، وهمست وكأنها تسر له بأمر خطير: "الأمر كله معقد على نحو ما".

لم يفعل إلا أن هز كتفيه ثانية. كان من الواضح أن اهتمامه بالقضية لم يزدد كثيرًا، وشعرت هلدا كذلك بغريزتها أن لديه إيمانًا ضعيفًا بقدرة عجوز مثلها على إجراء تحقيق شرطي.

قال وكأنه يخاطب طفلًا شقيًّا: "حسنًا، سأدعك تتحدثين معها، طالما أنك تصرين على هذا".

كان على هلدا أن ترد له الصاع صاعين.

أكمل كلامه: "لكن كلا غرفتي التحقيق لدينا مشغولتان. أتمانعين في التحدث إليها في زنزانتها؟".

وهنا، توقفت هلدا ساكنة. كانت على وشك أن تشكره بأدب وتغادر المكان كله، ثم تتخلى عن هذا الجزء من التحقيق، عندما خطرت لها فكرة أفضل: "حسنًا، لا بأس، أعتقد أن هذا يفي بالغرض". لا بد أن تحاول إنجاز شيء ذي بال، خلال الساعات القليلة المتبقية لها في الشرطة.

"سأعود حالًا".

واختفى، ثم عاد على الفور.

"تعالي معي".

قادها إلى زنزانة، وفتح الباب، ثم أغلقه ثانية خلفها. سرت رجفة في أوصال هلدا عندما حبست. وهي طفلة كانت كلما ارتكبت خطأ، ترسلها جدتها إلى الخزانة لتفكر في خطئها. وكانت الخزانة مظلمة ومخيفة، ولجعل الوضع أسوأ، كانت جدتها دومًا توصد الباب عليها. ولم تجرؤ أم هلدا أو حتى جدها على الدفاع عنها ومعافاتها من العقاب في خزانة الأشقياء. ربما ظنوا أن الأمر لم يكن بهذا السوء، لكن بالنسبة لهلدا، كان هذا نوعًا من التعذيب، جعلها تقضي طوال حياتها بخوف مرضي من الحبس في الأماكن الضيقة المغلقة. وكمحاولة لإلهاء نفسها الآن، حاولت البحث عن شيء إيجابي تركز عليه: سهرة الليلة مع بيتر، هذا يكفي. قالت لنفسها إن عليها أن تكون قوية، لصالحها ولصالح إيلينا.

كانت الفتاة السورية ذات جسد نحيل شاحب، منثن في بؤس.

"مرحبًا، اسمي هلدا". لم تبد الفتاة أي رد فعل، رغم أن هلدا قد تحدثت بالإنجليزية. كانت تجلس على الفراش المثبت في الحائط. لم يكن هناك مقعد في الزنزانة، وإذ خمنت أنه ليس من الحكمة أن تجلس بجانبها في هذه المرحلة، ظلت هلدا واقفة بجوار الباب، حفاظًا على مساحتها الشخصية.

كررت كلامها ببطء ووضوح: "هلدا. وأنت اسمك أمينة، أليس كذلك؟".

رفعت الفتاة رأسها ونظرت إليها، والتقت عيناها بعيني هلدا لوهلة، قبل أن تخفض بصرها إلى الأرض ثانية، وقد عقدت ذراعيها حول صدرها في وضع يعني محاولة حمايتها لنفسها. كانت صغيرة جدًّا، لم تبلغ الثلاثين بعد، ربما قريبة من الخامسة والعشرين، وبدا عليها القلق، وربما الخوف أيضًا.

أكملت هلدا: "أنا من الشرطة".

وفي اللحظة التي بدأت تتساءل فيها عن صحة المعلومة التي أبلغها بها أوليفر عن إجادة الفتاة الشابة للإنجليزية، ردت أمينة بغلظة: "أعرف".

"أحتاج إلى أن أتحدث معك، فقط لأسألك بعض الأسئلة".

"لا".

"لم لا؟".

"لأنكم تريدون ترحيلي من البلاد".

قالت لها هلدا مؤكدة، مع إبقاء نبرتها بطيئة ودودة: "ليس لي دخل بهذا الأمر. أنا أحقق في قضية، وأعتقد أنه يمكنك مساعدتي".

انفجرت أمينة في هلدا، وبدا من الواضح أنها تغلي بغضب عاجز: "أنت تخدعينني. أنت تريدين إعادتي إلى بلادي".

عادت هلدا تقول مؤكدة: "لا، ليس للأمر علاقة بك. إنه يخص الفتاة الروسية التي ماتت. كان اسمها إيلينا".

هنا، دبت في أمينة الحياة فجأة. هتفت: "إيلينا؟" ثم أضافت في حدة: "كنت أعرف. أخيرًا".

"ماذا تقصدين؟".

"عندما ماتت، كان شيء خطأ. أخبرت ضابط الشرطة".

"ضابط الشرطة؟ أكان رجلًا؟ أكان اسمه أليكساندر؟".

قالت أمينة: "رجل، نعم. لم يهتم". ورغم أن إنجليزيتها كانت عرجاء، فقد استطاعت توصيل رسالتها بكل وضوح.

مرة ثانية، لعنت هلدا أليكساندر في سرها لعجزه وتحيزه. ماذا "نسي" أيضًا أن يدونه في تقريره؟ كان من المفترض أن القضية قد حُسمت، لكنها شعرت وكأنها تتخبط في الظلام.

"لماذا اعتقدت أن هناك أمرًا غريبًا يتعلق بموتها؟".

"أخذت تصريحًا بالبقاء. تبقى في أيسلندا. أخذت نعم". راحت الفتاة السورية تؤكد.

أومأت هلدا برأسها لتبين لها أنها تفهمها.

أكملت الفتاة: "لا أحد يأخذ نعم ويفعل هذا. يقفز في البحر. كانت سعيدة جدًّا، تجلس تحت، في الاستقبال، تتكلم طوال

المساء في التليفون. سعيدة جدًّا. كنا جميعًا سعداء جدًّا. كانت بنتًا طيبة. قلبها طيب. أمينة. حياتها صعبة في روسيا. لكن... ثاني يوم كانت ميتة. ببساطة هكذا".

أومأت هلدا برأسها، بينما أخذت الأوصاف التي ذكرتها أمينة بنوع من الشك، شكت في أن هذه الصورة الوردية لإيلينا قد تأثرت نوعًا ما بالصداقة بينهما، وبإحساس الفتاة السورية نحوها لحصولها على اللجوء.

كان المكان المغلق قد بدأ يضايق هلدا، وأثر على قدرتها على التركيز. بدأت تتعرق حتى ابتلت يداها، وراح قلبها يخفق بسرعة غير طبيعية. كان عليها أن تصل إلى نهاية هذا الحوار بسرعة وتخرج من هنا. سألت: "أمن الممكن أنها قد جُلبت إلى أيسلندا للعمل في الدعارة؟".

بدا أن السؤال قد فاجأ أمينة تمامًا: "ماذا؟ دعارة؟ إيلينا؟ لا. لا، لا، لا. مستحيل". بدت وكأنها تلتمس الكلمات، تلتمس طريقة تدحض بها بذرة الشك الضئيلة التي بذرها سؤال هلدا في عقلها. "لا، لا، أنا متأكدة, إيلينا لم تكن عاهرة".

"لقد شوهد رجل يلتقطها في سيارته. كان قصيرًا وسمينًا، يقود سيارة رباعية الدفع.. سيارة كبيرة. ظننت أنه ربما كان زبونا..".

"لا، لا. ربما محاميها. هو يقود سيارة كبيرة". فكرت أمينة

لوهلة، ثم استدركت: "لكنه ليس سمينًا. لا أذكر اسمه. هو ليس محاميّ، محاميّ امرأة".

"ألديك أي فكرة عمن يمكن أن يكون الرجل قائد السيارة الكبيرة؟ أيمكن أن يكون شخصًا كانت تعرفه إيلينا؟".

هزت أمينة رأسها وقالت: "لا، لا أعتقد هذا".

قررت هلدا أن تنهي حديثهما. كان رهاب الأماكن المغلقة الذي تعانيه قد وصل إلى مرحلة صعبة، وقد غرقت في العرق، وأُنهكت نفسيًّا. لكن قبل أن تنطق بكلمة أخرى، أحبطتها أمينة بقولها: "اسمعي، لا بد أن تساعديني، أنا أساعدك. لا يمكن أن أعود إلى بلدي. لا يمكن!" اليأس الخام في صوتها دفع موجة من التعاطف الغريزي بداخل هلدا.

"حسنًا، لا أعتقد... لكن سأبلغ ضابط الشرطة المسؤول عن نوبة الحراسة، حسنًا؟".

"اطلبي منه أن يساعدني. قولي له أنا أساعدك. من فضلك".

أومأت هلدا برأسها ثانية، ثم سألتها مغيرة الموضوع: "ألديك أي فكرة عما حدث فعلًا لإيلينا؟ هل عند أي شخص سبب كي يقتلها؟ لو الإجابة: نعم، فمن هو؟".

ردت أمينة فورًا: "لا، لا فكرة. هي لا تعرف إلا هذا المحامي. ليس لها أعداء. بنت طيبة جدًّا".

"فهمت. حسنًا، شكرًا لأنك تحدثتِ إلي. أتمنى أن تُحل مشكلتك. كان من المفيد أن ألتقي شخصًا كان يعرف إيلينا. ما وقع لها أمر محزن جدًّا. أكنتما صديقتين مقربتين؟ أعز صديقتين؟".

هزت أمينة رأسها نفيًا، وقالت: "أعز صديقتين؟ لا، كنا صديقتين جيدتين. أعز صديقة لها كانت كاتيا".

"كاتيا؟".

"نعم، روسية أيضًا".

فوجئت هلدا، حتى إنها نسيت مؤقتا إحساسها بالاختناق: "روسية؟ أكانت هناك فتاتان روسيتان؟".

"نعم. جاءتا هنا معًا. كاتيا وإيلينا".

يا للجحيم، هكذا فكرت هلدا: على الأرجح أن كاتيا قد غادرت البلاد منذ أشهر، وهو أمر محبط، إذ كانت هلدا تود قطعًا أن تتحدث إليها. كانت تحتاج إلى أن تقترب أكثر من الضحية، وأن تفهم على نحو أفضل ما كان يدور في عقلها، بمن ارتبطت، هل كانت تخاف من أحد، وما إذا كانت حقًّا قد جلبت للعمل في الدعارة.

"أتعرفين أين كاتيا؟ هل حصلت هي أيضًا على تصريح بالبقاء؟" هكذا سألت، وهي تفترض أن الإجابة ستكون: لا.

"لا أعرف. ما من أحد يعرف".

"ماذا تقصدين؟" شعرت هلدا أن قلبها يدق أسرع، لكن الدافع الآن هو الحماس وليس الرهاب.

"اختفت".

"اختفت؟ ماذا تقصدين؟".

"نعم، اختفت، أو هربت. ربما هي مختبئة. أو رحلت عن البلاد. لا أعرف".

"متى حدث هذا؟".

عقدت الفتاة حاجبيها، وقالت: "قبل موت إيلينا. قبلها بعدة أسابيع. ربما بشهر. لست متأكدة".

"ألم تقلقي؟ كيف تصرفت الشرطة؟".

"نعم... نعم بالتأكيد. لكنها ببساطة هربت. كان علي أن أفعل مثلها... وهي لم يجدها أحد، على ما أعتقد".

"وماذا عن إيلينا؟ كيف كان رد فعلها على هذه الأخبار؟ أنت تقولين أنهما كانتا صديقتين مقربتين".

"حسنًا... في البداية هي غاضبة. اعتقدت أن كاتيا غبية. اعتقدت أنهما الاثنتان ستحصلان على تصريح البقاء. لكن بعدها..". ارتسم على وجه أمينة تعبير يوحي بالخطورة، وأكملت: "بعدها شعرت بالقلق، القلق الشديد".

سألت هلدا، وهي لا تتوقع إجابة مفيدة: "أكان هناك أي تفسير لاختفائها؟".

هزت أمينة رأسها نفيًا، وقالت: "فقط ذهبت، لم ترد أن يطلب منها أحد مغادرة البلاد. الناس هنا..". راحت تبحث عن الكلمة "يائسون. نعم، كلنا يائسون".

"ما كان شكل كاتيا؟".

"لطيفة. ودودة. جميلة جدًّا".

"أمن الممكن أن تكون هي، لا إيلينا، التي كانت تعمل كعاهرة؟".

"لا. لا، لا أصدق هذا".

"فهمت". كانت هلدا قد أُنهكت تمامًا خلال هذه المقابلة، لكن الآن استولى عليها إحساس الرهاب في الأماكن المغلقة بقبضة من حديد.

شكرت أمينة كثيرًا على مساعدتها، ثم طرقت على الباب وانتظرت، وقد تملكتها العصبية، متعجلة أن يفتح لها أوليفر ويدعها تخرج.

قالت أمينة، كاسرة حاجز الصمت: "أنت تذكرين، سوف تساعدينني".

أومأت هلدا برأسها وقالت: "سأفعل كل ما بوسعي".

وفي هذه اللحظة انفتح الباب.

سألها أوليفر، دون اكتراث حقيقي: "حصلت على ما أردت؟".

علا صوت هلدا وهي تقول: "نحتاج -أنا وأنت- إلى أن نتحدث معًا. الآن". بلهجة الضابط الكبير إذ يخاطب من هم أدنى منه رتبة.

واختلست نظرة خلفها قبل أن يغلق أوليفر الزنزانة ثانية، ورأت وجه الفتاة السورية للحظة داخل إطار باب الزنزانة، صورة مجسدة للبؤس.

(6)

انبثق النهر إلى السطح الآن، وأخذا يسيران على امتداد ضفتيه وسط واد ضيق تحاوطه الجبال.

قال فجأة، مشيرًا إلى الظلام: "انظري، ها هو الكوخ".

ضيقت عينيها في الاتجاه الذي كان يشير إليه، وحدقت خلال سطوع الثلج الخفيف، لكن فقط عندما اقتربا أكثر، استطاعت تمييز النقطة السوداء الدقيقة، التي بدأت تكبر تدريجيًّا إلى أن اتخذت هيئة ما وسط خلفية من الثلوج البيضاء، تكشفت عن سقف منصوب فوق جدران خشبية داكنة، كوخ صغير جدًّا، بعيد تمامًا عن مظاهر الحضارة.

عندما بلغاه، وجدا النوافذ والباب مغطاة جميعها بالثلوج. راح يكشط الثلوج بعيدًا عن الباب، لكن اتضح أنها قد تجمدت وأوصدته تمامًا، ولم ينفتح إلا بعد جهد متواصل. وبمجرد دخولهما، خلعت حقيبة ظهرها، وشعرت بالارتياح لتخلصها من عبء جر هذا الوزن. كان الظلام حالكًا، لكن شعاع الضوء القادم من مصباحي رأسيهما أضاء الداخل حيثما سقط، كاشفًا عن أسرة فوقها فرش معدة لنوم أربعة أفراد، وربما أكثر. ألقت بنفسها فوق واحدة من الحشيات الهزيلة لتلتقط أنفاسها.

كان الكوخ بدائيًا لأقصى درجة. لم يحتو إلا على منضدة صغيرة، وبضعة مقاعد، والأسرة. يفترض أن الفكرة منه هي توفير ملاذ أساسي للمسافرين، طريقة للبقاء على قيد الحياة وسط برية أيسلندا، ولا يفترض فيها توفير أي قدر من الراحة.

ناولها الزجاجة الفارغة وقال لها: "أيمكنك أن تجلبي لنا بعض المياه؟".

"مياه؟".

"أجل. اذهبي إلى النهر".

رغم شعورها بالرعب لمجرد التفكير في اضطراها للعودة إلى الخارج، في الليل، وحيدة هذه المرة، إلا أنها أطاعت، وخرجت مسلحة فقط بمصباح الرأس. كان الكوخ قائمًا على منحدر، والطريق المفضي إلى النهر الصغير كان مائلًا. شقت طريقها إلى أسفل، تخطو خطوات صغيرة، إذ كانت الأرض زلقة لا أمان لها،

وما عادت هي ترتدي النعل المعدني المخصص للسير على الثلوج، فقد خلعاه بمجرد تجاوزهما للجزء الأشد وعورة من الطريق. كان آخر ما تريده هو أن تزل قدمها وتنزلق على المنحدر، وتستقر وسط الثلوج الباردة الرطبة في الأسفل.

وإذ وصلت بأمان إلى ضفة النهر، غمرت الزجاجة في الماء المثلج وانتظرت حتى تمتلئ، ثم تلكأت دقيقة لتختلس أول شربة. كانت المياه عذبة نقية، وقارصة البرودة، قادمة توًّا من النهر الجليدي، منعشة على نحو مدهش بعد سيرهما الطويل.

وإذ عادت إلى داخل الكوخ ثانية، خلعت معطفها، وكانت لا تزال متعرقة بسبب صعودها المنحدر عائدة من النهر. كان رفيقها مشغولًا بإشعال الشموع، فقد شرح لها أنه لا توجد في الكوخ كهرباء ولا ماء ساخن. ساعدته، وسرعان ما كان هناك عشر شعلات صغيرة تتراقص في محاولة لتبديد الظلمة، إلا أنها لم تمنحهما الكثير من الدفء.

قال: "عليك أن تعيدي ارتداء معطفك، وإلا سرعان ما ستبدئين في الشعور بالبرد. الحرارة هنا بالداخل مثلما هي بالخارج".

أومأت برأسها لكنها لم تطعه على الفور. لا تحتمل أن تعيد ارتداء ذلك المعطف الثقيل للغاية ثانية، ليس الآن.

أخرج موقدًا أطلق عليه "سبريت بريموس" بالأيسلندية، وقال إنه لا يعرف كيف يترجم اسمه، وأشعله ثم سخن عليه بعض البقول المطهوة. التهمت طبقها بنهم. كان لذيذًا مع الماء البارد

الآتي من النهر، وقد جعل جوفها يشع بالدفء، لكن تأثيره لم يدم طويلًا. وشيئًا فشيئًا، بدأ البرد يزحف على عظامها مع انعدام النشاط. كان جلوسهما في هذا الكهف غير المكيف تمامًا كجلوسهما بالخارج وسط الثلوج.

وعندما ارتدت معطفها ثانية كان الأوان قد فات، فقد أنشب البرد حقًّا مخالبه فيها. راحت أسنانها تصطك، وأخذت تتحرك جيئة وذهابًا، محاولة بذل كل ما بوسعها لإعادة سريان دورتها الدموية في أصابع يديها وقدميها.

قال: "سأغلي من أجلك بعض الماء. أتحبين أن تشربي شايًا؟".

أومأت برأسها.

بعثت كل رشفة من الشاي بتيار ضئيل من الدفء في جسدها المتجمد، لكن سرعان ما أخذت الرجفة تستولي عليها من جديد.

وفجأة، نهض ومد يده إلى حقيبة ظهره.

بدأ يقول مترددًا، وكأنه محرج تقريبًا: "أحضرت... أحضرت شيئًا لك".

لم تعرف بالضبط كيف ترد. كان صوته ودودًا، ليس ثمة ما تخاف منه، هكذا شعرت. هل أحضر لها هدية؟ لماذا؟ ليس لديها أي شيء من أجله.

فتح حقيبة الظهر وبدأ ينبش بها، باحثًا عن شيء ما، تقريبًا بجنون.

“آسف... إنها هنا في مكان ما... آسف“.

انتظرت، وقد انتابها القلق.

وأخيرًا، قدم لها علبة صغيرة، مغلفة فيما بدا في الظلمة كورق تغليف ذهبي.

قال متلجلجًا: “تفضلي، هي لك. إنها فقط شيء صغير من أجلك، ليست بالشيء الكثير“.

أرادت أن تسأله: “لماذا؟“ لكنها لم تفعل.

همست: “أشكرك“. وقبلت العلبة، وراحت تفضها بارتباك، بأصابعها الباردة. بداخلها كانت علبة صغيرة سوداء، من الواضح أنها جاءت من محل مجوهرات.

سألت: “هل أفتحها؟“ وتمنت أن تكون الإجابة هي: لا.

“نعم، هيا افتحيها“.

بالداخل، رأت حلقًا وخاتمًا صغيرًا.

ما الذي يفترض أن يعنيه هذا بحق السماء؟

لم تقل شيئًا، فقط راحت تحدق في الهديتين. تمنت ألا يكون هذا خاتم خطوبة أو أي شيء من هذا القبيل. لكن لا، بالطبع لا يمكن أن يكون كذلك...

نظرت إلى أعلى. كان يراقبها.

"آسف، إنها مجرد أشياء رأيتها في المركز التجاري، عندما كنت أشتري لوازم الرحلة. فكرت أنك ربما تحتاجين إلى شيء لطيف. يمكنك أن تعيديهما إلى المحل لو أردت، وتستبدليهما بشيء آخر، أسورة، حذاء، أي شيء... كما تعلمين".

ردت: "شكرًا". ثم ساد بينهما صمت حرج.

قال بسرعة مغيرًا الموضوع: "سنشق طريقنا في وقت مبكر غدًا صباحًا، فالأفضل أن نحظى ليلًا بنوم طويل".

(7)

قال أوليفر، مانحًا هلدا ابتسامة ظاهرها المودة وباطنها الاحتقار: "أتمنى أن تكوني عرفت شيئًا مفيدًا. لو لم يكن هناك شيء آخر، عندي عمل آخر أحتاج إلى القيام به".

متجاهلة تلميحه، سألته هلدا: "أتعرف أي شيء عن الفتاة الروسية التي اختفت من نُزُل طالبي اللجوء في العام الماضي؟".

"اختفت؟ حسنًا... نعم، على ذكرها، أتذكر أننا أرسلنا التماسًا بطلب معلومات عن شخص مختفٍ من نُزُل طالبي اللجوء. فتاة. لكنني لا أذكر من أين جاءت".

"أيمكنك أن تستخرجه؟".

أدار أوليفر عينيه في محجريهما، وقال: "نعم، أظن هذا.

أعطيني رقم هاتفك، وعندما أجد المذكرة، سأبلغك". ومنحها نفس الابتسامة المزعجة المنطوية على الاحتقار.

زعقت هلدا بنبرة سلطوية حادة، حتى إنه قفز من مكانه: "أيمكنك أن تجده الآن؟".

"الآن؟ آآ، حسنًا، أعتقد..".

جلس أمام الحاسوب، مظهرًا التحلي بالصبر.

وبعد قليل من النقر والتكتكة، هتف: "نعم، كانت روسية".

سألت هلدا: "كاتيا؟".

حملق في الشاشة، وقال: "نعم، هذا صحيح".

"وماذا حدث؟".

رد بتوتر: "أعطيني فرصة لأقرأ المكتوب".

زفرت هلدا.

وأخيرًا، قال مؤكدًا المعلومة: "نعم، يبدو أننا فقدناها".

رددت هلدا، وقد أغاظها اختياره للكلمات: "فقدتموها؟".

"نعم، لم تعد إلى النزل أبدًا. لكن هذا لا يحدث كثيرًا. أحيانًا يحدث هذا بطريق الخطأ، وأحيانًا يهربون، ناسين أننا نعيش على جزيرة. إنهم دائمًا يظهرون ثانية". وبعد لحظة، قال مستطردًا:

"عادة ما يظهرون".

"لكنها لم تظهر؟".

"لا، في الواقع. ليس بعد على أي حال. لكننا سنجدها".

"لقد مر أكثر من عام. أما زلت متفائلًا بخصوص هذا الأمر؟".

"حسنًا، لم أكن أنا من يتابع القضية، لذا، لا أعرف".

سألت هلدا بنفاد صبر: "ومن إذًا يفترض أنه يتابع القضية؟".

هز أوليفر رأسه، وقال: "لا يبدو أن أحدًا يتابعها، ليس بشكل مباشر. الملف ما زال مفتوحًا. أكيد ستظهر في النهاية".

أومأت هلدا برأسها قائلة: "فهمت".

قال مقترحًا، بادي التفاؤل: "ربما تكون قد غادرت البلاد. عن طريق البحر. من يدري؟ وهذا سيحل المشكلة، إذا جاز التعبير". وابتسم ابتسامة عريضة.

"هل بحثوا عنها؟".

"ليس بطريقة منظمة، بحسب ما رأيت. لقد سألنا في الأنحاء، لكن لم نجد أي أدلة حقيقية".

"لا تقل لي.. ألم يكلف أحد نفسه عناء البحث عنها؛ لأنه كانت هناك أمورًا أكثر أهمية يجب القيام بها؟".

رد أوليفر: "يمكنك أن تقولي هذا". ولم يبد عليه أي خجل. لكن، لكي نكون منصفين، فقد بدأ على الأقل يأخذها بجدية. ربما كانت قاسية على نحو ما مع أوليفر، لم تكن عادة بهذه الوقاحة، لكن اليومين الأخيرين كانا مرهقين جدًّا.

"لا يمكنك أن توصلني، أم يمكنك؟" هكذا سألته بطريقة أكثر تهذيبًا من طريقتها السابقة. كانت لا تزال متعبة وواعية بالدوار الذي يكتنف رأسها.

"إلى أين؟".

"إلى الكهف الذي عُثر فيه على جثة إيلينا. ما اسم المكان؟ فليكافيك؟".

بدا أوليفر وكأنه على وشك أن يرفض، لكنها دعمت طلبها المهذب بنظرة متجهمة شرسة، لتوضح له أنها لن تقبل أن يجيب: لا. وفي النهاية، وافق ممتعضًا، قال: "حسنًا، لنتحرك إذًا".

(8)

تسلق صاعدًا إلى السرير الذي يعلو سريرها مباشرة. ورغم أن قربه بهذا الشكل جعلها غير مرتاحة أبدا، فما كان أمامها أن تفعل شيئًا حيال ذلك.

وضعت واحدة من الشموع على المقعد المجاور للفراش

لتمنحها بعض الضوء. وكان مصباحا رأسيهما موضوعين على المنضدة، حيث وضعهما بعدما أطفأهما، مصرًّا على أنهما يجب أن يحافظا على البطاريات. كافحت لتدخل في كيس النوم الخاص بها، ولم تكن مهمة سهلة، مع التفافها بكل تلك الملابس الثقيلة من كنزة سميكة وملابس داخلية من الصوف، وتلوّت دافعة نفسها إلى الداخل لأبعد مسافة استطاعتها. وبعدها، نفخت الشمعة فأطفأتها، فخيم الظلام، ولم تشعر بالراحة إلا بعد دقيقة، فقط عندما رأت الإطار الرمادي للنافذتين.

يا إلهي، شعرت ببرد شديد، برد رهيب. بدت القشعريرة وكأنما امتدت لتشمل جسدها بالكامل. حاولت أن تغلق عنق كيس النوم، وأن تحكمه حولها كيلا تهرب الحرارة، وأخيرًا لجأت إلى دس رأسها بداخله أيضًا، وأغلقت الفتحة، حتى لم يبق إلا ثقب ضئيل لأنفها وفمها. وحتى حينها لم تشعر بالدفء.

كان من الطبيعي أن تروح في النوم سريعًا، لكن ليس هنا، في تلك الأصقاع الغريبة. رقدت منتظرة أن يأتيها النوم، محاولة، بلا جدوى، أن تتغلب على إحساسها بالاختناق.

(9)

بعد عشر دقائق من مغادرة كيفلافيك، أخذا المنعطف المتجه إلى فاسليسوسترند.

قال أوليفر وهو يزفر: "خمس دقائق فقط بعيدًا على امتداد

الشاطئ، وبعدها، عليك أن تمشي مسافة نحو البحر، لو أن المشي لن يتعبك".

قالت هلدا، وكأن ما تقوله بديهي تمامًا: "تقصد علينا أن نمشي. ستأتي معي لتريني الموقع بالضبط".

هنا، منحها أوليفر إيماءة تدل على استسلامه.

سار بحذو طريق بدا أنه يتجه إلى أسفل نحو الشاطئ. كان الطريق مغلقًا بكومة من الصخور.

أعلنها: "هنا آخر مكان نستطيع أن نسير فيه بالسيارة، لا يوجد طريق سالك بعد الحاجز".

كان الكهف أبعد كثيرًا مما توقعت هلدا، وكان الطقس سيئًا أيضًا. هل حقًّا ستحمل نفسها كل هذه المشقة؟

سألت بريبة: "كم من الوقت سنستغرق في السير حتى نصل؟".

نظر إليها أوليفر وكأنه يحسب أمرًا ما، ووشت تعبيراته بما يفكر فيه: ما السرعة التي يُتوقع من امرأة عجوز مثلها أن تتحرك بها؟

قال مخمنًا: "ربع ساعة ذهابًا وإيابًا، في هذه الحدود". ثم نظر سريعًا إلى ساعته، وأضاف: "انظري، حقًّا ليس عندي وقت لهذا، وعلى أي حال، لن تجدي هناك بالأسفل أي شيء يمكن رؤيته".

كان رد فعله هذا هو ما حسم رأيها. كان يزعجها كثيرًا، ولكن للإنصاف، ربما يعود هذا بدرجة ما إلى إحساسها بالدوار، فقررت أنه لا بأس في أن تجرجره وراءها طوال المسافة إلى البحر.

قالت بنشاط: "علينا فقط أن نبذل أقصى طاقتنا". وخرجت من السيارة وشرعت في السير على الطريق المتجه إلى أسفل. نظرة سريعة للوراء جعلتها تدرك أن أوليفر يتبعها، وإن كان ممانعًا. كان الرذاذ الخفيف ما زال يتساقط، وأخذت الريح تهب بقوة هنا بجوار الساحل، لكنها وجدت لهما تأثيرًا منعشًا. بشيء من الحظ، يمكن لهما أن يدفعا عن رأسها إحساس التشوش، وبقية الصداع. قربها من البحر حسن مزاجها أيضًا، يمكنها أن تشعر بزوال توترها مع كل خطوة تخطوها. مشيا مخترقين الطريق الصخري الوعر، برأسين منخفضين في مواجهة الرياح، يحيطهما من كلا الجانبين حقول الحمم التي افترشتها الطحالب، التي تمتعت بنوع خاص من الجمال النائي. وعدا الطائر الوحيد الذي حلق فوق رأسيهما، كانت هي وأوليفر الجسمين المتحركين الوحيدين في المشهد بأكمله. لا يمكنك أن تتخيل أبدًا وجود مزارع ليس على مسافة بعيدة، إذ كانت هذه المنطقة بعيدة بما يكفي عن الطريق، ولهذا يمكنك أن تجد نفسك بها معزولًا تمامًا. ومع سيرها، تساءلت هلدا عما كانت تفعله إيلينا في مثل هذه البقعة المعزولة: هل جاءت إلى هنا بناء على رغبتها هي وماتت لحادث وقع لها مصادفة؟ هل أنهت حياتها بنفسها، أم أن شخصًا مجهولًا أغراها بالمجيء وقتلها؟

سألت هلدا، رافعة صوتها ليسمع وسط هبوب الريح: "لم تأت بالسيارة هنا، أليس كذلك؟".

قال أوليفر زاعقًا: "ماذا؟ لا". وقد عبرت كتفاه المنحنيتان وملامحه الممتعضة بأبلغ تعبير عن أن لديه أمورًا عليه أن يقوم بها أهم من السير إلى الشاطئ مع امرأة عجوز من إدارة البحث الجنائي في ريكيافيك.

لا بد أن المسافة تزيد على عشرين كيلومترًا من النُّزُل في نياردفيك، تأملت هلدا: لا يمكن أن تعتبر هذه المسافة مجرد تمشية. من هذه الناحية، كما من نواح أخرى، كان تقرير أليكساندر ناقصًا، فشل في أن يحدد بدقة مكان العثور على الجثة. لا بد أن أحدًا قام بتوصيل إيلينا.. هذا يتفق مع العقل. وبالتأكيد، كان أمرًا له مغزى أن الامتداد الأخير المتجه لأسفل نحو الشاطئ لا يمكن قطعه بسيارة، ومع هذا، فقد أغفل أليكساندر هذه التفصيلة أيضًا.

سألت هلدا: "هل أغلق هذا الطريق أمام مرور السيارات مؤخرًا؟".

"لا، حدث هذا منذ زمن طويل. ما من أحد يعيش هنا الآن. وما من شيء خارج هذا الطريق إلا بنايتين مهجورتين".

"ومن غير المرجح أن يكون شخص قد جر الجثة ونزل بها من هذا الطريق إلى الشاطئ؟".

"هل أنت مجنونة؟ لا بد أنها ماتت في الكهف. ولو سألتني عن رأيي، كان الأمر إما حادثًا غير مقصود أو انتحارًا. أنت تضيعين وقتك في محاولة لفك لغز جريمة لم تُرتكب على الإطلاق". وأضاف بحدة: "هناك ما يكفي وأكثر من القضايا العاجلة التي تستحق اهتمامك".

كان المشهد قاتمًا عدائيًّا، ليس ثمة إلا النبات الجاف المتناثر هنا وهناك، وشجرة وحيدة جرداء.

لم يستغرقا وقتًا طويلًا ليصلا إلى البنايتين، اللتين كانتا حقًّا مهجورتين. إحداهما كانت بيتًا ذا طابقين، لم يكن سوى قشرة فارغة من الداخل، سقفه المزدوج المائل لا يزال سليمًا، أما قرميده الأسمنتي الرمادي الذي يشكل جدرانه فقد تقشر بسبب عوامل الجو، وانخلعت أبوابه ونوافذه مخلفة وراءها تجاويف فارغة، يمكنك أن تنظر من خلالها وترى ما بالداخل. أما البيت الآخر فكان أصغر حجمًا، يتكون من طابق واحد، بسقف أحمر ودهان أبيض متقشر على جدرانه. وما إن اقتربا منهما، حتى توقفت هلدا لتحصي الموجودات حولهما، ولاحظت أنهما لا يطلان على أي مكان يقطنه البشر. حتى سيارة الشرطة المركونة على الطريق بالأعلى كانت خارج نطاق الرؤية. لقد صارت الآن مقتنعة أكثر من السابق أن إيلينا قُتلت في هذه البقعة النائية، بلا شهود. ترى ما الذي كنت تفعلينه هنا يا إيلينا؟ ومع من كنت؟ هكذا ساءلت نفسها.

وطالما أن المكان منعزل عدائي في شهر مايو، فكيف كان عندما أتت إليه إيلينا في شتائه المميت. ما الذي كان يدور في عقلها؟ أكان لديها أي فكرة عما كان على وشك أن يقع لها؟ من المهم تذكر أنها كانت قد علمت للتو أنها سيُسمح لها بالبقاء في أيسلندا. لا بد أنها كانت محلقة في السماء، وربما جعلها هذا طائشة أكثر من المعتاد، فلم تدرك خطورة من يرافقها حتى...

قال أوليفر، مقاطعًا تيار أفكارها: "كانت محض صدفة أن عثر على الجثة بهذه السرعة. لا يأتي هنا كثير من الناس، خاصة في الشتاء، لكن مجموعة من ممارسي رياضة المشي عثروا عليها. لقد اتصلوا بالشرطة، وقد حضرت إلى مسرح الجريمة مع زميلي".

وما إن تكلم حتى ظهر الكهف أمامهما.

ورغم أنه لم يكن كبيرًا، كان جميلًا بسيطًا من الداخل، منحه البحر جوًّا من السكينة، رغم شدة هبوب الرياح عليه. راود هلدا شعور مؤقت بالارتياح، فقد نقلها منظر البحر ورائحته لوهلة إلى الماضي، حيث بيتهم القديم في ألفتينس، إلى حضن عائلتها، في الأيام التي سبقت وقوع الكارثة. وبعدها، انقضى الشعور، وعادت أفكارها تتمحور حول إيلينا، التي لا بد أنها وقفت في نفس البقعة منذ أكثر من عام، ورأت نفس المشهد، وربما شعرت بنفس السلام.

"وجدوها راقدة على الشاطئ ووجهها لأسفل. كان في رأسها

بعض الإصابات، رغم أنه لا يمكن معرفة كيف أصيبت بالضبط. على الأرجح سقطت، وخبطت رأسها وصدمت نفسها. أما سبب الموت فكان الغرق".

نظرت هلدا بتركيز شديد إلى موضع خطواتها فوق الصخور الزلقة أثناء اتجاهها إلى حافة الماء، وقد راودها شعور بالحاجة إلى الاقتراب من إيلينا بقدر ما تستطيع، رغم رحيل جسدها منذ وقت طويل.

صاح أوليفر: "بحق المسيح، كوني حذرة! لن أحملك عائدًا بك إلى السيارة لو كسرت رجلك".

توقفت هلدا. على الأرجح هذا يكفي جدًّا. يمكنها أن تتخيل إيلينا راقدة هناك في المياه الضحلة. كان البحر قاسيًا جدًّا: إنه يمنح الحياة لأهل أيسلندا، ولكن بثمن باهظ. صوبت بصرها بعيدًا إلى خليج فاكسافلوي، تجاه جبل إيجا الكبير المتوجة قمته بالثلوج، وقلبها ينزف، ليس فقط من أجل إيلينا، ولكن من أجلها هي أيضًا. لقد فقدت حياتها القديمة، الأيام القديمة الجميلة، ورغم أنها ربحت صديقًا جديدًا متمثلًا في بيتر، فقد أحست بوحدة تامة في هذا العالم. ولم يسبق لإحساسها بالوحدة أن كان بمثل قوته في هذه اللحظة.

(10)

قال أوليفر متذمرًا، بعد عودتهما إلى سيارة الشرطة: "حسنًا، كان هذا مجرد إضاعة للوقت".

قال هلدا: "لا أتفق معك".

"أين تركت سيارتك؟ عند مركز الشرطة؟".

قالت معترفة بشيء من الخجل: "أنا... لم آت بالسيارة". محاولة التظاهر بأن هذا أمر طبيعي ومعتاد جدًّا في العمل.

ظنت أنها لمحت ابتسامة خبيثة على وجه أوليفر.

قال عارضًا عليها، بلا حماس حقيقي: "هل أعيدك بالسيارة إلى ريكيافيك؟ هي ليست بعيدة الآن، بما أننا جئنا كل هذه المسافة".

قالت: "شكرًا، لكني أحتاج إلى المرور على النُّزُل في نياردفيك. سيكون رائعًا أن تقلني بدلًا من ذلك إلى هناك".

قال: "كما تحبين".

ورغم توقف الأمطار مؤقتًا، كانت السحب لا تزال دانية في سماء كيفلافيك، منذرة بالانهمار ثانية في أي وقت.

قالت هلدا بمجرد وصولهما إلى وجهتهما: "أشكرك كثيرًا على مساعدتك". غادرت السيارة بسرعة، وراقبت أوليفر وهو يقود

السيارة مبتعدًا.

آخر مكان سكنت فيه إيلينا.

خلال الفترة الزمنية القصيرة التي مرت منذ قررت هلدا أن تخوض في أسباب وفاة إيلينا، نما لديها شعور قوي بالتواصل مع تلك الشابة. والآن، إذ وقفت خارج النُّزُل وسط وابل من أمطار الربيع الفجائية، كان شعورها هذا أقوى مما سبق. لا يمكنها أن تتوقف الآن، ليس وجميع غرائزها تخبرها أنها تقترب من الحقيقة. لكنها كانت تخشى أن هذا اليوم الوحيد، آخر أيامها، لن يكفي.

لكن اتضح أن اليوم كان يوم حظها. كانت دورا جالسة إلى مكتبها في الاستقبال، منهمكة في قراءة جريدة.

قالت هلدا: "مرحبًا ثانية".

رفعت دورا بصرها، وقالت: "أوه، مرحبًا. عدت ثانية؟".

"نعم. أحتاج فقط إلى كلمة سريعًا معك. ألديك أي أخبار؟".

ابتسمت دورا، وأغلقت الجريدة قائلة: "أخبار؟ لا، لا توجد أي أخبار هنا أبدًا. أناس جدد، نعم، لكنه دائمًا نفس الروتين القديم. أم أنك تقصدين.. شيئًا يخص إيلينا؟".

"نعم، حقًّا".

"لا، لا أخبار هناك. ما أخبار تقدمك في تحقيقاتك البوليسية هذه؟".

قالت هلدا: "أتقدم ببطء. انظري، أيمكننا أن نجلس لدقيقة ونتحدث قليلًا؟".

"طبعًا، شدي مقعدًا، هناك مقعد صغير بقرب الهاتف". وأشارت دورا إلى منضدة بجوار مكتب الاستقبال عليها هاتف مكتب قديم الطراز، بجواره نسخة مجلدة من سجل الهاتف، وهو منظر نادر الوجود في هذه الأيام وهذا العصر.

قالت هلدا: "في الحقيقة، كنت أفكر في مكان، حسنًا، يتمتع بقدر أكبر من الخصوصية".

"أوه، لا أحد من المقيمين هنا يفهم اللغة الأيسلندية. ولا يمكنني أن أترك مكتب الاستقبال فارغًا، بلا سبب قهري. لقد تكلمنا في كل ما يخص هذا الموضوع، لذا أظن أن كلامنا لن يستغرق وقتًا طويلًا؟".

ردت هلدا مستسلمة: "لا، لن يستغرق كثيرًا". وأحضرت مقعد الهاتف وجلست عليه، مواجهة دورا الجالسة قبالتها على مكتب الاستقبال.

"احكي لي عن كاتيا".

"كاتيا؟ تلك التي هربت؟".

"بالضبط".

"نعم، أتذكرها. روسية، مثل إيلينا. كانتا صديقتين مقربتين، على ما أعتقد. ثم، في يوم ما، اختفت هكذا ببساطة".

"هل تم التحقيق في اختفائها؟".

"أظن هذا. جاءنا رجل شرطة وطرح بعض الأسئلة، لكن لم أستطع أن أخبره بأي شيء. فكرت أنها ربما تأخرت في أي مكان، لكنها لم تظهر أبدًا ثانية. لا أعرف إذا كانوا قد عثروا عليها، لكنها بالتأكيد لم ترجع هنا أبدًا".

"إنها ما زالت مفقودة".

"أوه، حقًّا. كنت دائمًا متفاهمة معها جيدًا. أتمنى أن تكون بخير، أينما كانت".

"هل حدث أن ربط أحد بين اختفائها وموت إيلينا؟".

"حسنًا، حدث هذا في وقت لاحق". بدت على دورا أمارات التفكير، وأكملت: "لكن، لا، لا أعتقد هذا. ولم أذكر عنها شيئًا عندما جاء زميلك هنا ليستجوبني عن إيلينا".

"أليكساندر؟".

"نعم، لا يمكن أن تقولي إنه كان متحمسًا. لم يبد مهتمًّا بالقضية. أنت تبدين لي أكثر حماسًا منه بكثير". وابتسمت دورا،

وأكملت: "لو قتلني أحد، لن أهتم بقضيتي أكثر منك".

لم تبتسم هلدا على المزحة القاسية. قالت: "أمس، قلت لي إن إيلينا ركبت سيارة رباعية الدفع مع رجل غريب".

ردت دورا مؤكدة: "أها".

"حسنًا، أمس، مساء، قابلت رجلًا له صلة غير مباشرة بالقضية، لذا، ربما يكون قد قابل إيلينا في أي وقت. كما أنه أيضًا يستطيع أن يركب سيارة رباعية الدفع". تذكرت هلدا تعليق دورا عن كيف أن جميع راكبي السيارات رباعية الدفع متشابهون بالنسبة لها. ربما يعود هذا إلى أنها رأت نفس السيارة أكثر من مرة، ربما يكون بالدر قد أوصل إيلينا بسيارة أخيه ألبرت. ستكتشف الحقيقة قريبًا. راحت هلدا تبحث بين محتويات حقيبتها عن هاتفها. وعندما لم تستطع أن تعثر عليه فورًا، داهمتها فكرة مريعة، أن تكون قد نسيته في البيت، وقد أدركت فجأة أنها لم تتفحصه طوال النهار.

همهمت: "آسفة، ثانية واحدة".

هه، ها هو. أطلقت هلدا تنهدة ارتياح. "الفكرة أنني التقطت له صورة هنا في مكان ما. دعيني أنظر..".

لم يحدث شيء. هل البطارية فارغة؟ اللعنة.

سألت دورا: "ألديك شاحن لهاتف من هذا النوع؟ يناسب

هذا..". وعرضت لها مقبس البطارية.

"أيمكنني أن ألقي نظرة؟" أخذت دورا الهاتف، وضغطت أحد أزراره فأصدر ضوضاء مفاجئة. قالت: "كان مغلقًا. ها هو يعمل الآن".

في هذه اللحظة، استعادت هلدا ذكرى باهتة عن إغلاقها لهاتفها في الليلة الماضية. قالت، وقد تورد وجهها: "آسفة". كل شيء اليوم لا يسير على نحو صحيح.

وبينما كانت تبحث عن الصورة، بدأ الهاتف يصدر صفيرًا حادًّا، إشارة إلى تلقي رسالة. ثم فعلها مرة وثانية وثالثة.

قالت هلدا بصوت عال، متحدثة إلى نفسها لا إلى دورا: "ما الذي يحدث بحق السماء؟".

راحت الرسائل تنفتح واحدة بعد الأخرى على شاشة هاتفها.

اتصلي بي الآن

اتصلي بي فورًا!

انزلي إلى مركز الشرطة الآن!

هلدا، اتصلي بي الآن فورًا!

كانت الرسائل النصية جميعها من رئيسها في العمل، ماجنس. وكانت إحداها من أليكساندر أيضًا: "هلدا، أيمكنك الاتصال بي؟ أريد أن أتحدث معك عن التحقيق. حقًّا لا حاجة لإعادة فتحه". قررت ألا ترد على أليكساندر، أو أن تتصل به.

لكن لم يكن بإمكانها تجاهل رسائل ماجنس. ما الذي يجري بحق الجحيم؟

لا حاجة لاستنتاج أنها أطلقت سبة.

"دقيقة واحدة يا دورا. أحتاج إلى إجراء مكالمة عاجلة".

وقلبها يخفق، اختارت هلدا رقم ماجنس، لكنها ترددت لوهلة. أتريد حقًّا أن تتحدث إليه؟ أيمكن بأي حال أن يحمل لها أنباء طيبة؟ ولو لم يكن الأمر كذلك، فما الذي يريده بحق السماء؟ لشهور، لم يتحدث إليها إلا فيما ندر، فقط كان يتركها لتتعامل مع قضايها دون أن يبدي أدنى اهتمام بها. لكنه الآن بعد أن طردها من العمل –تقريبًا- فجأة يتحمس كل هذا الحماس للاتصال بها. أيمكن أن تكون قد أفسدت عمل زميل آخر لها؟

استجمعت نفسها وضغطت زر الاتصال.

رد ماجنس قبل أن تنتهي الرنة الثانية. كان هذا في حد ذاته غير معتاد.

"هلدا، أين كنت كل هذا الوقت؟ بحق الشيطان!".

رأته كثيرًا يفقد أعصابه، لكن مع استماعها لصوته الآن، أدركت أنها لم تره أبدًا من قبل في حالة هياج تام.

سحبت نفسًا عميقًا، وقالت: "ذهبت إلى ريكانيس لأرى المكان الذي عُثر فيه على جثة إيلينا، وتتبعت مسارين. أنت طلبت مني أن أستمر اليوم في العمل على القضية".

"طلبت منك؟ أنا سمحت لك، هناك فرق. وتقولين مسارين؟ أنت ما زلت في هذا السباق الوهمي الخائب يا هلدا! هذه المرأة الروسية لم يقتلها أحد".

قاطعته هلدا: "في الواقع، هناك امرأتان".

"اثنتان؟ ما الذي تعنينه؟ على أي حال، هذا ليس موضوعنا. عليك أن تأتي هنا الآن فورًا. أتسمعين!".

"أهناك شيء خطأ؟".

"وحياة أهلك هناك شيء خطأ. تحركي وتعالي إلى هنا فورًا. يجب أن نتحدث".

وأغلق الخط. كان دائمًا يتعامل معها بطريقة غير عادلة، هكذا شعرت، لكنه لم يصل معها أبدًا إلى هذه الدرجة من الوقاحة. هناك خطأ كبير وخطير.

جلست هلدا في مكتب الاستقبال، تشعر بالصدمة. لم تكن تدري أن ما حدث كان فيه هلاكها. كل ما أمكنها أن تفكر فيه

أن الأمر لا بد أن يكون له صلة بآكي. هل أفسدت تحريات زميلها بغباء؟ لو كان الأمر كذلك، لِمَ لَمْ يخبرها في الهاتف؟

وبعد أن استطاعت النطق أخيرًا، ومع احمرار وجهها كاللهب، قالت هلدا: "أخشى أن علي الذهاب بسرعة".

أومأت دورا برأسها، وقالت: "نعم، جاءني نفس الإحساس. لم يبد صوته سعيدًا، أيًّا كان هو!".

قالت هلدا بابتسامة مغتصبة: "لا".

"لكن ما الذي كنتي تريدين أن تسأليني عنه؟".

"ماذا؟ آه، طبعًا". وخفضت هلدا بصرها إلى هاتفها، وعثرت أخيرًا على صورة بالدر ألبرتسن. قالت: "إنها غير واضحة قليلًا، لكن أيمكن أن يكون هذا هو الرجل راكب السيارة رباعية الدفع؟".

ركزت دورا بصرها على الهاتف قليلًا، ثم أومأت برأسها إيماءة تأكيد.

حملقت فيها هلدا، مصدومة تمامًا.

قالت دورا: "إنه هو، دون أدنى شك!".

(11)

استيقظت مطلقة شهقة فزع.

استحال عليها أن تتنفس، كانت تختنق. استغرقت بضع ثوان لتتذكر أين هي: كانت متشرنقة في كيس للنوم في كوخ مثلج وسط ظلام الليل.

كان البرد شديدًا، حتى لقد سد أنفها، وهو ما سبب لها صعوبة التنفس. ولدقيقة، أحست وكأنها محبوسة في كيس النوم، وراحت تدفع بجنون لتوسع الفتحة، شاعرة أنها على وشك أن تصاب بالهيستيريا. يجب أن تحرر رأسها لتلتقط بعض الهواء.

وأخيرًا نجحت.

نهضت قليلًا، محاولة تهدئة نفسها، لتبطئ من إيقاع ضربات قلبها الجنونية.

معطفها، الذي استعملته كوسادة، تجعد بشكل غير مريح. أعادت طيه لتجعله مريحًا بقدر الإمكان، ثم رقدت ثانية، وشدت كيس النوم حتى ذقنها، تاركة رأسها هذه المرة غير مغطى، وركزت في محاولة العودة إلى النوم.

(12)

تغرمت هلدا أجرة تاكسي لتعود إلى ريكيافيك، ستأخذ بدلًا من إدارة التحقيقات الجنائية. فكرت في أن تتصل بأوليفر وتقبل عرضه بتوصيلها، لكن هذا كان سيستغرق وقتًا أطول، وكانت هي على عجلة من أمرها.

وما منحها راحة عميقة هو أن السائق الذي أقلها لم يبد أي استعداد لفتح حوار، وتركها حرة مع أفكارها.

في منتصف طريق العودة إلى ريكيافيك، أدركت أنها فشلت في الحفاظ على وعدها لأمينة. لقد وعدتها أن تخبر أوليفر بأنها ساعدت الشرطة، لكنها نسيت أن تفعل، لانهماكها الشديد في مشكلاتها. أحست بكثير من الأسى نحو نفسها طوال النهار، لكن الآن داخلها شعور بالذنب. أمينة المسكينة ليس لها معين ولا نصير في هذا البلد، وكان بوسع هلدا أن تفعل شيئًا لمساعدتها، مجرد خدمة صغيرة. لكن تركيزها انصب بالكامل على إنقاذ إيلينا، رغم أن أوان إنقاذها قد فات. أما أمينة فما زالت حية، وأمام هلدا فرصة لتصحح هذا الخطأ، وعزمت على أن تتصل بأوليفر في وقت لاحق، المهم ليس الآن.

أخذت السماء تبرق وترعد، وبشيء من الحظ، كانا قد تركا وراءهما رذاذ المطر في ريكانيس.

ومع أعصابها التي ما زالت ملتهبة نتيجة لمحادثتها الهاتفية مع ماجنس، لم تكن هناك فرصة لتنعم بغفوة أثناء الطريق. أخذ الأدرينالين يتدفق في عروقها، وراحت الأفكار تتصارع في عقلها. لم تكن لديها أي فكرة عما ينتظرها، لكنها إذ تجهزت لأسوأ الاحتمالات، قررت أن تتصل ببيتر.

قال بصوت مبتهج كالعادة: "هلدا، يا لها من بهجة غير متوقعة! كيف هي أمورك؟".

قالت: "في الحقيقة أنا مشغولة". أراحها أن تسمع صوت صديق، وأن تعرف أنها وجدت فيه شخصًا يمكنها أن تثق به، شخصًا يمكنها حقًّا أن تتحدث إليه. كان شعورًا مريحًا للقلب.

"أنا متشوق لهذه الأمسية وحجزت مائدة لنا".

"نعم، بخصوص هذا الأمر... ألا يمكن أن نؤجل الدعوة إلى غد؟ لست متأكدة كيف سينتهي يومي".

بدا الإحباط واضحا في صوته: "آه، فهمت. لا مشكلة".

"أيمكنني ربما أن أتصل بك بمجرد انتهائي؟ يمكننا حينها أن نجد أي شيء لنأكله".

"نعم، سيكون هذا لطيفًا. لكننا لا يمكننا التأجيل إلى الغد، لا بد أن نؤجل إلى بعد غد".

"لماذا؟".

”دعوة العشاء إلى فندق هولت.. لا يمكن أن نؤجلها إلى الغد لأننا سنتسلق جبل إيجا غدًا مساء. هل نسيتِ؟“.

”أوه، نعم، بالطبع، سنفعل“. ومع ورود الفكرة إلى خاطرها، امتلأت بدفقة من الترقب السعيد، متطلعة للتنزه مع بيتر، وقضاء الوقت معه.

قال بيتر: ”ستتصلين بي لاحقًا إذًا...“.

ردت هلدا: ”أجل، أتمنى ألا أتأخر كثيرًا“. شاعرة بالامتنان أن رد فعله كان لطيفًا على تغيير خطتهما في آخر لحظة.

أنهيا الاتصال، وبقيت هلدا وحيدة مع أفكارها ثانية. جزء منها أراد أن يبلغ سائق التاكسي بتغيير وجهتها، لخوفها من اجتماعها المرتقب مع ماجنس. إن جهلها التام بسبب رغبته في رؤيتها جعل الأمر أسوأ بالنسبة لها. لو أنها استطاعت فقط أن تعود إلى البيت، وتسترخي، وتستعيد توازنها، ولا تُري وجهها ثانية لأحد في إدارة التحقيقات الجنائية، لكان أفضل لها. ألا تضطر ثانية للتعامل مع رئيسها عديم الفائدة، ألا تُجبر ثانية على الاستماع إلى توبيخه لها. لكن هذا سيعني ترك إيلينا لمصيرها، والسماح لقاتلها بأن يفر بفعلته.

كانت تعرف جيدًا أن هذا ليس خيارًا مطروحًا، فهي من النوع الذي يصمد في معاركه، دائمًا كانت هكذا. لذا، جلست في سكون بينما ينهب التاكسي الكيلومترات، وبينما تفسح حقول

حمم ريكانيس مكانًا لضواحي ريكيافيك، خليطا من المجمعات السكنية المقسمة إلى شقق ومنازل مستقلة كبيرة ذات حدائق خلفية، حيث لا بد أن العائلات تستمتع بإقامة حفلات الشواء بها في الوقت الحالي، بما أن الطقس يتحسن، نمط الحياة الذي فقدته هلدا.

وما إن دخلت مركز الشرطة، وبدأت تستعد نفسيًّا للعاصفة القادمة، دهمتها العاصفة. هناك تغيير ما. الجو مشحون بالعداء. اتجهت مباشرة إلى مكتب ماجنس، لم تحد ببصرها يمينًا ولا يسارًا، متجنبة أعين زملائها. وعندما نظرت، لأول وهلة، لم تجده هناك. شاعرة بالضياع، تلفتت هلدا حولها بارتباك، قبل أن تقرر أن تتجه إلى مساعده، الذي شغل المكتب الصغير المجاور للباب. شاب آخر كان صعوده مخترقًا الرتب بسرعة النيازك أكثر من قدرة هلدا على الحلم.

ولقد وفر عليها مشقة توضيح ما تريد. لقد بدأ الكلام في نفس اللحظة التي رآها فيها، وكان واضحًا من تعبيراته أنه لا يحسدها على المواجهة الوشيكة. قال لها: "ماجي ينتظرك في حجرة الاجتماعات". وأشار لها إليها وهو يهز رأسه، وكأنه يوضح أن المعركة التي توشك هلدا على أن تخوضها قد حسمت بالفعل لغير صالحها.

سارت في طريقها لتواجه مصيرها المحتوم، ببطء وكأنها تسير في حلم، كسجين حكم عليه بالموت، في طريقه إلى المشنقة،

ومع هذا، هي ما زالت جاهلة تمامًا بما يدور.

كان ماجنس وحيدًا في الحجرة. ومن النظرة المرتسمة على وجهه، كان من الواضح تمامًا أنه في مزاج سيئ. وقبل أن تستطيع حتى أن توجه له التحية، سألها باقتضاب: "هل تحدثتِ إلى أي أحد؟".

رددت خلفه في حيرة: "تحدثت إلى أي أحد؟".

"عما حدث في الليلة الماضية".

قالت: "أخشى ألا علم لي بما حدث".

"جيد. اجلسي".

اتخذت مقعدًا على المنضدة قبالة ماجنس. كانت هناك بعض الأوراق أمامه، لكن نظر هلدا لم يكن كسابق عهده، فلم تستطع تمييزها.

"إيما مارجيرسدوتير". هكذا قال ببطء، بعد صمت طويل، وعيناه مستقرتان على الأوراق.

تجمد الدم في عروق هلدا عندما سمعت الاسم.

"أنت تعرفين من هي، أليس كذلك؟".

سألت هلدا، بصوت على وشك الانهيار: "يا إلهي، أحدث شيء لها؟".

"أنت قابلتِها، أليس كذلك؟".

"أجل، بالطبع. لكنك تعرف هذا. لقد أخبرتك من قبل".

"اهدئي". هكذا قال، وهو يومئ برأسه، وسمح للصمت أن يسود ثانية. وامتدت فترة الصمت المضجر. كان من الواضح أنه يأمل في خداع هلدا بأسلوبها، لكنها لم تكن لتقع في مثل هذا الفخ، كانت مصرة على إجباره على أن يقوم هو بالخطوة التالية.

وفي النهاية، استسلم أولًا. قال: "أنت استجوبتِها، أليس كذلك؟".

"نعم، هذا صحيح".

"وأنت أخبرتِني، لو أن ذاكرتي تسعفني، أنك لم تخرجي من الاستجواب بشيء مفيد".

أومأت هلدا برأسها، وهي تحس أنها تتصبب عرقًا. لم تعتد على أن تخضع للاستجواب، ولا يمكن أن يطلق على ما يحدث مسمى آخر.

"قلتِ: (حل القضية لا يزال بعيد المنال).. كانت هذه كلماتك بالضبط، أليس كذلك؟".

مرة ثانية، أومأت برأسها. انتظرها ماجنس أن تجيبه، وفي هذه المرة، لم تستطع الصمود أمام الضغط. قالت: "هذا صحيح".

وبعد فترة صمت أخرى، قال ماجنس، بنبرة أكثر لطفًا مما سبق: "أتعرفين؟ أنا مندهش قليلًا منك يا هلدا".

"لماذا؟".

"لطالما اعتقدت أنك واحدة من أفضل العاملين في مجالنا. في الحقيقة، أنا أعرف أنك كذلك فعلًا. لقد أثبت هذا مرارًا وتكرارًا، على مدار سنوات".

انتظرت هلدا، غير واثقة كيف يكون رد فعلها تجاه كلامه هذا، إذ كانت أول مرة يمتدحها.

"الحقيقة أنها اعترفت".

"اعترفت؟" لم تستطع هلدا أن تصدق أذنيها. أهذ ممكن؟ بعد كل ما حدث، بعدما غامرت هلدا بعنقها لتزود عن المرأة.

"نعم. لقد قبضنا عليها الليلة الماضية، وقد اعترفت بأنها صدمت الرجل، ذلك البيدوفيلي الحقير. بالطبع أنا متعاطف معها، لكن الحقيقة التي لا مفر منها هي أنها صدمت الرجل.. عمدا. ما قولك في هذا؟".

قالت هلدا: "شيء لا يُصدق". وجاهدت، عبثًا، لتجعل نبرتها مقنعة.

"نعم، شيء لا يصدق. لكن لديها دافعًا قويًّا، كما نعرف نحن الاثنان".

"نعم، لديها". جاهدت هلدا للتتنفس بهدوء.

"من المتوقع طبعًا أن تدخل السجن. وابنها، حسنًا، من يدري ماذا سيحدث له؟ أمر صعب يا هلدا، ألا توافقينني؟".

"نعم، طبعًا. حقًّا لا أعرف ماذا أقول..".

"لا يستطيع المرء إلا أن يتعاطف معها".

"حسنًا، أعتقد هذا..".

"لديك سمعة بهذا الشأن يا هلدا: أن تعطي الناس ميزة الشك. وتتجنبين إصدار الأحكام. أنا مدرك لهذا تمامًا، رغم أننا، للأسف، لم نتعارف جيدًا كما كان ينبغي أن يحدث".

للأسف. يا للنفاق.

"هل تساهلتِ معها؟".

"ماذا تقصد؟".

"أثناء التحقيق".

"لا، أبدًا. لقد تشددت معها، مع مراعاة الظروف".

"بلا نتيجة؟".

"لا".

قال: "الأمر يا هلدا أن هناك جزءًا لا أفهمه تمامًا". وعقد حاجبيه

معًا، مستعملًا تلك النبرة الأبوية المألوفة، التي كثيرًا ما استعملها من قبل. "كما ترين، إيما تدعي أنها اعترفت لك أثناء حديثك معها..".

بدا الأمر وكأنما فجر ماجنس قنبلة يدوية في الحجرة. أحست هلدا بخوار في ركبتيها. أهناك أي طريقة تخرج بها نفسها من هذا المأزق؟ إلى أي حد صرحت إيما؟ لِم خانت هلدا بهذا الشكل؟ كان أمرًا غير مفهوم.

أم أن ماجنس يخدعها؟

يستدرجها لتعترف له بالحقيقة؟

يحاول خداع هلدا لتعترف بسوء استغلال وظيفتها؟

المشكلة أنها عاجزة عن قراءته، لا تعرف كيف تتخذ خطوتها التالية. أتفتح له قلبها وتعترف بالحقيقة، أم تستمر في الكذب عليه والإنكار؟

استغرقت هلدا وقتًا قبل أن تجيب. قالت أخيرًا: "حسنًا، في الحقيقة، لقد كانت مشوشة تمامًا. كانت بالطبع لا تزال في حالة يرثى لها بسبب تلك الصور التي وجدناها لابنها. من الممكن أنها ظنت أنها اعترفت بشيء، لكني لم أفسر حوارنا بهذا الشكل". ومسحت برفق العرق الذي بلل حاجبها.

قال ماجنس بوجه لم يفارقه الجمود: "فهمت".

كان بارعا حقًّا في هذه اللعبة، وأدركت هلدا أنها بخسته حقه.

"إذًا فقد كان الأمر كله سوء تفاهم بينكما. أيمكن أن يكون هذا هو التفسير؟".

شعرت هلدا أنها تورط نفسها أكثر وأكثر مع كل سؤال تجيب عليه. شعرت بعدم الارتياح في مكتب ماجنس، وكأنه فخ هي واقعة فيه.

"لا بد أن يكون كذلك. أأنت واثق تمامًا أنها فعلتها.. أقصد صدمته؟ بغض النظر عن اعترافها؟".

سألها ببطء، وقد بدا عليه الفضول أكثر من الدهشة: "ماذا تقصدين؟".

"ربما هي ليست إلا صرخة للفت الانتباه، خاصة وهي تقول لك إنها اعترفت من قبل". استمرت هلدا في محاولتها للتمادي، رغم أن كل ما أرادته حقًّا في هذه المرحلة هو أن تستسلم وتعترف بكل شيء.

"إنها قطعًا مسؤولة عن حادث الصدم، لا أعتقد حقًّا أن ثمة شكًّا في هذا. لكن ليس هذا هو الأساس هنا".

"فعلًا؟".

"كان لديها المزيد لتخبرني به..".

وهنا، تسارعت دقات قلب هلدا كثيرًا، حتى إنها ظنت أنها لا بد ستفقد الوعي، وأطال ماجنس هذه اللحظة، وكأنما يستمتع بمشاهدة انهيارها.

"أخبرتني إيما أنك تواصلت معها في وقت لاحق من نفس تلك الليلة، بعد التحقيق. أهذا صحيح؟".

"لا أتذكر. نعم، ربما، لتتأكد من بعض التفاصيل، من أجل كتابة تقريري".

"هلدا، إنها تزعم أنك اتصلت بها لتقولي لها ألا تقلق بخصوص اعترافها. وأنك لن تصعدي الأمور". والآن علا صوته، حتى بدا أشبه بالرعد. "أهذا ممكن يا هلدا؟ أهناك أدنى احتمال أنها تقول الحقيقة؟".

كيف تجيب عن هذا السؤال؟ هل تدمر ملفها الوظيفي عشية تقاعدها، وكل هذا بسبب تصرف دافعه التعاطف ارتد عليها؟ أم تستمر في الإنكار؟ على أي حال، كلمة إيما مقابل كلمتها.

ولتكسب مزيدًا من الوقت، نزعت إلى أن تصمت تمامًا.

"أتعرفين ماذا أعتقد يا هلدا؟ أعتقد أنك شعرت بالأسف نحوها. ليس هناك من يمنح ذرة من تعاطفه لبيدوفيلي، لا أنا ولا أنت، لكن هذا لا يعني أنه يمكنك تنفيذ القانون بنفسك. لو طلبت رأيي، أعتقد أن التعاطف مع تلك المرأة قادك إلى تخطي الحدود. وهو ما يمكن أن أفهمه على نحو ما". وصمت لبرهة، لكن هلدا التزمت

الصمت. "إنها ستواجه السجن، أم وابنها سيفترقان... أفهم هذا. إنك قد فقدت ابنتك على كل حال".

صرخت هلدا: "دع ابنتي خارج هذا الأمر! ماذا تعرف عنها بحق الجحيم؟ أنت لا تعرف أي شيء عني وعن عائلتي، ولم تعرف أبدًا!" هذا الانفجار أدهش حتى هلدا نفسها، لكنه على الأقل نجح، ولو مؤقتًا، في زحزحة ماجنس. من الأفضل له ألا يقحم ديما في هذا الأمر ثانية. ولو فعل، لن تكون هلدا مسؤولة عن ردة فعلها.

"آسف يا هلدا. كنت فقط أحاول أن أضع نفسي مكانك".

صار من الجلي تمامًا أن إيما قد باعتها، رغم نوايا هلدا الطيبة نحوها. كانت خيانة المرأة غير مفهومة بالمرة، حتى إن هلدا شعرت بجرح بالغ لمجرد التفكير في الأمر. أجل، كانت إيما في حالة من الاضطراب النفسي الشديد، لكن هذا لم يكن كافيًا ليبرر سلوكها. لا بد أنها كانت في حالة انهيار تام عندما استجوبها ماجنس.

في هذه اللحظة فقط، تذكرت هلدا السبب الذي جعلها تغلق هاتفها مساء أمس. لم شربت كل هذه الكمية من الخمر بحق الجحيم؟ إن دوارها الناتج عن شرب الخمر لم يساعدها على مواكبة الضغط الذي تتعرض له الآن. كان أداؤها ضعيفًا في كل ما قامت به اليوم، تمامًا في الوقت الذي احتاجت أن يكون أداؤها في ذروته. ربما نال منها الزمن، هكذا فكرت، قبل أن ترفض الفكرة بغضب. هي تعلم أنها ضابط كفء كما كانت دومًا.

لقد اتصلت بها إيما، في وقت متأخر ليلًا. كان لا بد أن يقرع هذا جرس إنذار في عقلها، لتفترض أنها، كما هي الحال فعلًا، لديها سبب عاجل دفعها لتحاول التواصل معها. لكن هلدا لم تكن في مزاج يسمح بالتحدث معها. يا إلهي، كم تندم على هذا الآن! ربما أرادت إيما أن تستشيرها بخصوص تسليم نفسها. يا للمسيح.

قال ماجنس بعد فترة صمت مدروسة: "الأمر خطير للغاية يا هلدا".

كانت لا تزال عاجزة عن التوصل إلى أفضل رد، وما قد تكون التداعيات المترتبة على ما قامت به. لا بد أنه لا يخطط لطردها مجللة بالعار في آخر يوم لها في العمل؟

سألت هلدا: "أتقول الآن إنها اعترفت؟" واعية أن سؤالها ينطوي على اعتراف بخطئها، دون أن يكون اعترافًا صريحًا بالذنب. "هل يهم حقًّا ما تكلمنا عنه أو كيف فسرت نتيجته النهائية؟" نحت جانبًا رغبتها المخزية في الانتحاب: أرجوك، كن متساهلًا. بعد كل تلك السنوات، بعد تاريخي المهني الطويل الناجح، ألا يمكن أن نغض الطرف عن هذا الخطأ الصغير الوحيد؟

"هذا بالضبط هو سبب المشكلة يا هلدا. في الأحوال العادية، أعتقد أني لم أكن لأولي هذا الأمر اهتمامًا كبيرًا، إذ إنك ستغادرين الإدارة على أي حال، والتوقيت صعب بالنسبة لك. كنت سأعتبره خطأ في التقدير، لم ينتج عنه أي ضرر".

في الأحوال العادية؟ ما الذي كان يحاول أن يخبرها به؟

"لكن الأمور ساءت. لقد ذهبت إيما إلى المستشفى الحكومي العام في الليلة الماضية. نما إلى علمي أنها كانت تعمل في وزارة الصحة سابقًا، وأنها تعمل الآن كممرضة منزلية".

"المستشفى الحكومي العام؟".

"نعم، وكما هو واضح، لم يكن الدخول صعبًا عليها، فلا توجد إجراءات أمنية مشددة، وكانت تعرف طريقها جيدًا، وكلما كان يقابلها باب مغلق، كان يذلل لها العقبات أن تبرز بطاقة عملها".

وإذ تشككت هلدا إلام سيؤدي هذا الحديث، بدأت تشعر بالإعياء.

"لم يستغرق الأمر منها وقتًا طويلًا حتى وصلت الجناح المحتجز به البيدوفيلي. كانوا يحتجزونه في قسم المصابين بالغيبوبة، لكن ما أعرفه هو أن حالته كانت تتحسن وتبشر بالشفاء". وتوقف ماجنس عن الكلام، لا ريب أنه لم تغب عنه ملامح الرعب التي بدت في وجه هلدا، ثم أكمل كلامه: "أخذت وسادة ووضعتها على وجه الرجل".

ذعرت هلدا إلى درجة منعتها من السؤال عما حدث بعد ذلك. انتظرت، يعذبها مزيج من الرجاء والخوف.

"لقد مات".

سألت هلدا في عدم تصديق: "قتلته؟" رغم أنها توقعت ذلك.

”قتلته يا هلدا. وبعده، سلمت نفسها على الفور. وأخبرتنا بالقصة كلها. أنها صدمته بسيارتها بسبب ما فعله بابنها. كانت تقصد أن تقتله حينها، ليس فقط لتنتقم منه، بل ولتمنعه من فعل ذلك مع أبناء غيرها. وأنك ذهبت لتأخذي أقوالها في مقر عملها، أليس كذلك؟ وأنك اكتشفت الحقيقة على الفور رغم إنكارها. قالت إنك حاصرتِها بشدة، وإنها، في النهاية، استسلمت واعترفت بما فعلته. قالت إنها ارتاحت إذ اعترفت. وقالت أيضًا..“. خفض عينيه إلى الأوراق الموجودة أمامه عائدًا إلى نص كلام إيما: ”إنها ارتاحت إذ ألقت هذا العبء عن كاهلها. كان يستحيل عليها أن تعيش حياتها بعد ما فعلت. وبعد زيارتك، توقعت أن يلقى القبض عليها في أي وقت، لكن في وقت لاحق من مساء نفس اليوم، اتصلت بها وأخبرتيها أنك ستتركينها وشأنها. شعرت بالذهول.. بالامتنان طبعًا، لكنها في الوقت نفسه شعرت بالإحباط. شعورها بالذنب أثقل ضميرها، حتى إنها قررت أنه ليس أمامها إلا أن تعترف. لذا، فقد اتصلت بك“.

جفلت هلدا. كانت تلك هي مكالمة الليلة الفائتة.

”لكنك لم تردي“.

محطمة، هزت هلدا رأسها نفيًا، وهمست: ”لا، كنت مشغولة“. لماذا بحق الجحيم لم ترد؟

استمر ماجنس، يذبحها بكلامه: ”كانت في حالة سيئة الليلة

الماضية، وكانت عاجزة عن التفكير السليم. شعرت أنه لا مستقبل أمامها، لا شيء بانتظارها سوى الظلام؛ لذا من الأفضل أن تكمل ما بدأته. تنجز شيئًا يستحق. أتعرفين.. كان بإمكانك أن توقفيها الليلة الماضية يا هلدا".

أومأت برأسها، وقد جف حلقها بدرجة منعتها من التفوه بأي كلمة.

"لو تغاضينا عن التجاوز الوظيفي الجسيم الذي ارتكبتِه إذ قمتِ بالتغطية عليها، فأكثر من ذلك يا هلدا، كما تعرفين حق المعرفة، لقد خرقتِ القانون، وعرقلتِ سير العدالة".

لكن نواياي كانت طيبة، هكذا قالت لنفسها. القانون ليس الحكم الوحيد على الصواب والخطأ. أحيانًا يجب على الإنسان أن ينظر إلى الصورة بأكملها. إنها لا تعاني ضلالات، وهي تعي تمامًا كم هو خطر لشخص في موقعها أن يفكر هكذا. رغم كل شيء، لقد أقسمت على تطبيق القانون. لكن هذه لم تكن أول مرة تخرقه فيها بحجة أنه، في ظروف معينة، يكون لسلوكها هذا ما يبرره. الاختلاف الوحيد هو أنه، في هذه المرة، تم اكتشافها. ثمة رجل قد مات، وهي تتحمل جزءًا من الخطأ. فجأة، شعرت بإعياء شديد، ورغم هذا، لا تستطيع أن تشعر بأي أسى لموت البيدوفيلي. ربما يكون من المبالغة أن تقول إنه استحق الموت، لكنها كانت متأكدة أن العالم من دونه أصبح مكانًا أفضل وأكثر أمانًا.

”ألا يمكن لنا أن...؟“ وقطعت جملتها، عاجزة عن إتمامها. للمرة الثانية في حياتها، ينهار عالمها من حولها. أول مرة كانت عندما ماتت ديما، وكانت هذه هي المرة الثانية. سمعتها، ملفها الوظيفي النموذجي، كل ذلك على وشك أن يضيع في غمضة عين. والأسوأ من هذا أنها قد يحكم عليها. أيمكنها أن تتحمل أن تنتهي بها الحال في قفص الاتهام بعد عملها الطويل في الشرطة؟ أن تذهب إلى السجن...؟

وماذا عن بيتر، ماذا سيقول؟ داخلها ذعر حقيقي أن المستقبل، الذي بدأت أخيرًا تتطلع إليه، على وشك أن ينسل من بين أصابعها.

جلس ماجنس ساكنًا، دون حركة أو كلمة، وعينيه مسلطتين على هلدا. أصبح الصمت مرهقًا، حتى لقد أرادت أن تصرخ، إذ أحست أنها منهكة تمامًا، وغير مستعدة لأي شيء آخر.

قال أخيرًا: ”لا يمكنك أن تتخيلي كم أن هذا صعب علي يا هلدا. كم أشعر بالإحباط. لقد احترمتك دائمًا“.

رغم تشككها في كلامه، لم تعارضه.

”أنت نموذج يحتذى لكثيرين منا هنا في إدارة التحقيقات الجنائية. ولقد مهدت الطريق لكثيرين آخرين، مثل كارين. لقد وضعتِني في موقف مستحيل يا هلدا“.

لم تعرف هلدا على أي نحو تفهم كلامه. هل ماجنس مخلص؟ تمنت هذا، لكن لو أنه مخلص، هذا يعني أنها لم تفهم حقيقة

الموقف طوال تلك السنوات، وأنها قللت من الاحترام الذي تتمتع به فعلًا بين زملائها.

نكست رأسها شاعرة بالهزيمة، لقد خسرت قضية عمرها.

"بلا أدنى شك، أنا غاضب بشدة، لكني لن أضيع الوقت في الصراخ، الوضع أخطر من هذا كثيرًا. أنا مدمر، أكثر من أي شيء آخر". ثم أكمل كلامه، ولدهشة هلدا، بدا وكأنه يعني ما يقول: "لقد ساندتك دومًا عندما كان يتردد كلام عن استبدالك أو نقلك إلى إدارة أخرى. أنت بطيئة ولكنك مثابرة، تنتمين إلى مدرسة قديمة، وهذا لا يروق للجميع، لكنك تحرزين نتائج طيبة".

لم تكن متأكدة هل تصدق هذا، لم تشعر أبدًا من قبل أنها تلقت أي دعم حقيقي من ماجنس، ولا مرة. لكنها حقًّا قد حققت نتائج طيبة على مدار سنوات عملها، وقادت التحقيقات في قضايا كبيرة. إنها تتذكر اثنتين منها على وجه الخصوص: حادثة موت وقعت على جزيرة صغيرة قبالة ساحل أيسلندا الجنوبي، حيث انتوى ثلاثة أصدقاء أن يقضوا نهاية أسبوع هادئة، والأحداث الرهيبة التي وقعت في مزرعة معزولة في الجزء الشرقي من البلاد، في إجازة عيد الميلاد عام 1987.. نفس إجازة عيد الميلاد التي ماتت فيها ديما. كلتا القضيتين مثلتا عبئًا نفسيًّا عليها، وكثيرًا ما طاردتها أحداثهما.

همهمت قائله لماجنس، بصوت خفيف للغاية، غير مسموع

تقريبًا: "أشكرك".

"سنحاول أن نحافظ على سرية الأمر قدر الإمكان يا هلدا، لمصلحتنا نحن الاثنين. لم أنشر أي تفاصيل بين زملائك. من العار بالنسبة لك أن تنهي حياتك العملية بهذا الشكل المخزي، رغم أن الأمر سيعلن بكل تأكيد فيما بعد إذا واجهتك اتهامات. لكننا سنتجاوز هذه المشكلة عندما يحين أوانها. سأرفع الأمر إلى مكتب المدعي العام يوم الإثنين، وبعدها، سيكون الأمر قد خرج من بين يدي. لا يمكنني أن أخفيه يا هلدا، يجب أن تفهمي هذا. لكننا سنحاول أن نقلل الضرر قدر الإمكان".

أومأت برأسها في امتنان ممزوج بالمذلة. لم يخطر ببالها أن تنكر خطأها، أن تستمر في الكذب. لقد انتهت اللعبة.

"بالطبع يجب أن تتوقفي عن أداء مهامك على الفور.. لن تكون هناك مهلة إضافية. هل أخليت مكتبك؟".

هزت رأسها نفيا دون أن تتفوه بكلمة.

"إذًا سأكلف من يقوم بالأمر بدلًا منك، وسأرسل أغراضك إلى شقتك، حسنًا؟".

"حسنًا".

"بالمناسبة، ماذا حدث في قضية طالبة اللجوء الروسية؟".

كانت هلدا تجاهد لتمنع نفسها من الانهيار. لا يمكنها أن تنهي

حياتها المهنية بهذا الشكل: في الرابعة والستين، تنهمر دموعها كطوفان في آخر يوم لها في العمل. تنحنحت وقالت بصوت أجش: "ما زلت أعمل عليها. كان هناك اثنتان".

"نعم، ذكرت ذلك في الهاتف من قبل. ماذا كنت تقصدين؟".

"كانت هناك فتاة روسية اسمها كاتيا فُقدت منذ عام. وبعدها ماتت إيلينا. الفتاتان كانتا صديقتين مقربتين. أشك أن أليكساندر قد فطن للصلة بينهما".

"أهناك صلة بينهما؟".

"لا أعرف، يحتاج الأمر لبحثه".

قال: "معك حق". ثم فكر لهنيهة، وبعدها قال: "أيمكنك أن تكتبي تقريرًا وترسليه لي بالبريد الإلكتروني، عندما تجدين وقتًا لذلك؟ وسألقي عليه نظرة بنفسي بمجرد أن أجد وقتًا".

فضحته نبرة صوته. نظرت إليه غير مصدقة لبرهة، لكنها أعجبت بإيماءته.

"نعم، بالتأكيد سأفعل هذا".

نهض واقفًا على قدميه، مادًّا يده، فصافحته دون كلمة.

"كان شرفًا لي أن أعمل معك يا هلدا. كنت ضابطًا ممتازًا". وتوقف، ثم أضاف: "من المؤسف أن تنتهي مسيرتك بهذا الشكل".

(13)

استيقظت مجددًا فزعة، وأحست أن الليل ما زال في منتصفه.

في البداية، فكرت أن البرد هو ما أيقظها، وكان صحيحًا أنها بالفعل تتجمد من البرد، ليس فقط رأسها، بل جسدها بأكمله. حينها فقط، أدركت أن كيس نومها نُزع عنها.

لقد انتقل رفيق رحلتها من السرير العلوي إلى سريرها، وهو الآن راقد إلى جوارها، وإحدى يديه تعبث في ملابسها الداخلية.

مسها الجنون من الرعب، وحاولت دفعه بعيدًا عنها، لكنها كانت متجمدة من البرد، حتى إن أطرافها أبت أن تطيعها. جذبها إليه يقبلها، بينما جاهدت هي بكل قوتها حتى تمكنت من دفعه بعيدًا.

زمجر فيها: "كفاك. كلانا يعلم ما كان سيحدث.. وما قصدته بدعوتي لك في مكان بعيد في إجازة نهاية الأسبوع. رأيت كيف تنظرين إليّ. لا تبدئي في تمثيل دور الخجولة بحق الشيطان".

أنصتت إليه في ذهول وعدم تصديق.

وفي اللحظة التالية، كانت تصرخ بعلو صوتها، أعلى من أعلى صراخ صرخته في حياتها.

ولم يكلف حتى نفسه عناء أن يسد فمها بكفه.

(14)

وقفت هلدا خارج مركز الشرطة في فيرفيسجاتا، متجمدة من البرد لدرجة أعجزتها عن الحركة. حياها بعض زملائها عند مرورهم بها، لكنها عجزت عن رد تحيتهم. وقفت هناك فقط، تحدق في الفراغ بنظرة لا ترى شيئًا.

وكأن حياتها قد وصلت إلى نقطة النهاية. لم تستطع أن تنظر إلى الأمام، لم تستطع أن تتصور ما قد يأتي به الغد. كانت أعظم حاجاتها الآن هي أن تتحدث إلى بيتر، لكنها لم تستطع أن تحمل نفسها على الاتصال به. ليس بعد.

وأخيرًا استجمعت إرادتها لتتحرك، فانعطفت ببطء عند ركن المبنى، واستمرت في السير في اتجاه البحر. ورغم أن الشمس قد تحررت من أسر السحب، فقد قابلها هواء قارص عندما بلغت طريق الساحل. عبرت الطريق، غير عابئة بالسيارات، واتخذت مجلسًا على أحد المقاعد، محدقة عبر الخليج، ناحية مشهد الجبال. لم تسأم أبدًا من هذا المشهد. كل تلك القمم التي نجحت في تسلقها يومًا: إيجا، سكاردشيدي، أكرافجال. هذا الجمال الذي يخلب الألباب له تأثير مهدئ عليها، يهدهدها، يعود بها إلى بعض من أسعد لحظاتها. لكنه أيضًا يعيد إليها مشاهد إيلينا وهي غارقة في الكهف. البحر يمنح والبحر يأخذ.

مجددًا، شعرت هلدا بوطأة وحدتها.

إن ضميرها مثقل بالكثير.

عادت أفكارها إلى إيلينا. أيمكن أن تكون هي المفتاح؟ الطريقة التي يمكن أن تمنحها درجة من التبرئة؟ التي تعيد إليها شرفها، إلى حد ما؟ أيمكنها أن تنقذ شيئًا من حطام حياتها بحل تلك القضية؟ أو حتى أن تشعر بدرجة من التصالح مع نفسها؟

لم تمنحها مياه خليج فاكسافلوي الهادرة أي إجابات، لكنها ربما منحتها بصيصًا من الأمل. لقد أكدت لمجانس أنها ستتخلى عن التحقيق، لكن ما احتمال أن يكتشف الأمر لو أنها استمرت في العمل عليه لبقية اليوم؟ أن تستفيد لأقصى درجة بآخر ساعاتها في العمل؟ هناك مساران ما زال عليها أن تتبعهما. ما ضر أي أحد لو استأنفت عملها؟ سيتعين عليها أن تكذب، أن تتظاهر أنها ما زالت تعمل في الشرطة، لكن على الأرجح لن يسأل أحد عن حقيقة الأمر.

نعم، عليها أن تفعل ذلك. اليوم فقط. إنها فرصتها الأخيرة. ستمنحها الإلهاء الضروري الذي تحتاج إليه، إلى أن تستطيع استجماع شجاعتها لمواجهة بيتر هذا المساء.

(15)

قال ضاحكًا: "ما من أحد يمكنه سماعك". بينما راح يكافح مع سروالها التحتي الطويل الضيق، محاولًا جذبه لأسفل.

وفي هذه اللحظة، استجمعت قدرًا من قوة، جاءتها من مكان ما، على الرغم من البرد القارص، ونجحت في أن تدفعه بعيدًا عنها بعنف، حتى إنه سقط من السرير على الأرض.

وثبت من فوق السرير، تتخبط في الظلام، واعية أن فرصتها الوحيدة تكمن في أن تخرج من الكوخ وتفر هاربة وسط الثلوج، وأن تجد مكانًا تختبئ به وسط البرية الفسيحة الخاوية. ورغم عدم واقعية الفكرة، كان عليها أن تحاول. وفي هذه اللحظة، لمحت البريق الخافت لفأس الثلوج الذي كان قد فكه من حقيبة ظهرها ووضعه بجوار الباب.

وبمعجزة ما، نجحت في الوصول إليه أولًا.

(16)

طرقت هلدا على باب ألبرت. أملت أن تتحدث إلى شقيقه لتعرف إذا ما كان قد اصطحب إيلينا إلى مكان ما في سيارة رباعية الدفع. ولدهشتها، أجاب المحامي طرقاتها على الباب بنفسه، رغم أن

الساعة لم تكن قد بلغت الرابعة عصرًا بعد.

قال، وقد أُخذ قليلًا، وتراجع إلى الخلف: "هلدا؟".

"ألبرت، يا لها من صدفة غريبة..".

"صحيح، صحيح، عدت إلى البيت مبكرًا على غير عادتي، لم يكن هناك الكثير لأقوم به". بدا محرجًا ومراوغًا قليلًا، وكأن العمل ربما لا يسير على ما يرام. "ألم تحصلي على الأوراق؟ أخبرني بالدر أنك مررتِ به مساء أمس لتأخذيها".

"أوه، نعم، أخذتها. لكنها كلها باللغة الروسية، لذا لم أستطع أن أحصل منها على أي معلومات بعد".

"نعم، ظننت أنها كذلك، لكن من يعلم؟ ربما يكون بها شيء مفيد. لنأمل أن تتمكني من تحقيق العدالة للمرأة المسكينة. كانت زبونتي على أي حال".

"في الواقع، كنت آمل في محادثة سريعة أخرى مع أخيك".

"مع أخي؟" قطعًا كان هذا آخر شيء يتوقع ألبرت سماعه.

"نعم... امم، بخصوص أمر ذكره أمس...". هكذا كذبت كذبة غير محبوكة، ولعنت نفسها لأنها لم تجهز حجة أفضل، لكنها على أي حال لم تتوقع أن تقابل ألبرت. "لهذا أردت فقط أن أستوضحه منه".

”ماذا قال لك بحق السماء؟ شيء يخص إيلينا؟“.

”لا، حسنًا، نعم، ليس بشكل مباشر. من الصعب أن أشرح لك“.

احتد صوت ألبرت: ”شيء يخصني إذًا؟“.

”ماذا؟ طبعًا لا، لا شيء من هذا البتة. هل هو بالداخل؟“.

”لا، ليس بالداخل. لقد نجح في الحصول على عمل في طلاء بيت اليوم؛ لذا فلن يعود إلى البيت إلا بعد وقت طويل“.

”أيمكن أن تطلب منه أن يتصل بي عندما يعود؟“.

بدا ألبرت غير متأكد كيف يرد على هذا الطلب، لكنه قال أخيرًا: ”نعم، نعم، بالطبع. سأفعل. سأتصل بك في مركز الشرطة“.

ردت هلدا بسرعة: ”لا، اتصل بهاتفي المحمول، معك رقمي“. وابتسمت.

رد ألبرت ابتسامتها بابتسامة صغيرة، ثم أغلق الباب سريعًا.

(17)

بما أن الوصول إلى خدمات مترجم الشرطة الرسمي كان الآن غير مسموح بالنسبة لها، كان الحل الواضح هو أن ترى ما إذا كان بيارتور يمكنه المساعدة. عادت هلدا إلى سيارتها وانطلقت متوجهة إلى بيت المترجم غرب المدينة. ربما تكون هذه هي آخر

محطاتها، إلا إذا ظهرت معلومة مهمة في الأوراق. وبينما تشبث جزء منها بهذا الأمل، كانت تتنامى بداخلها فكرة أنها يجب أن تمتن بخلاصها من تلك القضية، وخلودها للراحة أخيرًا.

رن جرس هاتفها فأخرجته لتجيب. كان ماجنس ثانية.

قال: "هلدا". وبدا صوته كئيبًا.

قالت متوجسة: "نعم".

"لا أريد أن أحملك مشاغل أخرى اليوم، لكن هناك شيء نسيت أن أخبرك به: لقد ألقوا القبض على آكي هذا الصباح".

قالت، وقد ارتفعت معنوياتها قليلًا: "حقًّا؟ لإدارته شبكة دعارة؟".

"ضمن عدد آخر من الأعمال الإجرامية، لكن الجانب السلبي في الأمر هو أنهم اضطروا إلى تبكير العملية بأكملها، وتعجلوا في إنهائها.. كل هذا لأنك ذهبت واستجوبتِه دون تصريح".

أطلقت هلدا سبابًا في سرها.

"وهناك احتمال أنه قد استغل الفترة السابقة في تدمير التسجيلات والوثائق، وهو أمر شنيع. الأفضل أن تستعدي لاتصالهم بك ليتحدثوا معك بخصوص استجوابك له. سيرغبون في معرفة إذا ما كان قد أفصح بأي شيء، والمعلومات التي كنت تستجوبينه بشأنها..".

زفرت هلدا قائلة: "نعم، حسنًا... رغم أنه لا شيء جديد لدي أمنحه لهم".

"إذًا أخشى أن عليك أن تتحملي الإزعاج. الأمر بأكمله فشل فشلًا ذريعًا، لكن لا تدعيه ينال منك".

أكثر مما فعل بها؟ هكذا فكرت وهي تغلق الخط. شعرت هلدا بذنب كبير لأنها تسببت في تدمير تحريات زملائها، إذ تعلم كم الجهد الذي لا بد أنهم بذلوه فيها.

لقد كرهت ارتكاب الأخطاء.

حقًّا كرهت ارتكاب الأخطاء.

عندما كانت صغيرة السن، تقوم بأداء واجباتها المدرسية، اعتادت جدتها أن تنظر باستمرار من ورائها، تتأكد من كل إجابة، من كل موضوع تكتبه، سواء كان في اللغة أو الرياضيات أو الجغرافيا أو التاريخ...

وكانت انتقاداتها دومًا قاسية وظالمة، هكذا شعرت هلدا. مرة بعد أخرى، أخبرتها جدتها أن عليها أن تبذل جهدًا أكبر لتتحسن، وأنها بطيئة جدًّا، وأن عليها أن تتفوق على الأولاد، لربما تحصل على أي فرصة لتنجح في الحياة. وكثيرًا ما انهمرت دموعها بسبب تلك الأحاديث.

فقط عندما كبرت، تعلمت ما يسمى بمفهوم النقد البناء.

والآن، مجددًا، شعرت بالخزي الذي يعقب ارتكابها للأخطاء.

كان بإمكانها أن يكون أداؤها أفضل من هذا.

(18)

في هذه المرة، لم تُضِع هلدا الوقت بالذهاب إلى البيت، وإنما سارت مباشرة ملتفة حول مرأب بيارتور وطرقت على الباب. وإذ فعلت هذا، لاحظت لافتة أنيقة على الباب: "بيارتور هارتمانسن، مترجم فوري وتحريري".

أجاب طرقاتها على الباب بسرعة، وبدا مندهشًا لرؤيته هلدا.

"مرحبًا".

قالت بنبرة اعتذار: "مرحبًا بيارتور، إنها أنا ثانية". كانت واعية أنها دائمًا ما كانت تحارب طواحين الهواء، وأنها في مهمة لحل قضية لا رجاء منها.

قال بابتسامة، وهو يهرش شعره الأشقر بلون القش: "حسنًا، حسنًا. يبدو أنني صرت صديقًا قديمًا للشرطة".

سألته هلدا بلا اكتراث عن أحواله، لم تعن بالتحري عنه، لكنها خمنت، بالرغم من مظهره الصبياني، أنه لا بد يقترب من الأربعين، فالمرأة، التي من المفترض أنها أمه، والتي استجابت

لرنين جرس الباب في أول زيارة لهلدا بدت في نحو السبعين.

سألت بصوت ودود: "أمامك الكثير لتقوم به؟".

"آه، بالتأكيد، حسنًا... ليس الكثير في مجال الترجمة، وإنما الكثير مع المجموعات السياحية الروسية. أقسم أن دولارات السياح هي الشيء الوحيد الذي يبقي أيسلندا واقفة على قدميها هذه الأيام. لكن الأمور هادئة اليوم. أنا فقط... أكتب، كما تعرفين، أعمل على كتابي".

منذ الانهيار الذي حدث في النظام البنكي الأيسلندي، وما تبعه من انهيار عملة الكرونا الأيسلندية، ساعد الاهتمام بالسياحة بلا ريب في إعادة البلاد إلى مسارها، حيث أدخل السياح إلى البلاد العملة الصعبة مرتفعة القيمة. كان المشهد الآن أفضل قليلًا مما سبق، لكن الأزمة المالية ألقت على الجميع بظلها، وإذ سرحت هلدا بفكرها قليلًا، فكرت أن السياحة لن يكون لها دور كبير في إنعاش مواردها المالية. راتبها من وظيفتها ليس كبيرًا، والآن، كل ما أمامها لتتطلع إليه هو دخل ثابت، من معاشها الحكومي.

قال بيارتور، مقاطعًا أفكارها: "ادخلي. أخشى أن المكان ما زال مشوشًا قليلًا. لم أشتر حتى الآن مقعدًا للزوار، لذا عليك أن تستعملي الفراش". ثم تورد وجهه، وقال: "أقصد، كما تعلمين، أن تجلسي على الفراش".

عثرت هلدا على مساحة خالية من الفوضى أمكنها أن تجلس

فيها بصعوبة، بينما جلس بيارتور على مقعد مكتبه العتيق. كان جو الحجرة مكتومًا على نحو مزعج، إذ إن مجيء هلدا المفاجئ لم يمنحه أي فرصة لفتح النافذة.

سألته بفضول: "هل تعيش هنا في هذا المرأب؟".

"نعم، بالفعل. أنام وأعمل هنا. المكان هنا أكثر خصوصية كما ترين. أمي وأبي يملكان البيت، لكن لم يعد بإمكاني أن أعيش معهما أكثر من هذا. الوضع صار زائدًا عن الحد، أن نعيش مكدسين بعضنا فوق بعض هكذا. ولسوء الحظ، ليس لدينا قبو وإلا كنت انتقلت إليه، لكنهما سمحا لي باستعمال المرأب".

أرادت هلدا أن تسأله لماذا لم ينتقل ببساطة إلى شقة يتخذها لنفسه، لكنها لم تفعل، قد ينطوي هذا على وقاحة.

لكن بدا أن بيارتور يخمن السؤال غير المنطوق: "ليس من المنطقي أن أُحضر لنفسي شقة، ليس بعد، فهي مكلفة جدًّا، سواء استأجرها المرء أو اشتراها. أسعار المنازل ارتفعت إلى عنان السماء، وليس لي دخل منتظم. دخلي كله من اليد إلى الفم.. أعمال الترجمة، والجولات السياحية. أحيانًا أجري هنا وهناك، لا ألاحق على العمل، خصوصًا في الصيف، لكن عادة لا يوجد الكثير من العمل. ومع هذا، أنجح في ادخار القليل من النقود. ستنفعني في نهاية الأمر. أمي وأبي يحاولان التكيف، لذا فهما مضطران إلى تقليل نفقاتهما إلى حد ما".

أو قد يموتان، هكذا قرأت هلدا في تعبيرات وجهه.

قالت: "أردت أن أسألك معروفًا صغيرًا".

"أوه، حقًّا؟ ما هو؟".

سلمته مظروف الأوراق، التي تركها لها ألبرت.

"إنه يحتوي على بعض الوثائق التي استخرجها محامي إيلينا. لا أعلم إذا كان بها شيء مثير للاهتمام، لكنني لا أدخر جهدًا، هذه هي كل الحكاية". وابتسمت، مقللة من أهمية الأمر.

"فهمتك. بالمناسبة، كيف تسير التحقيقات؟ أرى أنك ما زلت تعملين على القضية".

قالت كاذبة: "نعم... بالتأكيد، لا أنوي الاستسلام". الحقيقة أنها على استعداد أن تترك القضية بكل سرور الآن. اليوم من بين كل الأيام، وهي لا تزال تترنح تحت وطأة الأخبار التي أبلغها بها ماجنس، كان العمل على هذه القضية هو آخر شيء تهتم بالقيام به، رغم أنها الشيء الوحيد الذي تبقى لها.

لا مهرب من حقيقة أن الرجل مات بسببها. لكنه كان مغتصبًا للأطفال، وهو ما قد خفف من وطأة الأمر على ضميرها، فبعض الجرائم لا يمكن اغتفارها ببساطة.

وهناك احتمال كبير أن تكون قد خربت تحريات زملائها عن أنشطة آكي. إن تاريخها المهني كمحقق شرطة في مهب الريح.

لا عجب إذًا ألا تكون في حالة تسمح لها بالعمل. ومع هذا، وبرغم كل شيء، أصرت بعنادها ألا تتخلى عن القضية، وها هي تواصل آخر مراحل السباق في الوقت الضائع.

قال بيارتور: "بالطبع سألقي عليهم نظرة من أجلك". واستدار بمقعده ليواجه المكتب، حيث أخرج الأوارق من المظروف وفردها أمامه. "فقط امنحيني بضع دقائق لأتصفحها".

"طبعًا". ثم في حدس مفاجئ أضافت: "أيمكنك أن تولي عناية خاصة لأي ذكر لواحدة اسمها كاتيا؟".

تساءل وهو ما زال منكبًّا على الأوراق: "كاتيا؟".

"نعم، أظن أنها كانت صديقة لها".

"حسنًا".

"ألم تعرفها؟ ألم تترجم لها؟".

"أبدًا".

"الحقيقة أنها مفقودة".

"مفقودة؟".

"حسنًا، إما أن تكون مفقودة أو أنها اختفت بإرادتها. كانت طالبة لجوء روسية أيضًا، وأنا أرى أنه ربما تكون هناك صلة بين القضيتين".

"حسنًا، لم يظهر أمامي شيء بعد. أول وثيقة هذه هي مجرد نوع من شهادات الإقامة من روسيا، لا بد أن تكون قد جاءت بها معها لتثبت هويتها".

قالت هلدا، محبطة قليلًا: "آه، فهمت". كانت تعلم أنها متعلقة بقشة، لكن هذه الأوراق كانت فرصتها الأخيرة. أضافت بنبرة مهذبة قدر استطاعتها: "من فضلك اقرأها بعناية".

"بالتأكيد".

راح بيارتور يقرأ الأوراق في صمت، موليًا ظهره لهلدا، بينما قبعت هي في وضع غير مريح على حافة الفراش، تنتظر والفضول يعذبها. امتد الصمت طويلًا، إلى أن أبدى بيارتور أخيرًا نوعًا من رد الفعل.

قال: "أوووه". وكان واضحًا من لهجته أنه عثر على شيء غير متوقع. أضاف: "أوووه".

"ماذا؟" نهضت هلدا وحدقت من خلف ظهره. كان يقرأ آخر صفحة، والتي كانت مكتوبة بخط اليد.

سألت وقد نفد صبرها: "هل عثرت على شيء؟".

"حسنًا... أريد أن... رغم..".

سألت، وقد احتد صوتها: "ماذا؟ ماذا يوجد في الورقة؟".

"إنها تتحدث عن رحلة قامت بها إلى الريف مع صديق رمزت له بحرف (ك). أيمكن أن تكون هي كاتيا؟".

”نعم، قد تكون هي، قد تكون هي“. وأحست هلدا أنها تضطرم حماسًا. أخيرًا.

”وشخص... لست متأكدًا ما إذا كان رجلًا أم امرأة..“.

”هلم، قل لي من هو..“.

”استعلمت أول حرف مرة أخرى. لكن من السياق يبدو أنه كان معهما رجل“.

”ما هو الحرف الأول من أسمه؟“.

”حرف (أ)“.

(19)

ضحك.

وقال: ”ضعي الفأس أرضًا وسنتحدث. ليست لديك الشجاعة لاستعماله على أي حال“.

وقد تملكها الرعب، وقفت متوجسة وظهرها إلى الباب، تلوح بالفأس مهددة بيد واحدة، بينما باليد الأخرى تتلمس طريقها إلى مقبض الباب.

لم يبد منزعجًا بالمرة، وتقدم خطوة نحوها. ثم، بحركة واحدة

سريعة، كان قد التحم بها وانتزع الفأس من يدها.

وللحظة، وقف ساكنًا تمامًا.

شلها الخوف تمامًا، رغم أن جميع غرائزها الداخلية كانت تصرخ بها أن تخرج.

ثم اندفع نحوها.

هل اصطدم الفأس برأسها؟ أحست لجزء من الثانية بإحساس محير بعدم التصديق، ما زال الصقيع يجمد أطرافها لدرجة منعتها من إدارك ما حدث.

ثم، رفعت يدها إلى فروة رأسها، وشعرت بانسياب الدم الدافئ.

(20)

"حرف (أ)؟".

"نعم".

"إنك لا تعني...؟".

قال بيارتور بإيماءة: "كانت هذه هي أول فكرة خطرت لي أنا أيضًا". وبدا عليه الفزع.

صاحت هلدا بصوت مرتفع: "ألبرت؟".

"نعم".

"لكن ربما، ربما لم يؤذهما بشيء. ربما الأمر يخص الإعداد لقضيتيهما. أكان هو محامي كاتيا أيضًا؟".

هز بيارتور كتفيه، وقال: "لا يبدو مع هذا أنه لم يؤذهما. إنها تلمح إلى حدوث نوع من العنف.. يبدو هذا في بعض مقتطفات من اليوميات. ربما أرادت أن تدون ما حدث كتابة، تحسبًا لحدوث أي شيء. على الأقل، أفترض أن إيلينا كتبت هذا. إنها تعرف القليل جدًّا من الإنجليزية، لذا، من الطبيعي أن تكتب بالروسية".

"ماذا؟ ومرت على ألبرت، هل هو جاهل بما تحتويه، لدرجة أن يعطيها لي؟".

قال بيارتور: "يا للسخرية. أتعرفين، أشعر وكأنما أحل لغزًا بوليسيًّا. اعتدت أن أقرأ الكثير من تلك الألغاز عندما كنت أصغر سنًّا". وابتسم ابتسامة عريضة، كأنه يستمتع بدور مساعد المخبر السري.

همهمت هلدا: "يا للمسيح..". كيف لها أن تحل هذا اللغز؟ أيعقل أن يكون ألبرت نفسه، وليس شقيقه، هو من لديه شيء يخفيه؟

قال بيارتور: "دعيني أنهيها". وحنى رأسه على الورقة ثانية، وراح يومئ وهو يقرأ، ويردد: "نعم، نعم". بدأ يتقمص الدور حقًّا. وقال رافعًا عينيه عن الورقة: "أتعرفين؟ أظن أني أعرف إلى

أين ذهبا. مكان بعيد نوعًا ما، على بعد ساعة ونصف بالسيارة من ريكيافيك". وذكر واديًا لم تسمع هلدا به من قبل، لكنها على أي حال تهتم أكثر بالجبال، فالوديان ليست لها نفس الإثارة.

استمر بيارتور: "مع هذا فالأمر غريب، لأنها تذكر بيتًا، لكن على قدر علمي، الوديان لا يقطنها أحد".

سألت هلدا: "أيمكنك أن تشير إلى المكان على الخريطة؟".

قال عارضًا بحماس: "يمكنني أن أقوم بما هو أفضل، يمكنني أن أصطحبك إلى هناك. ليس لدي ما أقوم به هنا".

"نعم، موافقة. أشكرك. وسأتحدث إلى ألبرت بعد ذلك. أيمكنك أن تترجم لي الوثيقة كلمة بكلمة؟".

"طبعًا، سأخبرك بما تقول ونحن نقود السيارة. إحم.. أيمكن أن نذهب بسيارتك؟ أنا.. إحم.. ليس لدي في خزان سيارتي وقود يكفي ليوصلنا إلى هناك".

من الواضح أن الحياة كمترجم لا تعني إلا الحياة بالكاد، هكذا فكرت هلدا، وأحست بوخز من الشفقة ناحية الرجل.

جلست خلف مقود سيارتها السكودا القديمة التي تثق بها. وركب بيارتور في المقعد المجاور للسائق، حيث قام بدور الملاح، وفي وسط ذلك، راح يقرأ عليها محتويات الوثيقة المكتوبة بخط اليد. ذهبت إيلينا في رحلة إلى الوادي في صحبة شخصين

آخرين: امرأة يبدأ اسمها بحرف (ك) ورجل يبدأ اسمه بحرف (أ). قضيا الليل في كوخ صيفي، لكن الإجازة انتهت قبل أوانها عندما تعدى الرجل جسديًّا على المرأة الأخرى.

ورغم أن هلدا وجدت صعوبة في تصديق أن ألبرت يمكن أن يتورط في أمر كهذا، لم تستطع أن تستبعده تمامًا. أمن المعقول أن يقتل كلا المرأتين، كاتيا وإيلينا؟ وما درجة تورط أخيه في الأمر؟

وعندما بدأ جرس هاتفها في الرنين، دعت بإخلاص ألا يكون ماجنس ثانية. ما زالت تعاني من الصدمة بعد آخر محادثتين لها معه، ما زالت لم تنجح في استيعاب كل التفاصيل. حقًّا كانت تحتاج إلى يوم آخر لتنتهي من تلك القضية، يوم تستعيد فيه توازنها. وقد ضبطت نفسها وهي تسرح بأفكارها، أنها ربما كان ينفعها أيضًا أن يعود بها الزمن عشر سنين إلى الوراء، رغم كرهها أن تعترف بذلك.

ركنت على جانب الطريق، وأخرجت هاتفها لتجيب، رغم أن هوية المتصل لم تكن معروفة لها.

"هلدا؟ مرحبًا، معك بالدر، بالدر ألبرتسن. شقيق ألبرت".

"ماذا؟ آه، نعم". بدا التوقيت ملائمًا على نحو غريب.

بدا عصبيًّا وهو يقول: "قال ألبرت إنك تريدين التحدث معي..".

"نعم، عن إيلينا، الفتاة الروسية التي كان يدافع عنها أخوك".

"نعم..".

"هل تعرفت إليها من قبل؟".

"أنا؟ لا..". تردد، وانتظرت هلدا، ثم أردف: "لا... لكني، الحكاية أني قابلتها مرة أو مرتين. لِم تسألين؟".

"أتمانع في أن تخبرني أين قابلتها؟".

"أحضرتها من نياردفيك مرتين".

"حقًّا؟ ولِم هذا؟".

"كخدمة لأخي. احتاج إلى أن يراها، لكن لم يكن لديه الوقت ليذهب ويحضرها بنفسه. كان مشغولًا في اجتماعات أو شيء كهذا. لذا فقد استعرت سيارته الجيب وقدتها إلى هناك لأحضرها. ليست خدمة كبيرة، ونحن نضيفها إلى مصروفات القضية.. كما تعرفين، الوقت الذي استغرقته، وتكلفة الوقود. هذه ليست مشكلة، أليس كذلك؟ الأمر كله واضح وصريح، رغم أن ألبرت، لو توخينا الدقة، لم يقد بنفسه. أنا أساعده عندما لا أكون منشغلًا.. هذا أقل ما يمكنني أن أقدمه مقابل عيشي معه. أحب أن أساهم بأي شيء، طالما في استطاعتي". تسارعت أنفاس بالدر، وبدا لهاثه واضحًا في الهاتف.

أهذا كل ما في الأمر؟ أكان بالدر ببساطة يؤدي لأخيه خدمة؟

"أشكرك يا بالدر. ليست هناك مشكلة. أردت فقط أن أتأكد قبل أن أستثنيك من تحرياتي. هناك من رآك وأنت تصطحبها من نياردفيك، فأردت أن أعرف السبب، هذا كل ما في الأمر. لا تقلق، كل شيء على ما يرام".

قال: "حسنًا، أشكرك. أنا... فقط لم أعتد على أن يكون لي صلة بتحريات الشرطة".

"اهدأ، كل شيء على ما يرام".

"حسنًا".

ما زالت هلدا تحتاج إلى أن تعرف إذا كان ألبرت هو محامي الفتاة الروسية الأخرى: كاتيا.

سألت، محاولة أن يبدو كأنه سؤال عرضي بقدر ما استطاعت: "بالمناسبة، هل شقيقك معك يا بالدر؟ لدي سؤالان له هو أيضًا".

ساد الصمت على الناحية الأخرى من الخط.

قال: "حسنًا... لا، هو ليس هنا". وبعد تردد أضاف: "لا أعرف أين هو، حقًّا".

"حسنًا بالدر، لا مشكلة. شكرًا على اتصالك".

حاولت الاتصال بهاتف ألبرت. تزايد شعورها بضرورة الوصول إليه، وخشيت، لو كان هو القاتل، أن يحاول مغادرة البلاد، أو

شيء كهذا.

لم يأتها رد.

وعندما أغلقت الخط، راحت أفكارها فجأة في اتجاه الفتاة السورية، أمينة. ثمة شيء كان يتردد في رأسها. تعليق ما ورد بلا قصد على لسان أمينة... تفصيلة مهمة أغفلتها هلدا لأول وهلة. اللعنة. كانت تهتم قديمًا بتدوين الملاحظات، وكانت ذاكرتها أفضل في تلك الأيام كذلك. كان شيئًا... شيئًا قالته... استحضرت هلدا صورة الفتاة في زنزانتها. البغاء، نعم: لقد أنكرت أمينة بشدة أن تكون إيلينا متورطة في العمل في البغاء. وكان إنكارها مقنعًا أيضًا. وقد نبهت هلدا أيضًا إلى وجود المرأة الروسية الأخرى، كاتيا. وقد أشارت إلى تصريح الإقامة.. أن إيلينا قد منحت حق البقاء في البلاد... نعم، كان هو هذا... كان أمرًا له صلة بهذه المعلومة. لكن ماذا كان بحق الجحيم؟ ما زالت الذاكرة تراوغها، ما زال الأمر يحاورها ويحيرها.

سألها بيارتور مقاطعًا أفكارها، قبل أن تشغل السيارة مجددًا: "آسف، أيمكنني استعارة هاتفك لدقيقة؟ نسيت فقط أن أخبر والدي بذهابي. وأنا، حسنًا، لم يتبق معي أي رصيد". واحمر وجهه ثانية.

ناولته هاتفها قائلة: "بالطبع".

نقر الأرقام وانتظر. "مرحبًا أبي، اسمعني... نعم، أعرف...

على أمي أن تفعل هذا بنفسها... لا يا أبي، لا يمكنني أن أفعل ذلك الآن... أنا أساعد تلك السيدة من الشرطة... نحن نعمل على قضية..". نظر إليها ودارت عيناه في محجريهما، ثم خرج من السيارة، وهو ما زال يتحدث.

تذكرت هلدا تلك الأيام، عندما كان يشار إليها بكلمة: فتاة وليس سيدة.

وأثناء غيابه، انتهزت هلدا الفرصة لتشغل المذياع وتسترخي في مقعدها لدقيقة. كان يومًا طويلًا، وهو لم ينته بعد. لكن السماء كانت صافية، وبعد البداية غير المشجعة، ها هو المساء مشمس جميل. فكرت هلدا أن شهر مايو هو قطعًا أفضل أوقات السنة في وطنها الشمالي البارد.

وبعد دقيقتين، عاد بيارتور إلى السيرة، وقال: "آسف على ما حدث، يمكننا أن ننطلق الآن". ثم ابتسم وقال: "أمامنا فقط نصف ساعة أخرى أو نحو ذلك".

لقد انطلقا بالسيارة لنحو الساعة بالفعل، وكان الجوع يقضم معدة هلدا، فهي لم تتناول شيئًا منذ بسكويت "برنس بولو" الذي تناولته هذا الصباح. وقد تزايد إرهاقها أيضًا. ربما تطلب من بيارتور أن يقود السيارة أثناء عودتهما. من الأفضل ألا يتضح أن هذه الرحلة لم تكن إلا مضيعة للوقت. لقد قطعت على نفسها عهدًا أن تدع القضية مع نهاية اليوم، لكن هل ستتمكن من الوفاء

بعهدها؟ ما زالت تشعر بضيق لعدم قدرتها على التحدث إلى ألبرت. كان يجب أن تتحدث إليه.

أم أنه كان عليها ببساطة أن تطيع الأوامر: أن تأخذ جميع الأدلة التي جمعتها إلى ماجنس وتتركه ينهي القضية؟ لن تكون مزحة حين تخبر ماجنس بشكها في ارتكاب زميلهم القديم ألبرت لجريمتي قتل. للشباب عادة هي أنهم يوثقون علاقتهم بعضهم ببعض، وكان ألبرت مقبولًا كواحد من شلتهم، رغم كونه محاميًا وليس شرطيًّا.

أطلقت سبة في سرها. ربما عليها أن تتجاهل الأمر. تنتهي من هذه الرحلة وتغلق القضية.

إنها تفتقد بيتر، وفجأة أدركت أنها تكاد الآن أن تكون سعيدة بتقاعدها، وأنها متحمسة لفكرة قضائها سنوات الجلال معه. يمكنهما أن يقوما بالكثير معًا، يسافرا في أنحاء أيسلندا، أو حتى إلى الخارج، ويستمتعا بالحياة في صحبة بعضهما. ستستمر في ممارسة نزهاتها في الجبال، وستتنزه الآن مع بيتر، لكن يمكنها أيضًا أن تكتشف هوايات جديدة، ما زالت تتمتع بلياقتها وهي تحتاج إلى الاستمرار في نشاطها. بل يمكنها أيضًا أن تجرب لعب الجولف، الرياضة المفضلة لكثير من زملائها. ما زالت في الرابعة والستين فقط، وأمامها أمور كثيرة تتطلع إليها، يمكنها أن تجرب –بمعاونة بيتر- أن تنحي ظلام الماضي خلف ظهرها. لم تر الأمور بمثل هذا الوضوح منذ وقت طويل.

كانت تتطلع كثيرًا إلى العودة إلى البيت والذهاب إلى الفراش، لتبدأ حياة جديدة مع شروق شمس الغد: حياة جديدة مع بيتر.

(21)

بعد دقيقة، تحسس المنضدة باحثًا عن واحد من مصابيح الرأس وأناره. وبعدها، خفض نظره محدقًا فيها، محاولًا استيعاب ما فعله. كان يحب تلك المرأة، والآن، هي راقدة عند قدميه وقد فارقت الحياة. لقد قتلها. كان الأمر كله غريبًا على نحو ما.

يجب أن عليه في هذا الموقف أن ينقذ ما يمكن إنقاذه. يفكر بمنطقية. يحاول أن يمنع انسياب كثير من الدماء على أرضية الكوخ.

فكر. أهم حقيقة هنا هي أنه لم يخبر أي شخص آخر عن هذه الرحلة. ولن يخطر ببال أحد البحث عنهما هنا أو البحث في الكوخ عن دليل على الجريمة.

ما زال الظلام سائدًا، وهو ما يعني أن أمامه الكثير من الوقت. كل ما عليه هو أن يحافظ على رباطة جأشه، وأن يتصرف بمنهجية.

كانت أول مرة يقتل فيها أحدًا، والحقيقة أن الأمر كان سهلًا بشكل مزعج.

(22)

قال بيارتور: "أعتقد أننا على الطريق الصحيح. هذا هو الوادي الذي ذكرته إيلينا، رغم أني لا أعرف أي مبانٍ هنا. لكني لم أزر المنطقة منذ وقت طويل". ثم أضاف: "أأنت متأكده أننا يجب أن ننطلق هنا؟ أنا حقًّا غير معتاد على.. أقصد تعقب قاتل..".

قالت هلدا: "لا يمكننا أن نستدير عائدين الآن بعدما قطعنا كل تلك المسافة. سيكون كل شيء على ما يرام. لا أعتقد أبدًا أننا معرضان لأي خطر. أهذا هو الاتجاه الصحيح؟ هل نبقى منطلقين في الوادي؟" ضاق الطريق حتى انحصر في مسار يملؤه الحصى، وراح سطحه يتدهور مع كل كيلومتر يقطعانه.

"نعم، صحيح".

ومع تقدمهما في طريقهما مترجرجين على امتداد الوادي، نحت هلدا جانبًا خاطرًا سريعًا راودها عن سيارتها السكودا، إذ راودها القلق ألا تستطيع مواكبة الحفر الكبيرة التي يمتلئ بها الطريق، لكن مشاغل أخرى تزاحمت في رأسها مستولية على انتباهها: الموت الذي وقع في المستشفى، الأم التي في طريقها إلى السجن، التداعيات المحتملة لهذا الحادث المؤسف على هلدا نفسها، الطريقة التي دمرت بها كل شيء خلال أسبوع واحد حافل بأحداث فظيعة. كانت إيلينا تتلاشى تدريجيًّا من مخيلتها،

وقد نحتها بعيدًا هذه المشاغل الأخرى.

كان مساء جميلًا، الشمس دانية في سماء خالية تقريبًا من السحب، ومجموعة من الشتلات المزروعة حديثًا ألقت بظلال طويلة على عشب الوادي الذابل. لم تخضر المنحدرات بعد، إذ لم يأت الربيع هنا في الشمال بعد، مثلما أتى جنوبًا في المدينة. ولوهلة، عندما نظرت هلدا حولها إلى المساحات الشاسعة المفتوحة، والسماء الصافية التي لا تحدها حدود، شعرت بالحرية، وبأن قدراتها لا حدود لها. لكن سرعان ما فرض الإرهاق نفسه مجددًا، وشعرت بأنها لا تريد شيئًا إلا أن تستمتع بالطقس الجميل في أي مكان آخر، وأفضل مكان هو أن تطل على حديقة بيتر في فوسفوجور.

همهمت بعد مضي خمس دقائق أخرى من انطلاقهما الذي يكسر العظام: "ربما علينا أن نتوقف".

قال بيارتور: "آه، أتفق معك. هناك منطقة أفضل يمكننا أن نستدير فيها، على بعد مئة متر فقط أو نحو ذلك". وفي اللحظة التالية، صاح بنبرة ظافرة: "بيت! انظري، هناك مبنى. إنه جديد. لم يكن هنا في آخر زيارة لي".

أبطأت هلدا من سرعة السيارة، وتبعت إشارة إصبع بيارتور.

قال مقترحًا: "هل نفحصه؟ أظن أنه البيت الذي كانت تشير إليه إيلينا".

قالت هلدا: "قطعًا".

كان وصف "بيت" مبالغًا فيه، فمع اقترابهما منه، اتضح أنه كوخ أو كشك بدائي، مجاور لما بدا أنه موقع بناء. ورغم انعدام ما يدل على وجود عمال، كان من الواضح أن هذه أساسات لبيت أكبر حجمًا، ما زال تحت الإنشاء. ركنت هلدا سيارتها أمام الكوخ، وكعادتها، فحصت المنطقة بعينيها جيدًا، قبل أن تخرج من السيارة. من المستحيل على أي أحد أن يختبئ هناك، في تلك المساحة المفتوحة التي ملأها العشب، في ليل الصيف المنير. لم يكن هناك حتى أي صخور. والمكان الوحيد الذي يصلح كمخبأ هو الكوخ نفسه.

التقت عينا هلدا بعيني بيارتور، قالت: "ليس ثمة ما نراه هنا".

سألها: "ألا يجدر بنا على الأقل أن نلقي نظرة بالداخل؟".

قالت معترضة: "لا نضمن ما قد يوجد بالداخل". رغم إحساسها برغبة شديدة في مخالفة القواعد. على أي حال، ما الذي لديها لتخسره؟ لا سيما الآن، وقد قطعا كل هذه المسافة.

قال بيارتور مقترحًا: "يمكننا أن ننظر من خلال النوافذ".

هزت هلدا كتفيها. لا يمكنها أن توقفه.

دار حول الكوخ الصغير، ونظر متلصصًا من النافذة. وبعدها، ودون تحذير، أدار المقبض فانفتح الباب. صاح: "لقد انفتح".

وقبل أن تتمكن من القيام بأي رد فعل، دخل إلى الكوخ.

همهمت هلدا: "أوه، يا للجحيم". وانطلقت مسرعة وراءه، قائلة لنفسها إنه حتى لو عرف أي أحد بهذه المخالفة، فلن تطرد من عملها مرتين.

ومع دخولها إلى الكهف، أحست بضربات قلبها تتسارع من الإثارة، وراح الأدرينالين يتدفق في عروقها، وبالإضافة لهذا، بدا عقلها فجأة وكأنه استيقظ من سباته: تعليق أمينة الذي راوغها، الذي ظل يتملص منها طيلة الساعتين الماضيتين، بزغ في ذهنها كبرق ساطع. المساء الذي سبق موتها، جلست إيلينا لتتحدث طويلًا في الهاتف في ردهة النُّزُل. لكن هلدا الآن تتذكر بوضوح ما قالته لها موظفة الاستقبال أن المكالمات الدولية ممنوعة. وإيلينا لا تتحدث إلا الروسية. أمن الممكن أنها كانت تتحدث إلى بيارتور؟

بيارتور.

إلى أين ذهب؟ لا تستطيع أن تراه في أي مكان بداخل الكوخ الصغير. وقبل أن تتمكن من الاستدارة، شعرت بضربة ثقيلة تستقر فوق رأسها.

(23)

استغرقه تنظيف الكوخ بعض الوقت، إذ أعاقه الظلام، وحتى حينها، كان من الواضح أن عليه العودة بأسرع ما يمكنه ومعه منظفات أقوى، ليحاول إزالة أي آثار متبقية. أحس بشعور غريب وكأنه منفصل عما يحدث، وكأن رجلًا آخر غيره هو من ضرب المرأة على رأسها بالفأس، وأنه يزعجه بمهمة التنظيف وراءه. على نحو ما، شعر بالأسف على كاتيا، لكنه في الوقت نفسه كان غاضبًا منها بشدة لأنها تصرفت بمثل تلك الحماقة. لم تكن تستحق أن تموت، لكن في هذه الظروف، لم يكن أمامه إلا أن يقوم بما قام به.

ألقى نظرة على سجل الضيوف، ومنه تأكد أن أيامًا، أو ربما أسابيع تمر بين كل زيارة وأخرى إلى هذا الكوخ، في مثل هذا الوقت من العام، لذا يمكنه أن يفر بفعلته لو أنه عاد مباشرة هذا المساء.

لكن الآن، الأولوية هي لتجهيز الجثة.

لقد وضعها في كيس النوم الخاص بها وأغلق عليها السحاب، ثم جرها حتى وصل إلى سيارته، واثقًا من أن الثلوج المنهمرة ستغطي آثاره بسرعة. وفي الساعات المظلمة التي سبقت طلوع الفجر، وفي هدأة الشتاء، بعيدًا عن مظاهر الحضارة، كان واثقًا

من قدرته على التصرف دون أن يراه أو يقاطعه أحد. أما المشكلة فكانت تكمن في كيفية الخلاص من الجثة. جميع الحلول التي توصل إليها تنطوي على مخاطرة، بعضها أكبر من الآخر.

وفي النهاية، حسم أمره بأن يقود السيارة متوغلًا في الوادي، متوجهًا نحو أقرب غطاء جليدي. كان يعلم بوجود حزام من الأخاديد الجليدية تفي بالغرض وتزيد. كانت وجهته النهائية غير قابلة لقيادة سيارته فيها، ففي تلك الظروف الجوية التي يسودها الجليد، سيصبح أكثر أمانًا أن يقطعها بالزلاجات. هذا الأسلوب لا يصلح أبدًا في الصيف، حيث تزدحم الأنهار الجليدية بالسياح، لكن في هذا الوقت من العام، كان الأمر يستحق المخاطرة. وهكذا، انطلق في طريقه، حيث سيحرص على أن تختفي كاتيا إلى الأبد.

(24)

لوقت طويل جدًّا، أغمضت هلدا عينيها عن الحقيقة. لقد عاشت التبعات المدمرة لتلك الحقيقة لربع قرن حتى الآن. لم تكن متأكدة حين أدركت ما كان يحدث، لكن حينها، كان الوقت قد تأخر جدًّا. ألقت باللوم تارة على الإنكار، وتارة على عجزها عن رؤية ما يحدث أمام ناظريها. لم تفارقها السخرية المريرة التي أذاقها إياها هذا الموقف. على أي حال، هي كانت تغبط نفسها على قوة إدراكها، واعتبرت نفسها واحدة من أفضل محققي الشرطة،

من بين جميع زملائها، تحديدًا لأنه لا يفوتها فائتة، ولأنها تتمتع بموهبة اكتشاف الحقيقة وسط الأكاذيب والخداع، متقدمة في هذا المضمار على جميع زملائها.

لكن عندما ارتُكبت الجريمة في بيتها، لم تلاحظ شيئًا.

أو لم تُرد أن تلاحظ شيئًا.

مواجهة الحقيقة كانت شيئًا لا يمكن تصوره. لقد أحبت جون غالبية سنوات رشدها، فلقد تزوجا صغيري السن، ولقد عاملها دومًا معاملة حسنة، وكان زوجًا أمينًا يمكن الوثوق به. ولقد أزهر حبهما، على الأقل لبعض الوقت، وكان حبًّا حقيقيًّا، ولقد تذكرت أولى سنوات خطبتهما، حيث غرقت من قمة رأسها حتى أخمص قدميها في حب هذا الرجل الأنيق الوسيم، الذي بدا متمدينًا ومتحضرًا جدًّا. لذا فقد كان من السهل جدًّا أن تغفل شواهد أساسية، وأن تقنع نفسها بأن لها معنى آخر.

لقد سعدا هما الاثنان أيما سعادة عندما وُلدت ديما، كانا حقًّا والدين فخورين بها. لكنها حين بلغت العاشرة، طرأ على سلوك ابنتهما تغير، وأصبحت مزاجية ومنسحبة، تعاني من نوبات اكتئاب. ومع هذا لم تدرك هلدا شيئًا. لقد سمحت لنفسها برفاهية أن تحيا في جهل، وأقنعت نفسها أن السبب لا يمكن أن يكون في البيت.

بطبيعة الحال، حاولت هلدا أن تتحدث إلى ابنتها. سألتها: لم

تشعر بمثل هذا السوء؟ ماذا حدث ليضايقها؟ لكن ديما برهنت على عنادها وعدم ميلها للتواصل، ورفضت أن تمنحها أي إجابات، وأصرت على أن تعاني في صمت. وفي لحظات اليأس، ساءلت هلدا نفسها بسخرية: هل جلبا هذا بشكل ما على أنفسهما بأن اختارا لابنتهما هذا الاسم غير المعتاد؟ ديما يعني الظلام. وكأنهما لعناها منذ ولادتها، رغم أنهما لم يختارا الاسم إلا لرنينه الشعري اللطيف. أما في أعقل لحظاتها، فقد كانت تنفض عنها مثل هذه الأفكار باعتبارها محض هراء.

عندما تستعيد الأحداث، كانت هلدا تندم لأنها لم تضغط أكثر على ديما، ولأنها لم تصر على أن تحصل على إجابة. لقد وقعت الطفلة في ورطة ميؤوس منها، ومع كل يوم يمر، راحت تغرق أكثر في الهاوية.

في تلك الأسابيع القليلة التي سبقت قتل ديما لنفسها وهي فقط في الثالثة عشرة من عمرها، عانت هلدا من اضطراب نومها، وكأنها كانت تحدس وقوع الكارثة. ومع هذا، فشلت في التدخل بالقوة التي كانت ربما ستنقذ حياة ديما.

وفي اللحظة التي ماتت فيها ديما، وفي اللحظة التي رأت فيها رد فعل جون، هوت عليها الحقيقة. لم تَحْتَجْ حتى إلى أن تسأل. عالمها بأكمله تحول بين عشية وضحاها. لكن لسبب ما، استمرا في تمثيل دوريهما، عاشا في نفس البيت، وواجها العالم الخارجي كأسرة مترابطة، رغم أن زواجهما كان قد انتهى في تلك

اللحظة. ربما أرادت تجنب الانزلاق إلى مواجهة مباشرة مع جون، إذ خشيت تلوث سمعتها على نحو ما بالتواطؤ في جريمة بشعة كهذه. الألسنة التي ستلوك سيرتها، والهمسات بأنها لا بد كانت تعلم، وبأنها كان حريًّا بها أن تفعل شيئًا، وبأنها كان بوسعها أن تمنعه وتنقذ حياة ابنتها. تنقذ حياة ديما. أما أكثر جزء لا يحتمل فهو أنه ربما كانت هناك لمحة من الحقيقة في تلك الاتهامات. لذا لم تقل كلمة للرجل الذي كانت تهتم به ذات يوم. لم تسأله أبدًا ماذا فعل للابنة التي أحبتها أكثر من الحياة نفسها. لم ترد أن تعرف كم استمرت الانتهاكات. لكن ثمة أمرًا واحدًا كانت متيقنة منه: انتحار ديما حدث كنتيجة مباشرة لتلك الانتهاكات. ربما بخعت ديما نفسها، لكن جون يتحمل المسؤولية كاملة عن موتها.

إضافة إلى هذا، لم تستطع هلدا أن تتحمل الاستماع إلى أي من التفاصيل، أن تتصور أيًّا من الأفعال المريضة التي عرض لها ابنتها.

وعندما ماتت ديما، مات شيء بداخل هلدا أيضًا. ففي أعمق أعماق معاناتها، عندما كان الألم لا يحتمل، في الأيام التي شعرت فيها بأنها تستحق اللوم على ما حدث، وهي أيام لا حصر لها، وليال لا عد لها لم تذق فيها للنوم طعمًا، كان الشيء الوحيد الذي ساعدها على الاستمرار هو حقدها الرهيب على جون.

لم يتحدثا عن ابنتهما ثانية أبدًا، لم يتفوها باسمها بعضهما لبعض. لم تتحمل هلدا أن تتحدث عنها في وجود هذا الغريب،

هذا... الوحش. ولقد فهم جون أن عليه ألا يشير إلى ديما ثانية في وجود هلدا.

(25)

استغرقت هلدا بعض الوقت لتثوب إلى رشدها. في البداية، لم تستطع أن تتذكر ما حدث، أو أين هي أو من كان معها. لكنها عندما استعادت الأحداث أخيرًا، وحاولت أن تفتح عينيها، أحست بصداع أغشى بصرها.

كانت مُمددة في مكان ما. وفوقها كانت سماء الليل المضيئة، لكن... أهذه هي الأرض؟ أين هي؟

أغمضت عينيها ثانية. يا للمسيح، رأسها يكاد أن ينشق لنصفين. لقد ضربها.. بيارتور ضربها على رأسها. فتحت عينيها قليلًا، فاكتشفت، لرعبها وعدم تصديقها، أنها كانت راقدة في حفر أساسات موقع البناء الموجود في الوادي.

وبعدها، لمحت بيارتور يمسك بمجرفة.

حاولت أن تصرخ، لكن بمجرد أن فتحت فاها، امتلأ بالرمال. راحت تلفظها، ونجحت في أن تصرخ من خلال شفتيها المضمومتين: "ماذا تفعل؟".

ابتسم بيارتور، وبدا هادئًا على نحو مخيف.

قال ببطء: "لأكون أمينًا، لم أتوقع أن تستعيدي وعيك. يمكنك أن تصرخي كما تشائين، نحن وحيدان هنا. هذا المكان ملك صديق لي. لقد ساعدته في بناء كوخ لتمضية الإجازات هنا".

جاهدت بلا فائدة لتنهض.

أضاف: "لقد قيدتك على أي حال، فقط لتوخي جانب الحذر". وألقى فوقها كومة من التربة. ارتطم التراب بعنف، بوجهها وصدرها. ولقد أغمضت عينيها غريزيًّا، وعندما فتحتهما ثانية، أحرقتهما ذرات الغبار.

"ماذا تظن أنك تفعل بحق الجحيم؟" سبته، وقد تنحى خوفها جانبًا مؤقتًا، مفسحًا المجال لغضب لا يصدق.

"أدفنك في الأساسات، وسأحرص على أن تختفي، تحت الكوخ".

راح عقلها يعمل بسرعة جنونية، إذ كانت هلدا تسابق الزمن.

"أيمكنني... أيمكنني أن أشرب جرعة ماء؟".

"ماء؟".

فكر في الأمر، وقال: "لا، لا فائدة من هذا. إنه خطؤك كما تعلمين. ما كان يجب أبدًا أن تأتي وتدسي أنفك في شؤوني، وتسأليني عن كاتيا. لم يلاحظ أحد الصلة بين كاتيا وإيلينا... وبيني. لا يمكن أن أخاطر. أنت طبعًا تتفهمين موقفي؟".

”هل تعني أنك ستقتلني؟“.

”أنا... أنا سأدفنك. وبعدها، من المفترض أن تموتي“.

وبينما راح قلب هلدا يتواثب في قفصها الصدري، قامت بمحاولة محمومة لتحرر نفسها من القيود، لكنها وجدت أنه لا يمكنها إلا أن تتقلب من جانب إلى آخر. وضع بيارتور طرف المجرفة على صدرها، وضغطها بشدة، صائحًا: ”ارقدي ساكنة!“.

سألته هلدا: ”أهكذا... أهكذا تخلصت من كاتيا؟“ أي شيء لتحثه على الاستمرار في التحدث.

”نوعًا ما. لكنها... راقدة في مكان آخر“.

”أين؟“.

”لا أعتقد أن هذا يعنيك. لكن من ناحية أخرى، لا أعتقد أنه سيمكنك أن تخبري أي أحد. إنها في مكان أبرد من مكانك أنت“. وابتسم ابتسامة عريضة، ثم أكمل: ”لقد ذهبت في رحلة إلى الريف معي أيضًا، رغم أن الظروف كانت مختلفة تمامًا. كما تعرفين، كنت واقعًا في حبها، وهي كانت تعرف. ظننت الرحلة ستكون بداية لعلاقة تنشأ بيننا، لكنها كانت تفكر بطريقة أخرى، و... حسنًا، ما حدث قد حدث“.

جاهدت هلدا لتنظم أنفاسها، لتقاوم موجة الرعب التي بدأت تجتاحها، حتى يمكنها استعمال عقلها. لا بد أن تتمكن من

التفكير في طريقة تخرجها من هذا المأزق. لا بد أن تخدعه بكلامها. ولتفعل، احتاجت إلى أن تكسب وقتًا، وأن تنخرط معه في محادثة. أي شيء ليبقى عقلها بعيدًا عن فكرة الدفن حية.

قالت، متحكمة في نبرات صوتها: "وأنت قتلت إيلينا، أليس كذلك؟ لقد انخرطتما أنتما الاثنان في محادثة هاتفية طويلة في المساء السابق ليوم مقتلها. لم تذكر هذا أبدًا".

قال بيارتور: "إيلينا. لقد أدركت ما حدث". كان قد عاد لجرف التربة وإلقائها فوق هلدا، لكنه الآن توقف ثانية، وسند طرف مجرفته على الأرض لدقيقة. "كانت إيلينا هي الشخص الوحيد الذي علم بأنني وكاتيا صديقان مقربان. لم تكن لتتوقف عن إزعاجي بما حدث لها. في البداية، كذبت وقلت إنني ساعدت كاتيا على الهروب من السلطات، وأنها تختبئ بعيدًا في الريف. لكن إيلينا ظلت تلح علي أن أدعها ترى كاتيا. وبعدها، اتصلت بي في مساء ليلة... موتها. هددتني بأنها ستذهب إلى الشرطة. حاولت أن أقتعها بألا تفعل. كنت مضطرًا إلى إيقافها، لا بد أنك تتفهمين هذا؟".

أومأت هلدا برأسها.

"دعوتها لنزهة على شاطئ البحر في وقت متأخر من ذلك المساء. ولم يكن هناك ما يدعوها إلى الخوف مني".

(26)

قالت إلينا عبر الهاتف: "لا بد أن أرى كاتيا! لا بد!".

رد بيارتور: "حسنًا، لا يمكنك هذا". كان جالسًا في مرأبه، أو بالأحرى مرأب والديه. كان شهرًا مليئًا بالتحديات: عمل قليل جدًّا يأتيه، وكان يشعر بفتور شديد منعه من الكتابة. حادثة المرتفعات كانت تلتهم عقله. ظل يستعيدها في عقله مرارًا وتكرارًا، تلك اللحظة التي اضطر فيها إلى أن يقتل المرأة التي أحبها. كاتيا، التي جاءت إلى البلاد طالبة اللجوء، التي التقاها حين كُلف بالترجمة لها. لقد انسجما كثيرًا من البداية، أو هكذا اعتقد هو. وكانت هي جميلة جدًّا. ومع عدم استطاعة كاتيا التحدث بكلمة إنجليزية واحدة، فقد لجأت إليه دومًا ليساعدها، وأحيانًا كان ينتهي بهما الأمر أن ينخرطا في المحادثة طيلة المساء. لقد تشاركا في اهتمامهما بالطبيعة وبالأدب الروسي. لم يكن من السهل عليه أبدًا من قبل أن يحادث النساء، نساء أيسلندا، ما علينا، والآن، بما أنه قد جاوز الأربعين، فقد وطن نفسه تمامًا على أن يكون أعزب، لكن كاتيا حينها دخلت حياته. لقد تخيل أنه يتزوجها، وهو ما كان سيمنحها حق الإقامة بشكل تلقائي. ربما يمكنه الانتقال من بيت والديه، أو أن ينقلهما إلى دار مسنين، وينتقل هو إلى بيتهما مع كاتيا. وفي خيالاته، خطط بالفعل لمستقبلهما معًا، وكان ينتظر فقط اللحظة المناسبة، واثقًا من أن كاتيا تشاركه نفس

شعوره. إنها تحبه. وبعدها ذكرت له عرضًا خلال محادثاتهما أنها تود الخروج من المدينة لبعض الوقت. وفورًا، فهم كلامها بمعناه الحرفي، معتقدًا أن هذه هي فرصته. سيصطحبها متوغلًا داخل البلاد، حيث يمكنهما أن يقضيا وقتًا في أحد الأكواخ الجبلية. وهناك، عندما يكونان وحدهما تمامًا، منقطعين بعيدًا عن العالم أجمع، ستبدأ علاقتهما.

لكن الأمور اتخذت منحى مختلفًا تمامًا. انتهى الأمر بأن يضطر إلى قتلها. بالطبع لم يكن يريد أن يفعل هذا، لكن المرء، أحيانًا، لا يملك الخيار. وهكذا كان الوضع في حالة إيلينا، فلقد أُجبر على قتلها هي أيضًا. كانت تداوم على السؤال عن كاتيا، وكان مضطرًّا إلى أن يكذب، وأن يدعي أنه ساعدها على أن تختبئ، وأن كاتيا نما إلى علمها أنها على الأرجح لن تحصل على تصريح الإقامة فأصابها الهلع. وبالطبع، لم يكن هذا صحيحًا كذلك، لكن كان عليه أن يختلق سببًا معقولًا يبرر لِم كان عليها أن تهرب. ولم تبحث إيلينا عن مدى صحة قصته.

كان يبتهل أن يتم ترحيل إيلينا من أيسلندا قريبًا حتى لا يكون مضطرًّا إلى رؤيتها مجددًا، وألا يُعرف مصير كاتيا أبدًا. لقد أجرت الشرطة بحثًا عنها، لكن لم يكن هناك من يعلم برحلتهما إلى الجبال، ولم يكن هناك أحد –باستثناء إيلينا- يعلم بأنه وكاتيا كانا متفاهمين. كانا متفاهمين حتى حلت ليلتهما في الكوخ.

لكن بعدها، جاء يوم مكالمة إيلينا الهاتفية. لقد قيل لها، كما

استطاعت أن تفهم بإنجليزيتها المحدودة، أن طلبها قد قُبل. ولقد ألقت مكالمتها التي أخبرته فيها بهذه الأخبار الروع في قلبه، ولقد أرادت أن ترى كاتيا، وأن تخبرها بالأنباء الطيبة وتقنعها بأن تسلم نفسها حتى يمكنهما أن تبدآ حياة جديدة معًا في أيسلندا.

قالت إيلينا بإصرار: "يجب أن أراها. وأنت الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يساعدني. فقط أخبرني أين هي.. لن أخبر أحدًا. فقط أريد أن أراها، أن أتكلم معها".

قال: "لا يمكن أن نخاطر بهذا".

ساد الصمت على الناحية الأخرى من الخط.

صاحت إيلينا: "إذًا سأذهب إلى الشرطة".

"الشرطة؟".

"نعم. سأذهب إليهم وأخبرهم أنك ساعدتها على الفرار. وعندما تستجوبك الشرطة، ستضطر إلى إخبارهم بالحقيقة. وهكذا ربما تكون لديها فرصة، أتفهم؟ فرصة في أن تحصل على تصريح إقامة. ولكن عليها أن تسلم نفسها أولًا!".

ساد الصمت مرة أخرى. لقد ظلا يتحدثان في الهاتف لوقت طويل حتى اضطربت أعصاب بيارتور. لقد أنهكه اضطراره إلى الكذب. والآن، هو خائف أيضًا.

لا يمكنه أن يذهب إلى السجن. لا يمكن. يجب ألا يفتضح أمر

الجريمة. كان جسدها يرقد بأمان في قاع الهوة، ولقد بذل أقصى ما يستطيع كي يمحو أي آثار تدل على الجريمة من الكوخ. علاوة على هذا، لا أحد، ولا أي مخلوق، يعلم أي شيء عن تواجدهما هناك. لقد فر بفعلته، أو هكذا ظن، حتى جاءت تلك العاهرة إيلينا وقررت أن تدمر كل شيء.

قال أخيرًا: "حسنًا".

كررت إيلينا خلفه وقد بدا عليها الذهول: "حسنًا؟ تريدني أن أذهب إلى الشرطة؟".

"لا، سأخبرك بمكانها. أو... أليس من الأفضل أن تأتي معي هذا المساء وتريها بنفسك؟".

"ماذا؟ أأنت جاد؟ نعم، بالطبع سآتي".

"أنا متأكد أن الأمور ستسير على ما يرام. إنه يوم مميز، وأخبار رائعة... سأصطحبك إلى هناك".

وأثناء حديثه، كانت تروس عقله تدور بسرعة، تحدد أفضل بقعة: الكهف الصغير المنعزل عند فليكافيك، في منتصف المسافة بين ريكيافيك وكيفلافيك. كانت منطقة يعرفها جيدًا، من خلال عمله كمرشد سياحي، وكان يعرف كثيرًا من جغرافيا بلاده، إما من خلال الخبرة الفعلية، أو من خلال القراءة عنها في الكتب. كانت ميزة ذلك الكهف بالذات أنه، على الرغم من وقوعه على مسافة ربع ساعة فقط بالسيارة من نياردفيك، فلا تطل

عليه أي من البيوت، أو حتى الطريق. كان يضمن لهما أن يكونا هما الاثنان فقط في هذا المكان، إذ لم تكن حتى السيارات تصل إليه. كان عليهما أن يترجلا ويسيرا على أقدامهما آخر عدة مئات من الأمتار.

سألته إيلينا: "أيمكنك أن تأتي وتصطحبني؟".

"اممم... ليس من النُّزُل. لا يمكن أن أخاطر بأن يراني أحد.. لأن كاتيا مختبئة، أنت تفهمين". ذكر لها محلًّا على مسافة من النُّزُل يمكن قطعها سيرًا، وطلب من إيلينا أن تقابله هناك.

قالت إيلينا متشكية: "إنها مسافة كبيرة". وراحت أسنانها تصطك من البرد. ورغم عدم وجود ثلوج على الأرض، كان الجو قارص البرودة، ولم تكن ترتدي ما يلائمه. ومع هذا، فمهما كان ما ترتديه، لن ينفع بحال مع هذا البرد. قاد بيارتور السيارة طوال الطريق إلى الكهف. وأمامهما ارتفع شبح بنايتين، من الصعب تمييزهما في العتمة.

قال أخيرًا: "هي في هذا البيت هناك، البيت الأدنى من البحر".

"أحقًّا؟ كاتيا هناك؟".

"ما من أحد سيفكر في البحث عنها هنا".

"شيء لا يُصدق. أتعني أنها كانت هنا طوال هذا الوقت؟".

قال بيارتور، سامحًا لبعض الدفء أن يتسلل إلى صوته: "كانت

تقيم معي في البداية". ولدقيقة، كاد أن يصدق هو نفسه ما يقول، مستعيدًا تخيلاته عن الزواج منها، واصطحابها لتعيش في بيته. أكمل كلامه: "لكن الأمر كان ينطوي على خطورة شديدة، فوالداي المسنان يعيشان فيه معي. كانا سيكتشفان الأمر عاجلًا أو آجلًا".

قالت إيلينا: "فهمت".

لم يستطع قراءة تعبيرات وجهها في الظلام. هل اقتنعت؟

أكملت إيلينا بعد دقيقة: "أنا متأكدة أنه يمكنها الحصول على تصريح إقامة، مثلي. موقفانا ليسا مختلفين بدرجة كبيرة".

قال بيارتور: "صحيح، صحيح".

"لكن... من المؤسف أن تهرب بهذا الشكل. أكانت هي فكرتك؟" حمل صوتها نبرة اتهام.

أما بيارتور فقد استخدم نبرة صوت جريحة وهو يقول: "أنا؟ لقد بذلت كل ما في وسعي لأثنيها عن قرارها".

"أهي تعرف؟ أقصد أننا قادمان".

"لا. ليس لديها هاتف".

صمتت إيلينا.

فقط عندما اقتربا من البيتين تكلمت ثانية.

"أتعلم شيئًا، هذا لا يبدو صحيحًا يا بيارتور. ما من أحد يستطيع أن يعيش هنا. لا يوجد زجاج على النوافذ. هذان المبنيان خاليان".

"لا تكوني سخيفة. أؤكد لك أنها هنا".

استدارت إيلينا تنظر إليه، والآن، استطاع أن يرى كيف ضاقت عيناها في شك.

"أتكذب علي؟".

ولأنها كانت وحيدة معه في البرد والظلام، بدت فجأة متوترة بفعل الخوف.

توقف بيارتور. سكنت الريح، وهدأت وشوشات الأمواج. راح يتفحصها بعينيه. لا يمكنها الهرب الآن.

ارتفع صوتها، وبدا حادًّا متوترًا: "أتكذب؟ لماذا تكذب؟أين كاتيا؟".

وبدأت تتراجع مبتعدة عنه. لم يتحرك بيارتور.

ثم استدارت، وأخذت تجري هاربة في الظلام.

لم يستغرق وقتًا طويلًا حتى يمسك بها. وعندما فعل، طرحها أرضًا، وأمسك بحجر قريب منه هشم به رأسها، حتى غابت عن الوعي. هل ماتت؟ على الأرجح لا. ظن أنه أحس بنبضها.

رفعها بيارتور، وحمل جسدها المتراخي إلى الكهف بالأسفل،

وتعثر مرة أو مرتين في الصخور وسط الظلام. وبعدها، أرقد إيلينا بحرص على وجهها، واضعًا رأسها في الماء المالح، وضاغطًا عليه لأسفل.

(27)

سألت هلدا، وعقلها يعمل بسرعة جنونية، مصرة على أن تقوم بكل ما في وسعها لتستمر المحادثة: "أتعني أنه لم يكن هناك شيء في الأوراق التي أحضرتها إليك؟".

ضحك بيارتور، وقال: "لا شيء مهم. الحقيقة أنه كان عليّ أن أفكر بسرعة عندما جئت على ذكر كاتيا، وأن أجد حجة أغريك بها للخروج من المدينة. كان علي أن أتخلص منك. ليس أمامي بديل آخر".

أطلقت هلدا سبة في سرها. لقد تحول اليوم إلى جحيم. جميع أخطائها عادت لتطاردها: اعتراف إيما، الرجل الذي قُتل في المشفى، اعتقال آكي. ما كان يجب أن تقوم من فراشها اليوم. في الأحوال العادية، هكذا قالت لنفسها، كانت لتسرع في الإحساس بالخطر المحدق بها، لكن القلق أضعف غرائزها الفطرية.

لهثت هلدا: "أرجوك، أعطني بعض الماء". رغم أنه كان من غير الطبيعي أن تطلب من هذا الرجل أي شيء.

قال: "فيما بعد". لكنها لم تكن متأكدة من المعنى الذي يقصده.

سألت: "أكانت الاثنتان تعملان كعاهرتين؟".

انفجر بيارتور في الضحك، وقال: "بالطبع لا. ولا واحدة منهما. كانتا فتاين طيبتين، خاصة كاتيا.. كانت رائعة".

"لكن..". الآن فقط، بعدما فات الأوان، فهمت هلدا كيف ضللها بيارتور، كيف قادها إلى مسار خاطئ منذ بداية التحقيق.

مضى يحكي: "كانت صدمة حقًّا عندما ظهرت على عتبة بابي. كنت قد نحيت الأمر كله خلف ظهري، وظننت أن القضية قد أغلقت منذ وقت طويل. كل ما استطعت التفكير فيه هو أن أجد طريقة أصرف بها انتباهك عني. ثم خطرت لي فكرة: أخبرك أن إيلينا كانت عاهرة. ولقد نجح الأمر تمامًا، أليس كذلك؟ لقد خدعتك".

رمشت هلدا، وقد امتلأت عيناها بالتراب. وعندما اتضحت أمامها الرؤية ثانية، رأت أن بيارتور كان يبتسم، بذهن شارد.

أحست بالرعب يستولي على قلبها، لكن كان عليها ألا تسمح له بشل تفكيرها. ولدقيقة، عادت طفلة مجددًا، حبستها جدتها في خزانة الأشقياء.

أغمضت عينيها لفترة وجيزة، وركزت على تغريد الطائر. هناك حتمًا من سيساعدها. حتى ولو كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل، لا بد أن هناك أحدًا بالخارج. أو ربما يغير بيارتور رأيه، ربما كان فقط يحاول أن يفزعها... لكن آمالها راحت تتراجع مع كل ثانية تمر.

قالت أخيرًا: "لا يمكنك أن تفر بفعلتك". لكن جملتها بدت غير مقنعة، حتى بالنسبة لها.

"لقد فررت بالفعل بجريمتي قتل. ولقد أصبحت أمتلك خبرة كافية. وسأحرص على ألا يعثر عليك أحد. سنرمي الأساسات الخرسانية هذا الأسبوع".

"لكن..". طار عقلها صوب هاتفها المحمول. لا بد أنه من الممكن تتبع أماكن تواجدها، ومعرفة أين كانت، حتى ولو فات أوان إنقاذها.

مرة أخرى، بدا وكأن بيارتور يقرأ أفكارها.

"لقد تعاملت مع هاتفك منذ ساعات. أتذكرين عندما أعرتِني إياه، وتظاهرت بأني أتحدث إلى والدي؟ لقد نزعت بطاريته".

"ما زالت هناك سيارتي".

"هذه ستصيبني حقًّا بالصداع، أعترف لك بهذا، لكني سأتولى أمرها. سأقودها إلى أحد الجروف المطلة على البحر وأتركها تسقط، ثم سأشق طريقي عائدًا إلى المدينة بأي طريقة كانت. على أي حال، ليس هناك من يهتم بتحركاتي، حيث لم أكن أبدًا مشتبهًا به في هذه القضية. لا تقلقي، سأهرب بفعلتي".

وعاد يهيل التراب عليها.

(28)

ميزة الظلام هو ألا ظلال به.

أغمضت هلدا عينيها.

لقد قررت أن تتوقف عن المقاومة. أن ترفع راية الاستسلام.

إحساس رهاب الأماكن المغلقة الخانق كان مرعبًا، شيء لا يمكن وصفه، ومع هذا، فالغريب أنها شعرت بنوع من السلام يهبط عليها، بمجرد أن وطنت نفسها على الاستسلام لما لا مفر منه، وعلى التسليم بحقيقة أنه لن يأتي أحد الآن لإنقاذها، وأن هذه هي لحظاتها الأخيرة في الحياة. ما كانت لتتحمل أبدًا أن تُحاكم بتهمة إساءة استعمال سلطاتها. مع إعلان خبر وفاتها، سيسقط ماجنس التهم الموجهة إليها، كانت متأكدة من هذا. وانتقلت أفكارها إلى بيتر. لا بد أنه ينتظرها، ربما حاول الاتصال بها، وعليه أن ينتظر إلى الأبد.

كان وجهها كله تقريبًا مغطى بالتراب الآن.

وفوق كل هذا، كان الموت يقدم لها مخرجًا رحيمًا: نهاية لكوابيسها. إنه الخلاص الذي انتظرته طويلًا. السلام. طوال العشرين سنة الأخيرة وأكثر، حاولت هلدا التكفير عما فعلته، عن الجُرم الذي أثقل روحها كثيرًا، بإظهار التفهم والتعاطف

مع المذنبين. في بعض الأحيان، قادها هذا إلى تجاوز الحدود، كما في حالة إيما. لقد ارتكبت المرأة جريمة، صدمت بسيارتها البيدوفيلي، لكن هلدا تفهمت موقفها تمامًا، وربما أكثر من اللازم.

لا تعلم كم من الوقت غابت عن الوعي. ربما هي فقط بضع ثوان.

في تلك اللحظة، تمنت لو كانت تؤمن بقوة عليا. كانت تذهب إلى الكنيسة بانتظام مع جديها وهي طفلة، لكن بعد ذلك، بعد موت ابنتها، انمحت آخر بقايا الإيمان من نفسها.

عادت بأفكارها إلى جون وديما.

ذات يوم، كان هذان الاثنان أحب إليها من كل ما سواهما في هذا العالم، زوجها وابنتها. لكن عندما اكتشفت أن جون كان يُعرض ديما لأفعال وحشية مريعة، تحول حبها له إلى كراهية. في لحظة سقوط مروعة، فقدت الاثنين: ديما أنهت حياتها، وجون تحول في ناظريها إلى وحش. ولقد نمت كراهيتها له وازدادت كل يوم، حتى تحولت إلى غضب جنوني لا يمكن السيطرة عليه. ما فعله لا يمكن اغتفاره، ومع هذا فهو حي وديما لا. في كل مرة رأته هلدا، كانت تفكر في ديما. كانت ابنتها ميتة، لقد خذلتها، ومع هذا، كان يغمرها حب أمومي، أقوى حتى مما كان عندما كانت ديما على قيد الحياة.

كان عليها أن تمحو جون من حياتها. لكن الطلاق منه لن يكون

كافيًا، كما أنها لا تريد أن تجر العائلة إلى محاكمة علنية بتهمة الاعتداء الجنسي. كان هذا أمرًا محسومًا بالنسبة لها. لا، لقد أرادت لكل شيء أن يبقى جيدًا على السطح، لكن كان يجب أن يذهب جون، وكان عليه أن يدفع ثمن جرائمه البشعة.

وعند التنفيذ، كان الأمر يسيرًا جدًّا.

كان جون يعاني من مشكلة في القلب، لكنه كان من الممكن أن يعيش عمرًا مديدًا مع تناول الدواء الصحيح.

استبدلت هلدا حبوب دوائه ببديل عديم الفائدة، ثم انتظرت، آملة أن يكون لهذا التغيير بعض التأثير، وأنه ذات يوم جميل، قد ينام ببساطة ولا يستيقظ ثانية أبدًا.

بالطبع كانت تعلم أن ما تفعله خطأ. ليس خطأ فقط، بل جريمة قتل، هكذا بكل بساطة ووضوح. لكنها نحت تلك المشاعر جانبًا، وركزت على المهمة التي تقوم بها، على التخلص من جون، ربما تجد بعض السلام. سيطرت عليها الرغبة في تحقيق العدالة، يجب أن تقتص لموت ابنتها. لكن، أكثر من هذا، لم تكن تتحمل فكرة أن يُسمح لجون بالبقاء على قيد الحياة أكثر من هذا.

وبعد استقرارها على الخطة، لم تعِد التفكير في الأمر أبدًا. لقد أعادت التفكير، لكن بعدما فات الأوان.

في النهاية، كانت قد اكتفت من الانتظار. وذات يوم، عادت إلى البيت لتناول الغداء، عالمة أن جون سيكون متواجدًا. تعمدت أن

تبدأ شجارًا معه، واستمرت في الشجار بلا رحمة، دافعة جون إلى حالة أوصلته إلى الإصابة بأزمة قلبية حادة.

سقط على أرضية غرفة المعيشة، عاجزًا عن الكلام، عاجزًا عن الاستغاثة، لكن كان لا يزال على قيد الحياة. نظر إليها بعينين تتوسلان. لم يعلم بما فعلته، ولم تجد هلدا في نفسها الرغبة في التفسير. لقد وقفت هناك فقط، وراقبته وهو يموت، بينما هي تفكر في ديما. لم تشعر بشيء، لا ندم، ولا متعة أيضًا. وبعدها، عندما فارق الحياة أخيرًا، غمرها شعور بالارتياح؛ لأن الأمر انتهى أخيرًا.

علمت هلدا أنه أخيرًا بإمكانها أن تمضي في حياتها. بالطبع، لن يكون أي شيء طبيعيًّا بعد الآن، لكنها فعلت ما كان عليها أن تفعله.

لقد قتلت رجلًا ارتكب جريمة أسوأ من القتل.

تركته على الأرض وعادت إلى العمل. وفي وقت لاحق، عادت إلى البيت، و(عثرت) على الجثة، وطلبت سيارة إسعاف. وكان ما كان.

رجل ذو قلب ضعيف سقط مفارقًا الحياة قبل أوانه. لا شيء غريب في الأمر. ولقد قتلت ابنته نفسها منذ فترة ليست بعيدة، لا بد أن هذا كله مثّل عبئًا كبيرًا على قلبه. لم يتحدث أحد عن الارتياب في السبب الحقيقي لانتحار ديما، ولا رأى أحد شيئًا غير

طبيعي في وفاة جون. تعاطف الجميع مع زوجته، التي كانت، أيضًا، ضابطة شرطة. طبعًا، لم تُجر أي استجوابات. وطبعًا، فرت بفعلتها، لكن لم تمر ليلة منذ ذلك اليوم لم يزرها فيه جون في أحلامها. لقد ارتكبت جريمة قتل وفرت من العقاب، لكنها اكتشفت أنها لا تستطيع التعايش مع هذه الحقيقة.

لذا، ربما كان عقابًا مناسبًا، هكذا فكرت، أن تنتهي حياتها بهذه الطريقة الوحشية.

حاولت هلدا ألا تصاب بالهلع، رغم أن التراب كان يعوقها الآن عن التنفس، ويؤدي إلى اختناقها. انتظرت الموت الذي لا مفر منه، وفكرت في ابنتها. بالطبع ديما لم تبرح أفكارها أبدًا، أبدًا، لكنها الآن تستطيع أن ترى وجهها بوضوح، وغمرها حب غير محدود، ممزوج بشعور رهيب بالذنب.

ديما...

بدا أن بيارتور قد توقف عن إلقاء التراب. ربما ليلتقط أنفاسه. أو ربما تكون قد لفظت اسم ابنتها بصوت مرتفع فأربكته مؤقتًا؟

ثم بدأ ثانية.

وغردت الطيور.

فهي لم تكن تعلم أنه الليل.

الختام

قال القس: "إنه لمن دواعي سرورنا أن نرى الكثيرين منكم مجتمعين هنا، في هذا اليوم الجميل، ونحن نؤدي آخر واجبات الاحترام نحو هلدا هرمانزدوتير. طبعًا هذه ليست جنازة بالمعنى المتعارف عليه، فكما نعلم جميعًا، لم يُعثر على هلدا بعد. ونحن نصلي من كل قلوبنا أن تكون هناك بالخارج في مكان ما، ما زالت معنا، ما زالت تستمتع بالحياة، وأنها ببساطة قد غادرت، لأسباب تخصها. لذا، ربما علينا أن ننظر إلى هذه المناسبة باعتبارها فرصة لنحتفي بحياة هلدا، رغم أنها بالطبع مناسبة حزينة من أوجه عدة. ما من أحد هنا يعلم على وجه الدقة ماذا حدث في آخر أيام هلدا في العمل، أو لم كان عليها أن تختفي هكذا بلا أثر، إلا أنها كانت على وشك أن تبدأ فترة تقاعد مديدة سعيدة، كمكافأة على جميع سنوات خدمتها المتفانية مع الشرطة. غني عن الذكر أنه ليس الجميع يرحبون بهذه الخطوة، فالبعض يخشون هذا اليوم، والبعض الآخر ينتظره بفارغ الصبر. لا نعلم كيف كان شعور هلدا نحو التقاعد، أو ماذا كان يدور في عقلها في ذلك اليوم الأخير، كما أننا لا نعلم أين يستقر جسدها الآن، لكن ما نحن متأكدون منه حقًّا هو أنه يمكنها أن ترتاح أينما كانت، يصاحبها رضوان الله، ودعوات أهلها.

التحقت هلدا بعمل مميز مع الشرطة، وتدرجت سريعًا في الرتب، وحازت على احترام الضباط، صغيرهم وكبيرهم على السواء. أمضت غالبية سنوات عملها في التحقيق في جرائم خطيرة، لضمان السلم والأمن لمواطنيها. وفي السنوات الأخيرة، عملت على حل كثير من الجرائم الكبيرة المعقدة، وكانت دائمًا على رأس فريق التحقيق، وفي أحايين أخرى عملت من خلف الكواليس، متجنبة بريق الأضواء بتواضع يميزها.

كثير من زملاء هلدا لبوا نداء الواجب، وبذلوا جهدهم في البحث عنها هذا الربيع، رغم عدم وجود أي أدلة عن مكان اختفائها. وأنا أعلم أن هلدا كانت لتتأثر، من أعماق قلبها، بتفاني جهودهم، والتي هي شهادة بالمحبة التي يحملونها لها. ولقد رفض أصدقاؤها التوقف عن بحثهم المستمر، حتى انقطع كل أمل في العثور عليها. ولقد أمضوا الكثير من أوقاتهم في تمشيط المرتفعات، حيث تكون في موطنها الأصلي، هكذا يمكن للمرء حقًّا أن يقول. فكما أنكم جميعًا، بلا شك، تعلمون، كان أكثر ما تحبه هلدا هو التنزه في الجبال، ووفقًا لكلماتها هي: كانت حقًّا ماعزًا جبلية. لا يمكنني حصر عدد القمم التي تسلقتها.. ربما هي نفسها لا يمكنها حصرها. دعونا إذًا نتصورها، في عشية يوم تقاعدها، تتسلق أحد جبالها المفضلة احتفاء بالمناسبة، وتحولت رحلتها إلى الرحلة الأخيرة. ودعونا نلتمس العزاء في فكرة أنها الآن ترتاح في قلب برية أيسلندا، التي أحبتها.

لقد أمضت هلدا أول عامين من عمرها في مأوى للأطفال في ريكيافيك، بسبب ظروف عائلية صعبة. هذه الأمور لم تكن غير معتادة في تلك الأيام، لكنها تمتعت برعاية جيدة بفضل فريق العمل المتفاني. وفي عمر العامين، ذهبت لتعيش مع أمها، وفي وقت لاحق، انتقلتا لتعيشا مع جديها لأمها، ليكونوا بذلك أسرة كبيرة، ولقد حافظت هلدا دومًا على علاقتها القوية الوطيدة بأمها وجدها وجدتها. هذه الطفولة السعيدة المليئة بالحب ساعدت هلدا كثيرًا في السنوات اللاحقة من حياتها، فلقد تمتعت بطبع منفتح متفائل، وساد التفاهم علاقتها مع الجميع. لم تلتقِ هلدا أبدًا بوالدها، الذي كان أمريكيًّا.

لكن من بين الجميع، كان هناك اثنان شغلا أهم مكان في قلب هلدا. أحدهما كان زوجها جون، الذي قابلته في أولى سني الشباب، وتزوجته فقط بعد تعارف قصير، ولقد كان قرارًا سعيدًا، فلقد وصفا حقًّا كتوأم روح. بقيت هلدا وجون معًا في السراء والضراء، وتشاركا في اهتمامات عدة، وأثنى كل واحد منهما على شريكه، كما ينبغي لزوجين طيبين. ويشهد أصدقاؤهما على حقيقة أنهما لم يتبادلا أبدًا كلمة جارحة. ولقد شيدا بيتهما على البحر على جزيرة ألفتينس، والتي ما زالت تعد منطقة ريفية حتى هذه الأيام، وربما هناك اشتعلت أولى شرارات حب هلدا للطبيعة الأيسلندية.

وهناك أيضًا ولدت حبة قلبيهما، ابنتهما ديما. تمتعت ديما بشعبية في مدرستها، وكانت تلميذة نموذجية، صبية صغيرة

واعدة بآمال عريضة، ولا عجب أن هلدا وجون كانا فخورين بها للغاية. لذا، فقد مثل موتها المؤسف في سنوات صباها الأولى ضربة قاسية لوالديها. ولقد احتملا الضربة برصانة وشجاعة، لم ينفصلا أبدًا كدأبهما، ولا ريب أنهما قد وجدا سلواهما بعضهما في بعض. لقد استمرا في العيش في ألفتينس، وعادا إلى عمليهما في نهاية الأمر: عادت هلدا إلى الشرطة، وعاد جون إلى عمله في مجال الاستثمار. وبعد عامين، فقدت هلدا جون أيضًا، حب حياتها. لقد تم تشخيصه بمرض في القلب قبلها بسنوات عدة، لكن ما من أحد توقع له أن يموت صغيرًا هكذا. مجددًا، كان على هلدا أن تتحمل صدمة رهيبة، ولقد واجهتها بشجاعة لا تُقهر، فعادت ووقفت على قدميها، وتعاملت مع شؤون الحياة، واستمرت في وضع بصمتها المميزة في مهنتها كثيرة المتاعب.

لم تنس هلدا أبدًا جون ولا ديما. وكما نعلم، فلقد ظلت دومًا مؤمنة بعقيدتها المسيحية، على قناعة بأنها سيجتمع شملها بأحبائها في الحياة الآخرة. وبالنسبة لنا جميعًا -من نفتقد هلدا للغاية- سنجد عزاءنا في معرفة أنها مرتاحة الآن بين ذراعي جون وديما، اللذين أحبتهما أكثر من الحياة نفسها.

فليبارك الرب ذكرى هلدا هرمانزدوتير".

مؤلف روايات الجريمة الأكثر مبيعًا

تستكشف المحققة هلدا هرمانزدوتير (64 عامًا) أسرار قضيتها الأخيرة، قبل تقاعدها، حيث عُثر على شابة، طالبة لجوء روسية، ميتة في كهف بالقرب من المطار. وتم إغلاق القضية دون حل؛ حيث رُجح أن تكون الفتاة قد انتحرت. تعيد هلدا فتح القضية وتُطارد الحقيقة، بينما يطاردها هي إحساسها بالذنب، وذكريات ابنتها وزوجها الراحلين. ينجح الكاتب في نقل أجواء القلق والتوتر، وإعادة فتح التحقيقات في إيقاع لاهث وتتابع مُدهش.

نُشرت ثلاثية أيسلندا الخفية بين أعوام 2015، 2016، 2017. ورُشحت رواية الظلام لجائزة رواية العام في 2016، كما رشحت لنفس الجائزة عام 2019. رُشحت أيضًا لجائزة بترونا عام 2019 (وهي جائزة بريطانية تمنح لأفضل رواية جريمة اسكندنافية).

تُرجمت لأكثر من ثلاث عشرة لغة. وتقدمها للقارئ العربي دار صفصافة في مصر.

راجنر جوناسن: ولد عام 1976. حائز على العديد من الجوائز، مؤلف سلاسل حققت شهرة عالمية، وصنفت ضمن قوائم أكثر الكتب مبيعًا مثل: أيسلندا المظلمة، وأيسلندا الخفية. يعيش حاليًا في ريكيافيك عاصمة أيسلندا، حيث يكتب، ويعمل كمحام، ويدرس حقوق النشر في جامعة ريكيافيك. بيع من رواياته نحو مليوني نسخة في مختلف أنحاء العالم.



ISBN 978-977-821-246-4
9 789778 212464

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET